أثر القرآن الكريم في الأدب العُماني:
عصرُ اليعاربة أنموذجًا

إعداد

بدر بن حمد بن سعود الرّواحي

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

٢٠٢٤م

أثر القرآن الكريم في الأدب العُماني:
عصر اليعاربة أنموذجًا

إعداد

بدر بن حمد بن سعود الرّواحي

بحث متطلب مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية (أدبيات)

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا

مارس ٢٠٢٤م

ملخص البحث

يهدف البحث إلى الكشف عن علاقة الأدب في عصر اليعاربة بالقرآن الكريم، ومعرفة الطرق الإبداعية التي استخدمها الأدباء بعصر اليعاربة في أدبهم بقسميه (الشعر والنثر)، في توظيف القرآن الكريم، وإلقاء الضوء على مدى استلهامهم للمعاني القرآنية، في حيثيات الأدب لديهم، والوقوف على قدرة الشعر والنثر في هذا العصر على استيعاب هذه المعاني من القرآن الكريم، وتوظيفها في المكان المناسب لتؤدي المعاني المطلوب توصيلها بأساليب مناسبة في أثر تعانق الأدب بالقرآن الكريم. ويجدر بالذكر أن هذه الظاهرة قد تناولها الأدباء المعاصرون من وجهات نظر مختلفة، وبرؤى شتى، إذ تناولت بعض الدراسات أثر القرآن الكريم في الأدب من جوانب مختلفة. وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهجين؛ الوصفي والتحليلي لتحليل النصوص الأدبية الشعرية والنثرية المختارة، مقتفيًا في ذلك أثر القرآن الكريم فيها، متتبعًا كذلك فيها جوانب التأثير القرآني من مختلف الجوانب لتحقيق أهداف الدراسة. وقد توصّل الباحث بهذه الدراسة إلى عدة نتائج، من أهمها: إن المصادر التي يستقي منها الأدب اليعربي محتواه ويتأثر بها تأثرًا واضحًا كانت متعددة، فقد تأثر الشعر اليعاربي ببيئة الشاعر وثقافته بشتى أنواعها، سواء الاجتماعية أو الدينية، وقد ظهر التأثر الديني واضحًا من خلال أثر القرآن الكريم في أشعارهم. وتتعدد المصادر ما بين التراث التاريخي والتراث الديني والتراث الأدبي. خاصة أن التراث التاريخي بالنسبة للأدب العماني يعد عصبًا مهمًا من حيث إتاحته الفرصة للعلماء والأدباء في رفد إنتاجاتهم الأدبية بمعالم الحياة العمانية. ويلاحظ أن استخدام اليعاربة ألفاظًا قرآنية في نصوصهم الشعرية والنثرية كان ملموسًا بصورة واضحة، وكذلك كان بشكل غير مباشر عبر التناص. وهذا ما كان يكسب النص الشعري قوة، فهو يدلّل ويبرهن، من خلال رؤى دينية لها مدلولاتها.

ABSTRACT

This current study aims to reveal the relationship between literature in the era of the Ya'ariba and the holy Qur'an, and to know the creative methods used by the writers in the era of the Ya'ariba in employing the holy Qur'an in their literature. This research also strive to shed light on the extent to which the writers in the era of the Ya'ariba were inspired by Qur'anic meanings, to clarify the impact of this inspiration on the merits of literature of that era, the ability of literature in its two parts, poetry and prose, to absorb these meanings from the holy Qur'an and employ them in the appropriate place to achieve the meanings required to be communicated, in appropriate method and in an embracing effect. This phenomenon was dealt with by contemporary writers from different points of view, and with various visions, as some studies dealt with the impact of the noble Qur'an on literature from different aspects. In this study, the researcher relied on the analytical descriptive approach to analyse the poetic and prose literary texts, tracing the impact of the holy Qur'an on them, tracing the aspects of the Qur'anic influence on them from the various aspects to achieve the objectives of the study. This study reached several results, the most important of which are: First: It seems that the sources from which the Arabic literature derived its content is clearly influenced by multiple sources, as they vary between the historical heritage, the religious heritage, and the literary heritage. Second: The historical heritage of the Omani literature is an important nerve in terms of providing the opportunity for scholars and writers in general, and for poets in particular, the opportunity to supplement their writing with the landmarks of Omani life in their literary productions. Third: It is noted that the Ya'ariba used Qur'anic terms in their poetic and prose texts, and were directly affected by the Qur'anic meanings. He quotes the words directly from him or quoted the meanings indirectly through the text. Fourth: Religious intertextuality in itself gives the poetic text strength, as it demonstrates and proves, and gives the text majesty and possesses strong authoritarianism, as it imposes its vision through religious visions that have their significance. Fifth: Poetry is affected by the poet's environment and culture of all kinds, the social or religious ills of the Arabs on their poetic literary productions, and this effect was evident through the impact of the holy Qur'an on their poetry.

APPROVAL PAGE

The thesis of Badar Hamed Saoud ALRawahi has been approved by the following:

_____
Ma'ahad Mokhtar
Supervisor

_____
Mohamed Anwar Ahmad
Co-Supervisor

_____
Rahmah Binti Ahmad H. Osman
Internal Examiner

_____
Mohammad Majed Mojally Al-Dakheel
External Examiner

_____
Mohammed Imad A. Mustafa Mahmud
Chairman

DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that is has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Badar Hamed Saoud ALRawahi

Signature: ……..……..…… Date: …...…….

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٢٤م محفوظة لـ: بدر بن حمد بن سعود الرواحي

أثر القرآن الكريم في الأدب العُماني: عصر اليعاربة أنموذجاً

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث؛ إلا في الحالات الآتية:

١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس، وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٢- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.

٣- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

أكد هذا الإقرار: بدر بن حمد بن سعود الرواحي

التوقيع:..... التاريخ: .....

إلى من سهرت الليالي، لأجل أن ترى فلذة كبدها في المقدّمة ..... والدتي الحنون.

إلى من كان سببًا – بعد الله – لأرى نور الحياة ... وما فتئ يحفزني، وينير لي الطريق بكرم علمه، وجود فضائله.. سيدي الوالد المعطاء (رحمة الله عليه).

إلى من شاطرتني الصعاب، وقاسمتني المتاعب، فكانت الشريكة والمعينة في كل خير..... زوجتي الغالية.

إلى من أكرموني بجلّ أوقاتهم، وصفحوا عن تقصيري بحقهم..... أبنائي مصدر سعادتي.

إليكم جميعًا أهدي ثمرة معروفكم السخِّي

الشكر والتقدير

هي باقات من الشكر وجزيل العرفان، لكل من كان لي سندًا وعونًا بعد الله تعالى، وإلى من شجعني وآزرني حتى أكمل مسيرتي العلمية، وأتوّجها بهذه الرسالة، وليست نهاية المطاف بحول الله.

وأخصّ بالشكر في هذا المقام أستاذنا الدكتور معهد مختار، الذي نلت شرف إشرافه على هذه الرسالة، وإلى كلّ من علمني حرفًا وأسدى إليّ معروفًا، من مشايخي الفضلاء وأساتذتي النبلاء.

كما أتقدّم بالشكر إلى الجامعة العالمية الإسلامية، هذا الصرح العلمي الذي أتاح لي مزيدًا من التقدّم المعرفي، فبارك الله فيمن أنشأها، وساهم في تأسيسها، وجزى القائمين عليها كل خير.

فهرس محتويات البحث

ملخص البحث .....ب

ملخص البحث بالإنجليزية.....ج

صفحة القبول.....د

صفحة التصريح .....هـ

صفحة الإقرار.....و

الإهداء .....ز

الشكر والتقدير .....ح

فهرس محتويات البحث.....ط

الفصل الأول: خطة البحث وهيكله العام..... ١

المقدمة ١

مشكلة البحث..... ٣

أسئلة البحث ٤

أهداف البحث..... ٤

أهمية البحث ٤

حدودالبحث..... ٥

منهج البحث ٦

خطوات الدراسة البحثية..... ٦

الدراسات السابقة ٦

الفصل الثاني: مصادر التراث اليعاربي والخلفيات التاريخية.....١٥

المبحث الأول: مصادر التراث اليعاربي ١٥

المبحث الثاني: الخلفيّات التاريخيّة ٣٦

المبحث الثالث: آثار الأحداث التاريخيّة في النتاج الأدبي اليعاربي ٤٧

الفصل الثالث: أثر القرآن الكريم في شعر اليعاربة..... ٥٨

المبحث الأول: أثر القرآن الكريم عند الشاعر الشيخ بشير بن عامر الفزاري ٦٠

المبحث الثاني: أثر القرآن الكريم في شعر الشاعر الشيخ خلف بن سنان الغافري ٧٢

المبحث الثالث: أثر القرآن الكريم في شعر الشاعر راشد بن خميس الحبسي: ٨٣

المبحث الرابع: أثر القرآن الكريم في شعر الشاعر سعيد بن محمد الغشري ٩٢

المبحث الخامس: أثر القرآن الكريم في شعر محمد بن عبد الله المعولي.....١٠٤

الفصل الرابع: أثر القرآن الكريم في نثر اليعاربة ١٢٠

المبحث الأول: الإمام ناصر بن مرشد اليعربي ١٢١

المبحث الثاني: الإمام سلطان بن سيف اليعربي ١٣٦

المبحث الثالث: الشيخ سعيد بن أحمد الخراسيني ١٤٨

المبحث الرابع: الشيخ سعيد بن راشد بن بشير الخروصي.....١٦١

المبحث الخامس: الشيخ خميس بن سعيد الشقصي.....١٧٥

الخاتمة والنتائج ١٨٩

التوصيات: ١٩٠

قائمة المصادر والمراجع ١٩٢

الدوريات: ٢٠٠

الرسائل العلمية:.....٢٠١

الشبكة العنكبوتية: ٢٠١

المراجع الأجنبية: ٢٠٢

الفصل الأول
خطة البحث

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خاتم الرسالات السماوية بنزول القرآن الكريم، وجعله ميسراً للعالمين، وشرّف اللغة العربية وآدابها به، لتكون وعاء له، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد بين الأنام؛ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أمّا بعد؛ فمن المعروف لدى المسلمين أنّ القرآنَ الكريم هو الكتاب "المنزل على الرسول (صلى الله عليه وسلم) المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة."[1]وقد منح القرآن الكريم اللغة العربية قوة ورُقيًّا من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة، والتراكيب الجديدة، والأساليب الرفيعة. فأصبحت بذلك محط الأنظار، والاقتباس منها مناط العز والفخار، وغدت اللغة العربية تتألق على غيرها من اللغات بما حازت عليه من محاسن الجمال، وأنواع الكمال. واتخذ الأدباء وأرباب القلم والبيان أسلوب القرآن هاديًا، وإمامًا في طريقته البيانية، فاغترفوا من معانيه، وحفظوا من روائعه، فكان لهم منه معين فياض؛ بما لمسوا فيه من نماذج البيان وصور الجمال، فظهر ذلك ساطعًا وجليًا في خطبهم وشعرهم ورسائلهم على مدى الأيام والدهور.

وللقرآن الكريم تأثير ملموس في جميع مناحي الحياة؛ لكونه يلامس حياة الأدباء بمختلف جوانبها الدينية والسياسية، والاجتماعية والاقتصادية؛ حيث رفدتها بنهضة علمية، تجلت في نمو حركة التأليف، وظهور مؤلفات في علوم الفقه، والتاريخ، وما كان من ازدهار الحياة الأدبية، المتمثلة في ألوانٍ شتّى من النتاج النثري، والشعري الثري الذي يعبِّر عن تفكير الناس، ونقل تجاربهم ومشاعرهم في تلك الحقبة من التاريخ متأثرين بالقرآن الكريم، وفي نقله النثر من تلك الجمل القصيرة إلى تلك الصور الأنيقة، التي نراها في رسائل الأئمة إلى عمالهم، وفي تلك المواعظ الحسنة التي نراها في رسائل العلماء إلى الأئمة.

---

[1] انظر: علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**. تحقيق: إبراهيم الأنباري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ). ص١٢٦.

وتعدّ اليعاربة واحدة من القبائل التي هاجرت من اليمن إلى عُمان، وتعود نشأتها إلى عام١٦٢٤م/١٠٣٤هـ، ومن الأمور التي ساعدت على نشأتها معاناة البلاد من الفوضى السياسية عند نهاية عهد النباهنة، واستمر حكمها مدة خمسة قرون من الزمن، وكان ناصر بن مرشد (ت:١٦٤٩م) أول إمام لها.

وكانت دولة اليعاربة مركزًا مميزًا ومزدهرًا في الداخل والخارج، ووُصِفت بأنها أقوى الدول البحرية في منطقة الخليج العربي وشرق القارة الإفريقية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ولقد حقق ناصر بن مرشد اليعربي العديد من الإنجازات منذ بداية حكمه؛ حيث تمتعت البلاد بالرفاهية، والمجد والقوة، وبدأ حكمه من خلال توحيد البلاد، ونشر الأمن، وبناء الحصون، وتنظيم الجيش؛ ولذلك تمكّن من إخضاع القبائل وتوحيدها تحت زعامته، وبذلك حقق الوحدة والازدهار الاقتصادي العماني، وتمكنت عمان من إقامة مشاريع ممتدة من شرق القارة الإفريقية وصولاً إلى السواحل الغربية للهند.[٢]

ويعَدُّ عهد الإمام سيف بن سلطان الأول اليعربي(ت ١٦٧٩م)؛ الفترة الذهبية في تاريخ الصراع العماني البرتغالي في شرق إفريقيا، عندما نجح العمانيون في وضع حد للنفوذ البرتغالي في هذه المنطقة، بفضل نمو القوة العمانية البحرية، التي لم يستطع البرتغاليون الصمود أمامها، بتطهير العمانيين لمنطقة المحيط الهندي والسواحل الغربية للهند خاصة في "مانجلور" من الوجود البرتغالي.

وقد حكم دولة اليعاربة مجموعةٌ من الأئمّة، أولهم الإمام ناصر بن مرشد بن مالك اليعربي الذي حكم خلال الفترة من ١٦٢٤م إلى ١٦٤٩م، وانتهت بحكم الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان الثاني (ت ١٧٤٨م) الذي حكم خلال الفترة من ١٧٤٥م إلى ١٧٤٨م.[٣]

وشهد عهد أئمة اليعاربة الأواخر نزاعاً حول السلطة، أدّى هذا النزاع الأسريّ لانقسام أهل عُمان إلى قبيلتين متنازعتين، وهما: الهناوية والغافرية، ثمَّ تحوّل النزاع على السلطة إلى صراع مباشر بين شيوخ القبائل وعلماء الإباضية، ونتج عن هذه الحالة الاحتلال الفارسي لعُمان،

---

[٢]انظر: فاروق فوزي، "القوى الدينية والسياسية في عمان في عهد اليعاربة"، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، العدد٣، المجلد١١، (٢٠١٧م)، ص٧٧.

[٣]انظر: المصدر نفسه.

ووقوع دولة اليعاربة تحت أيدي الفرس عام ١٧٤٩م، وأُقيمت الدولة البوسعيدية تحت زعامة الإمام أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد البوسعيدي (ت ١٧٨٣م) على أنقاض الدولة اليعربية.[٤]

ويأتي اختيار موضوع هذه الدراسة من منطلق أنه لم يستوف حقه من الدراسة، فمعظم الدراسات التي كتبت عن هذه المرحلة ركزت على النواحي السياسية، لا سيما فيما يتعلق بالصراع العماني البرتغالي، في حين أن هناك نواحي أخرى جديرة بالاهتمام والبحث؛ منها الأدب بنوعيه. لذلك يهدف البحث إلى إبراز التعانق بين الأدب، والقرآن الكريم.

وكذلك من منطلق رغبة الباحث في المساهمة في إثراء مكتبة الجامعة العالمية الإسلامية بماليزيا، وكذلك المكتبة العربية بهذا النوع من الدراسات، التي تعد إضافة للبحث، ونشر أدب عصر اليعاربة؛ للاستفادة منه في مجال البحث العلمي.

مشكلة البحث

يسعى هذا البحث إلى إلقاء الضوء على مدى استلهام الأدباء في عصر اليعاربة المعاني القرآنية، وتوضيح أثر هذا الاستلهام في حيثيات الأدب في هذا العصر، وقدرة الأدب بقسميه الشعر والنثر على استيعاب هذه المعاني من القرآن الكريم، وتوظيفها في المكان المناسب؛ لتؤدي المعاني المطلوب توصيلها، بأساليب مناسبة يظهر فيها بوضوح أثر تعانق الأدب بالقرآن الكريم. وقد تناول هذه الظاهرة كثير من الأدباء المعاصرين من وجهات نظر مختلفة، وبرؤى شتى، ولكن لم تقف آية دراسة على تناول أثر القرآن الكريم في أدب عصر اليعاربة، شعرًا ونثرًا بالمنهجين الوصفي والتحليلي، بالرغم من ثراء هذا الجانب وتأثره العميق بمختلف جوانب الحياة. لذلك ستقف هذه الدراسة على تغطية هذا الجانب في عصر محدد، وهو عصر اليعاربة، لنخبة من الكتاب والشعراء لم يسبق لدراسة أخرى البحث عنها في شعرهم ونثرهم.

وقد ارتأى الباحث أن يجمع في دراسته هذه بين الشعر والنثر في أدب عصر واحد من الأدب العماني، وهو عصر اليعاربة، الممتد من ١٦٢٤م-١٧٤٩م. كما أنه ربط في بحثه

---

[٤] انظر: عائشة السيار، **دولة اليعاربة في عمان وشرقي إفريقيا في الفترة من ١٦٢٤م – ١٧٤٩م**، (لبنان: دار القدس، ط١، ١٩٧٥م).

هذا بين منهجين أساسين وهما؛ المنهج الوصفي، الذي يصف فيه الباحث الظواهر الأدبية التي تأثر بها الأدب –في عصر اليعاربة– بالقرآن الكريم، والمنهج التحليلي، الذي يحلّل من خلاله الباحث تلك الظواهر الأدبية.

وتتمّ كلّ من تلك الأمور بهدف إبراز مدى تعانق الأدب في عصر اليعاربة مع القرآن الكريم، ومدى تأثير هذا التعانق على الأدب بفرعيه – الشعر والنثر – في تلك الحقبة من التاريخ، بحيث تكون فكرة متكاملة واضحة.

أسئلة البحث

١. ما العلاقة بين الأدب في عصر اليعاربة والقرآن الكريم؟
٢. ما مدى أثر القرآن الكريم في أدب عصر اليعاربة؟
٣. كيف استطاع الأدباء في عصر اليعاربة توظيف أثر القرآن الكريم في أعمالهم الأدبية؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:

١. الكشف عن علاقة الأدب في عصر اليعاربة بالقرآن الكريم.
٢. تبَيُّنُ أثر القرآن الكريم في أدب عصر اليعاربة بقسميه الشعر والنثر.
٣. معرفة الطرق الإبداعية التي استخدمها الأدباء في عصر اليعاربة في توظيف القرآن الكريم في أدبهم.

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في النقاط الآتية:

١. يدرس الأدب في عصر اليعاربة لكونه عنصرًا أساسيًا في جوانب الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية. وللوقوف على علاقته بالقرآن الكريم.

٢. يتناول الشعر الذي جسد تفكير الناس، ونقل تجاربهم ومشاعرهم. ويُبرز ألوان النثر متمثلًا في رسائل العلماء إلى الأئمة، وعهودهم إلى عمالهم. وهذان اللونان عبارة عن نصائح وحكم ووصايا، فهو الأدب الواقعي الذي يتصل بهموم المجتمع.

٣. يمثل البحث خط اقتفاء للأدباء الذين يبحثون عن الإبداع الفني؛ حيث يرسم أبعاد وجوانب التأثير القرآني، كما يضيف هذا البحث للمكتبة الأدبية النقدية إضاءة نقدية على التأثير القرآني في الأدب بشكل عام، وأدب عصر اليعاربة بشكل خاص، وخاصة الجوانب المستجدة في ذلك.

٤. يرصد هذا البحث العلاقات التفاعلية بين الأدب في عصر اليعاربة والقرآن الكريم، مما يسهم بالارتقاء بالأدب العماني عامة والأدب في عصر اليعاربة خاصة؛ ليكون بعد ذلك مرجعًا نقديًا في الأدب.

حدود البحث

تمثلت حدود البحث في ثلاثة جوانب، وهي:

١. الحدود الموضوعية التي تمثلت في النصوص الأدبية بشقيها (الشعر والنثر)، حيث مثّل الشعر مجموعة من أشعار شعراء عصر اليعاربة، ومن هؤلاء الشعراء: خلف بن سنان الغافري (ت: ١١٢٥هـ)، بشير بن عامر الفزاري (حي ١١١٠هـ-١٦٩٨م)، وسعيد بن محمد الغشري، ومحمد بن عبد الله المعولي (ت: ١٧٧٧م)، والشاعر الضرير راشد بن خميس الحبسي (ت: ١٧٣٧م). ومن خلال أبرز ألوان النثر في ذلك العصر ممثلًا في رسائل العلماء إلى الأئمة، وعهودهم إلى عمالهم، واللونان عبارة عن حكم ووصايا ونصائح وتجارب في الحياة، ومنها: رسائل وعهود الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (ت:١٦٤٩م)، ورسائل وعهود الإمام سلطان بن سيف اليعربي (ت:١٦٧٩م)، ونصائح الشيخ سعيد بن أحمد الخراسيني ، والمقامة السونية لسعيد بن راشد بن بشير الخروصي، ووصية الشيخ خميس بن سعيد الشقصي (ت: ما بين ١٠٥٩هـ و١٠٩٠هـ).

٢. أما الحدود الزمانية فتمثلت في الفترة من ١٠٣٣هـ-١١٥٣هـ الموافق ١٦٢٤م – ١٧٤٩م.
٣. تمثلت الحدود المكانية في الأدب العماني في سلطنة عمان.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهجين الوصفي والتحليلي:

١. المنهج الوصفي: حيث يصف البحث أثر القرآن الكريم في الأدب العماني ممثلًا في أدب عصر اليعاربة.
٢. المنهج التحليلي: حيث يقوم الباحث بتحليل النصوص الأدبية الشعرية والنثرية، مقتفيًا في ذلك أثر القرآن الكريم فيها، متتبعًا جوانب التأثير القرآني من مختلف الأوجه.

خطوات الدراسة البحثية

١. جمع المعلومات من المصادر والمراجع حول الجانب الوصفي.
٢. الوقوف على ألوان الأدب بشقيه الشعر والنثر في ذلك العصر.
٣. تحليل النصوص الأدبية الشعرية والنثرية، وبيان أثر القرآن الكريم فيها، مع تحديد موضع هذا الأثر ونوعه.

الدراسات السابقة

هناك عدة دراسات مشابهة قامت على لون واحد من ألوان الأدب شعرًا أو نثرًا، تمثّلت في دراسات بحثية محكمة ألقيت في ندوات علمية، ونشرت في مجلات علمية، بينما يرى الباحث أنه يوجد شح في الدراسات العلمية -كرسائل الماجستير والدكتوراه - حول هذا الموضوع، فلم تقف أية دراسة على تناول أثر القرآن الكريم في أدب عصر اليعاربة، بالرغم من ثراء هذا الجانب وتأثره العميق به في مختلف الجوانب، ولكن لا شك أن البحث سيستفيد من الدراسات التي أجريت على النثر من هذا العصر، وكذلك الشعر.

كما سيستفيد البحث من الدراسات القائمة حول أثر القرآن الكريم في اللغة العربية عامة، وأثره في النثر أو الشعر خاصة، وأنه توجد في هذا الجانب دراسات محكمة تمثلت في رسائل دكتوراه. إضافة إلى استفادته من المجلات العلمية والندوات الثقافية التي تثري هذا الجانب الأدبي، على الرغم من أنّها لم تتخصص بهذا الموضوع مباشرة؛ ولكنها احتوت على بعض الإشارات التي قد تفيد البحث. ومن بين هذه الدراسات:

أثر القرآن الكريم في النثر الجزائري الحديث،[٥] هدف الباحث في هذه الدراسة إلى الوقوف على واقع التجديد في كل الأساليب والأشكال الأدبية الرفيعة، كالتغيير في الصياغة الشكلية واللغوية؛ خلافًا لما هو معهود في أسلوب النثر الجزائري في عهد الاحتلال الفرنسي ١٨٣٠م، المعتمد على الأسلوب التقليدي، حيث يسوده التكلف، والسجع، والصور الجامدة، ويتحرر من تلك القوالب المعتمدة سلفًا، ومال أسلوبه إلى السهولة، متجنبًا التعميم، منتهجًا أسلوب التجرد والتحرر من الألفاظ الغريبة. وقد اعتمد الباحث عدة مناهج منها: المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاجتماعي، وتناول كل محور بالمنهج الذي تقتضيه طبيعة الموقف، مما يستلزم الاستقراء وتتبع الظاهرة، من أجل تكامل المناهج؛ ولتقديم صورة لحقيقة الاقتباس من القرآن الكريم.

ويستفيد البحث الحالي من هذه الدراسة؛ في الوقوف على الكيفية التي حاول بها الأدباء استلهام المعاني القرآنية في النثر في عصر اليعاربة، المتمثل في رسائل العلماء إلى الأئمة، ورسائل الأئمة إلى عمالهم في الأمصار، وكذلك في الوقوف على أثر القرآن الكريم في المعجم اللغوي، كما استفاد هذ البحث من تناول هذه الدراسة للتصوير الفني في القرآن الكريم من جانبيه الموضوعي واللغوي.

وقد ركزت هذه الدراسة على أثر القرآن الكريم في النثر الجزائري ولم تتطرق إلى جانب الشعر الجزائري الحديث، بينما هذا البحث جمع اللونين معًا من الأدب في عصر اليعاربة.

---

[٥] انظر: حسين مشيش، **أثر القرآن الكريم في النثر الجزائري الحديث (١٩٢٥-١٩٦٢م)**، (رسالة دكتوراه، جامعة باتنه، الجزائر، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م).

أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث[٦]: هدف الباحث في هذه الدراسة إلى الوقوف على أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث، هذا الأثر الذي يتمثل في: القصة، والرمز، والمفردة، والتركيب، والتناص الشعري، والإيقاع الموسيقي، حيث رأى الباحث أثر القرآن الكريم في هذا الجانب واضحاً جلياً، لأن الشاعر كان يلجأ في أحايين كثيرة للتضمين القرآني عن حاضر الشاعر وقضايا مجتمعه المعاصر.

قد اعتمد الباحث في دراسته هذه؛ المنهج الوصفي، إضافة إلى بعض المناهج الأخرى التي كانت تلجأ الدراسة إليها؛ كالمنهج التكاملي نظرًا لبسطها الحديث في قضايا كثيرة كالرمز، والتناص، والشعرية، والإيقاع وغيرها، الأمر الذي يصعب معه الاتكاء على منهج واحد، ولذلك تعددت زوايا النظر في الرسالة في بعض الأحيان، فهي تنظر بخليط من العدسات النقدية.

ويستفيد البحث الحالي من هذه الدراسة في صياغة هيكل البحث، وفي إبراز وجوه التأثير القرآني في الشعر، ومحاولة تطبيق ذلك على الشعر في عصر اليعاربة، لوجود التشابه في مقاومة الاحتلال، وقد ركزت هذه الدراسة على جانب الشعر في فلسطين؛ بينما يركز البحث الحالي على الجانب الشعري والنثري معًا؛ للوقوف على أكبر قدر من الجوانب الأدبية من شعر ونثر.

أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث[٧]: هدف الباحث في هذه الدراسة إلى مقاربة أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث، والتعرف على طرائق الشعراء في استدعائها، ودور هذا الاستدعاء في بناء القصيدة الحديثة، وتقديم رؤاها الشعرية، معتقدًا أن في الكشف عن مرجعيات النصوص تبديدًا لظلمتها، وتجلية لغموضها، وتحقيقًا لتفاعل جمهور الشعر بها ومعها، الأمر الذي يعيد للشعر حضوره المدهش والفاعل، ويحميه من خطر المقاطعة حين تتعطل عملية التلقي، فيتعرض الشعر ودوره للإلغاء.

---

[٦] انظر: جمال فلاح النوافعة، **أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث**، (رسالة دكتوارة، جامعة مؤته، الأردن، ٢٠٠٨م).

[٧] انظر: حسن مطلب المجالي، **أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث**، (رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٩م).

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج التحليلي التكاملي في مقاربته للنصوص الشعرية، وقد استعانت الدراسة بالسيمياء الشعرية –كلما اقتضت الحاجة – لترجمة الإشارات اللغوية وإيحاءاتها، وربطها بمرجعياتها داخل النص وخارجه، سعيًا وراء استظهار الرؤية الشعرية التي تتكئ على هذه الإشارات ودلالاتها المتعددة، خاصة تلك الإشارات التي تنتمي إلى سياقات القصة القرآنية وفضاءاتها المقدسة.

يستفيد البحث من هذه الدراسة بوقوفه على المصطلحات، واشتغالها، ومعرفة وظائف كل منها، لكن هذه الدراسة منحت القصة القرآنية خصوصية في الأدب، والأصل أن الفنون تتداخل، وأن تأثر الشعر بالقصة يكون واضحًا وجليًا، بغض النظر عن تأثير الشعر والنثر معًا بالمفردة، والتركيب، والصورة، والأساليب القرآنية، مع العلم بأن البحث الحالي يركّز على هذه الجوانب عامة، والمتمثلة في المفردة، والتركيب، والأساليب، والصورة، والرمز من جوانب متعددة في الأدب في عصر اليعاربة.

أثر القرآن الكريم في الخطاب النثري الأندلسي في القرن الخامس الهجري:[٨] هدف الباحث في هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على بعض جوانب الأثر القرآني في رسائل الكتّاب الأندلسيين في القرن الخامس الهجري. كما هدف إلى لفت أنظار الباحثين إلى ضرورة تلمس جوانب ذلك الأثر بشكل تفصيلي. وقد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الاستقرائي الوصفي؛ إذ تناول النصوص على أسس موضوعية، ثم الإفادة من مضمونها.

ويستفيد البحث الحالي من هذه الدراسة؛ في كيفية إبراز المعاني القرآنية من النصوص الأدبية في عصر اليعاربة، وكذلك في كيفية الإشارة إلى تلك المعاني. كما يستفيد في الكيفية التي وظف بها الأدباء في عصر اليعاربة الفاصلة القرآنية، وكذلك في كيفية توظيف الأدباء في عصر اليعاربة للأساليب الفنية القرآنية.

الحياة العلمية بعُمان في عصر اليعاربة:[٩] هدف هذا البحث إلى إبراز الحياة العلمية التي كانت مزدهرة أيام اليعاربة، ولم يقتصر المؤلف فيه على مراجعة ما يتصل بالحياة العلمية في

---

[٨] انظر: طارق محمد السلامين، **أثر القرآن الكريم في النثر الأندلسي في القرن الخامس الهجري**، (رسالة ماجستير، جامعة مؤته، الأردن، ٢٠١٠م).

[٩] انظر: موسى بن سالم البراشدي، **الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة**، (دمشق: دار الفرقد، ط١، ٢٠١٢م).

عهد اليعاربة، من كتب التاريخ، تلك التي دونت في العهد اليعربي، "ككشف الغمة الجامع لأخبار الأمة" للأزكوي، أو كتب التاريخ الحديثة والمتأخرة، ك"تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان" لسالمي، وكتاب "إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان" للبطاشي، وكتاب "جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار" للمغيري، ومؤلفات السيابي... وغيرهم؛ ومصادر الفقه وكتب الفتوى، ودواوين الشعر وكتب الأدب، المخطوط منها والمطبوع.

اعتمد الباحث المنهج الوصفي في دراسة هذا الموضوع، لا سيما عند الحديث عن الرخاء الاقتصادي، والاهتمامات العلمية، والنتاج الفكري للأئمة والعلماء. كما اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي الاستنتاجي عند تناوله موضوع التسامح الديني، ونظام التعليم ومراكزه، حيث تم الاعتماد في ذلك على بعض المخطوطات التي ترجع إلى تلك الفترة، وكذلك المصادر الدفينة المتمثلة في الكتب الفقهية والأدبية، وكذلك دراسة النقوش والمخلفات الأثرية الموجودة في بعض تلك القلاع والحصون من عهد دولة اليعاربة.

يستفيد البحث الحالي من هذه الدراسة؛ بوقوفه على مصادر الفقه، ودواوين الشعر، والكتب المرتبطة بالبحث في تحليل النصوص الأدبية، وبوقوفه على أثر القرآن الكريم فيها، من حيث الصورة الفنية، وجوانب تلك الآثار، وكذلك بالوقوف على المصادر الدفينة التي وضحتها الدراسة، والأصل أن الشعر والنثر متداخلان في الحياة العلمية لأي عصر من العصور، فإذا كان هناك ازدهار للحياة العلمية، فلا بد أن يسهم ذلك في ازدهار الأدب بصفة عامة في ذلك العصر، مع العلم بأن البحث الحالي يركز على أثر القرآن الكريم في الأدب بنوعيه (الشعر والنثر)، بينما هذه الدراسة ركزت على التمجيد والتوثيق للعلماء، والأدباء، والشعراء في تلك الحقبة من التاريخ.

عمان تاريخ له جذور:[١٠] هدف الباحث في هذه الدراسة إلى الوقوف على تقديم أصدق وأوضح صورة للأحداث والأزمان التي وصفها، وقد اتبع الباحث المنهج التاريخي في دراسته؛ حيث تتبع الأحداث وسردها عبر التاريخ، بداية من نسل عدنان وقحطان إلى أن وصل لعهد جلالة السلطان سعيد بن تيمور.

---

[١٠] انظر: وندل فيليب، **عمان تاريخ له جذور**، ترجمة مركز المؤسسة، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠١٢م/١٤٣٣هـ).

ويستفيد البحث الحالي من هذه الدراسة في تتبع الأحداث التاريخية التي أثرت في إثراء الأدب العماني في عصر اليعاربة وساهمت في زيادة وخصوبة الأدب شعرًا ونثرًا، كما يستفيد من النصوص النثرية التي تضمنتها هذه الدراسة متمثلة في رسالة الإمام سلطان بن سيف الأول رادًّا فيها على الحاكم المسيحي الذي يهدّده ويتوعّده بشراسة الانتقام.

البنية الفنية للخطب والمقامات في عصر اليعاربة[١١]: هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على مقاربة الرسائل والمقامات في عصر اليعاربة، أي رسائل أئمة اليعاربة، من أمثال الإمام ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م)، وسلطان بن سيف(ت:١٦٧٩م)، وسيف بن سلطان(ت:١٧١١م) اليعاربة، والمقامات التي وصلت إلينا عن علماء وأدباء هذا العصر. حيث استقرأ الباحث في هذه الدراسة البنيتين المعنوية واللفظية للرسائل والمقامات، متوسِّلاً بمنهج نقدي يهتم بالنص ذاته؛ أي ينظر إلى بنية المعاني، والأفكار، والآراء، والثقافات المكونة للنص من هذه الناحية، كما ينظر إلى الجانب التركيبي للألفاظ، والجمل، والأساليب، ومدى ارتباط تلك البنى جميعًا بواقع البيئة العمانية، وما عاشته من وقائع وأحداث.

وقد أشار الباحث إلى أن النظر لمثل هذا اللون من الأدب النثري الذي ازدهر في عصر اليعاربة؛ له أسبابه ومقوماته، ويعد في الوقت نفسه- وثيقة- تستقرئ بعمق الكلمة التي تعكس طبيعة ذلك العصر الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

يستفيد البحث الحالي من هذه الدراسة في الجانب النثري؛ برصده مجموعة من الرسائل والمقامات التي تطرق إليها الباحث، وكذلك يستفيد من استقراء الباحث من البنيتين المعنوية واللفظية؛ بالنظر إلى بنية المعاني والأفكار والآراء.

ويختلف البحث الحالي عن هذه الدراسة؛ بكونه أكثر شمولية في جمع النصوص النثرية المتمثلة في رسائل العلماء إلى الأئمة، ورسائل الأئمة إلى ولاتهم في الأمصار، التي تتمثّل في الخطب والمقامات والقصص الأدبية في ذلك العصر، كما تميزت بالجمع بين الشعر والنثر في بيان أثر القرآن الكريم فيهما.

---

[١١] انظر: خميس بن ماجد الصباري، **البنية الفنية للخطب والمقامات في عصر اليعاربة**، (ندوة الحركة العلمية في عصر اليعاربة، مسقط (الخوير، ١٠/١١/٢٠١٥م)، مسرح كلية العلوم الشرعية. ١٠نوفمبر٢٠١٥م).

النص وأبعاده الدلالية في شعر التحرير عند اليعاربة (الحبسي أنموذجا)[١٢]: هدف هذا البحث إلى الربط بين البعد التاريخي والبعد النصي والبعد الدلالي، وقد اختار الباحث الحبسي أنموذجًا لشعراء الفتوحات لدى العمانيين اللذين سجلوا في دواوينهم أحداث هذه الفترة، التي تربط الأبعاد الثلاثة معًا، متخذًا من شعره نموذجًا دالًّا على القضايا التي سيتناولها، معتمدًا على مناهج نقدية جديدة، تقرأ البعد التصوري الدلالي لشعرية الحرب، مثل المنهج النفسي، والمنهج التاريخي، والمنهج التحليلي.

وقد ركزت هذه الدراسة على البعد الدلالي للنص في شعر التحرير عند اليعاربة، الأمر الذي يفيد البحث الحالي عند تناوله أثر القرآن الكريم في أدب عصر اليعاربة؛ لكون هذا العصر كثير الحروب؛ وخاصة ضد البرتغاليين الذين كانوا محتلين ومسيطرين على البلاد، وقد ركّزت هذه الدراسة على شاعر واحد فقط من بين باقي الشعراء، وهو الحبسي، بينما البحث الحالي لم يقتصر على شعر شاعر واحد، بل يشتمل على عدد من شعراء هذا العصر، الذين يعدّ الحبسي واحدًا منهم.

أثر القرآن الكريم في الأدب العربي– دراسة بعض الأساليب– محمود درويش أنموذجًا[١٣]: هدف الباحث في هذه الدراسة إلى الوقوف على الجمع بين القرآن الكريم والشعر الفلسطيني، والوقوف على تأثر الشعراء الفلسطينيين بما جاء في هذا الشعر من قصص وعبر. اعتمد الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. وقد اعتمد على خطة منهجية في هذه الدراسة.

يستفيد البحث الحالي من هذه الدراسة في الوقوف على الجوانب التي أثر فيها القرآن الكريم في شعر محمود درويش، والمتمثلة في القصة، والرمز، والمفردة، والتركيب، والتناص الشعرية، والإيقاع الموسيقي، التي كان أثر القرآن الكريم فيها واضحًا جليًّا. وقد ركزت هذه الدراسة على

---

[١٢] انظر: عيسى بن محمد السليماني، **النص وأبعاده الدلالية في شعر التحرير عند اليعاربة**. (ندوة الحركة العلمية في عصر اليعاربة. مسقط (الخوير، ١٠/١١/٢٠١٥م)، مسرح كلية العلوم الشرعية. ١٠نوفمبر٢٠١٥م).

[١٣] انظر: زهية الوناس، **أثر القرآن الكريم في الأدب العربي– دراسة بعض الأساليب– محمود درويش أنموذجًا**، (الجزائر: البويرة، جامعة أكلي محند أو لحاج. ٢٠١٦-٢٠١٧م).

الشعر الفلسطيني المتمثل في شعر محمود درويش، بينما هذا البحث يركز على الشعر والنثر في عصر اليعاربة؛ ولم يقتصر على شعر شاعر واحد من شعراء القطر أو البلد.

وجوه تأثير القرآن الكريم في علوم اللغة العربية وآدابها[١٤]: هدف هذا البحث إلى محاولة الوقوف على وجوه تأثير القرآن الكريم في علوم اللغة العربية وآدابها المختلفة، وسرد تلك الوجوه من تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية. اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي المناسب لموضوع الدراسة، والذي حاول بسط المسألة في وجوه تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية، باستقصاء كل تلك الوجوه مدلّلًا عليها بأقوال الباحثين والعلماء.

وركزت هذه الدراسة على وجوه تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية عامة، بينما ركز بحثنا على وجوه التأثير القرآني في أدب عصر اليعاربة شعرًا ونثرًا. يستفيد البحث الحالي من هذه الدراسة من خلال معرفة وجوه التأثير القرآني في اللغة العربية عامة، ومحاولة تطبيقها على الأدب في عصر اليعاربة خاصة.

المقاومة العمانية للوجود البرتغالي في الخليج والمحيط الهندي من ١٥٠٧م–١٦٩٨م:[١٥] هدف الباحث في هذه الدراسة إلى توضيح أهم الملابسات التاريخية التي شهدتها عمان خلال فترة وصول البرتغاليين إلى المنطقة، وخاصة الوضع السياسي السيء في عمان خلال فترة حكم بني نبهان. كما هدف إلى بيان الدور الذي قام به العمانيون في مقاومة الوجود البرتغالي. كما هدف إلى توضيح الدور الكبير للعمانيين في تحرير مناطق الخليج العربي، والساحل الغربي للهند، والساحل الإفريقي الشرقي من المستعمرين البرتغاليين.

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج التاريخي، لا سيما في توضيح أهم الأحداث التاريخية التي شهدتها عمان خلال الفترة من ١٥٠٧م – ١٦٩٨م.

وتختلف هذه الدراسة عن البحث الحالي في أنها دراسة تاريخية بحتة لا علاقة لها بالأدب؛ لكن يستفيد البحث منها في تتبع الأحداث التاريخية المؤثرة في النتاج الأدبي للأدب

---

[١٤] انظر: وليد فكري فارس، صالح بن سليمان الزهيمي، سلطان بن مبارك الشيباني، **الرسالة الحضارية للأدب العماني**، (مسقط: مركز ذاكرة عمان، ٢٠١٧م).

[١٥] انظر: أحمد بن حميد بن الذيب التوبي، **المقاومة العمانية للوجود البرتغالي في الخليج والمحيط الهندي من ١٥٠٧–١٦٩٨م**، (سلطنة عمان: مؤسسة بيت الغشام للصحافة والنشر، ط١، ٢٠١٧م).

العماني في عصر اليعاربة، كما يستفيد أيضًا؛ في توضيح أثر القرآن الكريم في النتاج الأدبي خلال هذه الفترة.

الفصل الثاني
مصادر التراث اليعاربي والخلفيات التاريخية

تعدّدت المصادر التي يستقي منها الأدب محتواه، ويتأثر بها تأثرًا واضحًا، ومن "المتعارف عليه أنّ تراث عمان تراث ثرٌ وعريق، وتحفّ عمان بالعديد من المصادر والدلائل عن هذا التراث"[١]، وكان لا بدّ من الوقوف على تلك المناهل التي نهل منها الأدب اليعربي؛ لذا وقف الباحث في هذا الفصل عند مبحثين: الأول بعنوان: مصادر التراث اليعربي، وفيه ثلاثة محاور، المحور الأول يتناول التراث التاريخي للأدب اليعربي، والمحور الثاني يتناول التراث الديني، أمّا المحور الثالث فيتناول التراث الأدبي، ثمّ ينتقل الباحث بعد ذلك للمبحث الثاني المعنون بـ: الخلفيات التاريخية لدولة اليعاربة، والذي يضمّ محورين: الأول: ظهور الدولة اليعربية، والثاني: أثر الأحداث التاريخية في النتاج الأدبي اليعربي، ويقف فيه الباحث عند الحدود التاريخية لدولة اليعاربة؛ ليرصد ملامح ولادة هذه الدولة، ويرصد أهمّ الأحداث التي تأثّرت بها، ويعرض تسلسل فترات الحكم فيها على يد أئمة حكموها، وأثّروا في تاريخها، ثمّ يتطرّق إلى أثر الأحداث التاريخية على النتاج الأدبي اليعاربي.

المبحث الأول: مصادر التراث اليعاربي

تتعدّد مصادر التراث اليعاربي ما بين التراث التاريخي والتراث الديني والتراث الأدبي، وسيتناول الباحث هذه المصادر؛ بالوقوف على كلّ منها.

أولًا: التراث التاريخي

إنّ الأحداث التي تحدث في تاريخ أيّ دولة تمثّل قوام هذه الدولة من الحضارة، وتعدّ الإرث التاريخي الذي يعرض ملامح هذه الدولة منذ بداية طفولتها، كما تعرض مراحل نموّها وحركة تطوّرها. وقد "شهدت بدايات القرن السابع عشر الميلادي مولد دولة جديدة في عمان بقيادة

[١] فاروق عمر فوزي، **دراسات في تاريخ عمان**، (د.م: منشورات جامعة آل البيت، د.ط، ٢٠٠٠م)، ص ١٣.

ناصر بن مرشد اليعربي (١٠٣٤هـ-١٦٢٤م- ١٠٥٩- ١٦٤٩م) الذي تمّ اختياره من قبل علماء ذلك العصر، وعلى رأسهم الشيخ خميس بن سعيد الشقصي (ت: بين ١٠٥٩هـ و١٠٩٠هـ) ، فعمل اليعاربة منذ ذلك الحين على تخليص البلاد من التفكّك والانقسام الداخلي، والوجود البرتغالي الذي سيطر على السواحل العمانية منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي، وبذلك أضاءت دولة اليعاربة صفحة من صفحات تاريخ عمان المجيد، الأمر الذي شجّع المؤرخين على الكتابة عن تاريخ هذه الدولة"[٢]. هذه الحقبة مثّلت مادة دسمة للمؤرخين، فقد كانت هذه الحقبة الزمنية محطّة تاريخية في حياة أهل عمان، ففيها قويت شوكة العمانيين، واستطاعوا هزيمة البرتغاليين، ودحرهم عن سواحلهم.

وقد "ركّز أغلب المؤرّخين في كتاباتهم عن دولة اليعاربة على الدّور الذي قاموا به في طرد البرتغاليين من السواحل العمانية، ومنطقة الخليج العربي وسواحل إفريقيا الشرقيّة حتى منطقة موزنبيق، وهكذا ظهر الكثير من الكتابات التاريخية، سواء أكانت أكاديمية أم مقالات علميّة، تناولت قصة الصراع العماني البرتغالي في عهد اليعاربة؛ بصورة جعلت ذهن القارئ يربط بين اليعاربة وخلفية الصراع، وكأنّ تاريخ عمان في عهد اليعاربة لم يكن إلا صراعًا ضدّ البرتغاليين، ولكنّ الحقيقة الثابتة أنّ هنالك صفحات أخرى مشرقة لتلك الدولة، تمثّلت في النواحي الحضارية: كالثقافية والاقتصادية والاجتماعية"[٣]، وقد مثّل التّراث التاريخي للأدب العماني عصبًا مهمًّا من حيث إتاحته الفرصة للعلماء والأدباء عامّة وللشعراء خاصة فرصة رفد إنتاجهم بمعالم الحياة العمانية، وترصيعها بالإثباتات التاريخية، فبعض النتاجات الأدبية قد أسهبت في التفصيلات التاريخية _كما سنرى لاحقًا_ ومنها ما طعّمت مادّتها بالقصص والحكايات من باب سرد التاريخ لا الوقوف عليه.

وقد اهتمت المصادر التاريخية التراثية بالشّعر، فأورد بعضهم نصوصًا شعرية يتحدّث فيها عن حادثة ما، باعتبار أنّ الشّعر ديوان العرب، و"إذا كانت المصادر التاريخية التراثية قد اهتمّت بالشعر هذا الاهتمام؛ فإنّ المصادر الحديثة التاريخية لم تجد نفسها في حاجة إلى مواصلة هذا الجهد، ومن ثمّ فإنّها اكتفت بالإشارة إلى ما ذكرته المصادر التراثية التي أخذت عنها،

---

[٢] البراشدي، **الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م إلى ١١٥٧هـ/١٧٤٤م.**

[٣] المصدر نفسه، ص١٣.

وأمسكت في معظم الأحيان عن الدخول في أيّ من التفصيلات الأدبيّة، وذلك هو الشأن في كتاب تاريخي حديث... ونعني به كتاب الشيخ سالم بن حمود السيابي(ت: ١٩٩١م): (عمان عبر التاريخ)"[٤]. إنّ العلاقة بين التراث التاريخي والأدب وثيقة، فالتراث يقتبس من الأدب ما يدعّمه، والأدب يتّخذ من التراث التاريخي مادة خصبة له، فالعلاقة تبادلية بين كلّ منهما. استقى النتاج الفكري اليعربي من مصادر عدّة، أهمّها:

كتب السّير العمانية

تعدّ كتب السّيرة من أحد أهمّ مصادر التّراث التاريخي، فهي تنقل لنا حياة الشّخوص، وأعمالهم، تدوّن فيها مجريات الأحداث المعاصرة لهم، وقد تغلب على هذه السِّير السياسية والعقائدية، "إنّ هذه المذكرات السياسية والعقائدية التي كتبها عمانيون من علماء وساسة تعدّ أقدم ما وصلنا من تاريخ عمان... لقد اعتمد على هذه السِّير العديد من المصادر العمانية التي تلتها"[٥]، ومن أهمّ كتب السّير العمانية:

"سيرة شبيب بن عطية العماني(ت: ١٧٥هـ/٧٩١م" الذي عاصر الإمامة الإباضيّة الأولى، فكتب عن الحركة ودافع عنها، ووقف أمام خصومها[٦].

"سيرة أبي الحسن علي بن محمد البسيوي (ت: القرن ٤هـ) الموسومة ب (الحجة على مَن أجّلَ السؤال في الحدث الواقع بعمان) والبسيوي من علماء القرن الخامس الهجري... وكانت آراؤه منتشرة بين الإباضية في عمان، ويعتبر دعامة من دعائم العقيدة الإباضية"[٧].

كتب التراجم العمانية

تعدّ كتب التراجم ثروة هائلة في التاريخ الحضاري لأيّ دولة؛ إذ إنّها تمثّل محفوظات جزء من سير العلماء والفقهاء والحكّام وغيرهم، فهي تقف على أنسابهم وحياتهم، هذه الأنساب

---

[٤] أحمد درويش، **مدخل إلى دراسة الأدب في عمان**، (دار الأسرة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت)، ص٤٦.

[٥] فاروق عمر فوزي، **دراسات في تاريخ عمان**، (منشورات جامعة آل البيت، د.ط، د.ت)، ص٤٠.

[٦] انظر: المصدر نفسه، ص ٥٣.

[٧] المصدر نفسه، ص٢٤.

وامتداداتها جزء لا يتجزّأ من التاريخ، وهي تمثّل "مصادر كتبها مؤلفون عمانيون، إمّا عن سيرة أحد الأئمة العمانيين، أو تراجم لعدد من هؤلاء الأئمة في عصر من العصور، فهناك سيرة الإمام العادل ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م) لابن قيصر(ت: ١٦٦٥م)، وبدر التمام في سيرة السيد الهمام سعيد بن سلطان(ت:١٨٥٦م) لابن رزيق(ت:١٨٧٤م)... وهناك (الشعاع الشائع باللّمعان في ذكر أسماء أئمة عمان)[٨] لابن رزيق(ت:١٨٧٤م)"[٩].(سيرة الإمام ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م)).[١٠]لعبد الله بن خلفان بن قيصر(ت: ١٦٦٥م)، وتعدّ هذه السّيرة من أهمّ المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ دولة اليعاربة؛ حيث إنّها تناولت الحقبة الزمنية في تاريخ دولة اليعاربة بإمامة ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م) حتى وفاته، وقد كان مؤلف هذه السّيرة معاصرًا لهذه الحقبة[١١].

الصحف التاريخية

الصحف من أهمّ مصادر التاريخ، وهي عبارة عن "تراجم وتاريخ في إطار النسب، إضافة إلى اقتباسات من كتب متنوّعة في الفقه... موضوعها؛ هو أهل اليمن والقبائل القحطانية من حيث أنسابها وتنقّلاتها وعلاقاتها بالقبائل الأخرى، إضافة إلى سِير وتراجم الشخصيات اللّامعة في السّياسة والحرب والعلم والنفوذ من أهل اليمن"[١٢].

من أهمّ هذه الصحف (الصحيفة القحطانية)[١٣] لحميد بن محمد بن رزيق بن بخيت النخلي العماني(ت:١٨٧٤م)، وقد ضمّت هذه الصحيفة في طيّاتها سير أئمة اليعاربة في جزئها

---

[٨]. حميد بن محمد بن رزيق، **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، تحقيق: عبد المنعم عامر**، (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، د.ط، ١٩٨٤م).

[٩] فوزي، **دراسات في تاريخ عمان**، ص٤٩.

[١٠] عبد الله بن خلفان بن قيصر، **سيرة الإمام ناصر بن مرشد**، تحقيق: عبد المجيد القيسي، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ط٢، ١٩٨٣م).

[١١] انظر: المصدر نفسه.

[١٢] فوزي، المصدر نفسه، ص٤٧.

[١٣] حميد بن محمد بن رزيق، **الصحيفة القحطانية**، تحقيق: محمود بن مبارك السليمي، وحبيب صالح، وعلال الصديق، (من عيون التراث العماني، وزارة الثقافة والتراث العماني. ط١، ٢٠٠٩م)، ج٥.

الخامس والصحيفة العدنانية، وهي أيضًا لابن رزيق[١٤]، ومن الواضح أنّ هذه الصحف حوت بين ثنايا سطورها الكثير من زخم التراث التاريخي الذي يعدّ أهمّ مقوّمات الحضارة.

كتب الأنساب

يعدّ علم النسب والأنساب من أهمّ العلوم التي تميّز بها العرب، وفي كتب الأنساب يجد الباحث عن التاريخ الكثير ممّا يبحث عنه، وهذه الكتب الخاصة بالأنساب ما هي "إلا كتب تاريخ في إطار النسب على غرار (أنساب الأشراف) للبلاذري(ت:٢٧٩هـ)"[١٥]، فهي تتطبّع بالطابع التاريخي المتسلسل. ويعدّ كتاب (أنساب العرب) أقدم كتاب متكامل وصلنا عن تاريخ عمان، يفصّل في الحديث عن أهل عمان، ويوضّح الهجرات اليمانية والمضريّة وغيرها التي استقرّت فيها، على أنّه يتوسّع أكثر في ذكر القبائل الأزدية اليمانية، ويتضمّن معلومات عن تاريخ عمان قبيل الإسلام، ويذكر الرسالة التي بعثها الرسول (ص*)[١٦]إلى آل الجلندي؛ يدعوهم فيها للإسلام"[١٧]، وبهذا كان لكتب الأنساب أهميّة كبيرة في التراث العماني.

كتب التاريخ

من أهمّ المصادر التاريخية وأكثرها تداولًا كتب التاريخ التي تُعنى بنقل الأحداث التاريخية، وذلك بتسجيلها تفاصيل الأحداث والوقائع؛ لتكون خير شاهد على عصورها، ومن أهمّ الكتب التي تؤرخ للتراث اليعربي:

---

[١٤] من علماء عمان في القرن التاسع عشر الميلادي، وهو كثير التآليف، مولع بالتاريخ والأنساب والشعر، ولعلّه أكثر مؤرخي عمان شهرة

[١٥] المصدر نفسه، ص٤٠.

[١٦] * صلى الله عليه وسلم. الاقتباس كما ورد.

[١٧] فوزي، المرجع نفسه، ص٤٢.

كتاب (كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمة)[١٨]لمؤلفه سرحان بن سعيد الإزكوي (ت:١٧٣٧م)[١٩]"، ويعتبر هذا المصدر من الكتب الموضوعيّة التي عالجت فترة زمنية طويلة، وقد اعتمد عليه أغلب المؤرخين الذين جاؤوا بعد هذه الفترة، ويوجد مخطوط لهذا الكتاب يختلف عن المنشور في كونه يتضمّن فصلًا عن العقيدة".[٢٠]. منهج المؤلف في الكتاب: "قدّم كتابه بأسلوب المؤرخ الذي تهمّه المادة التاريخية أكثر ممّا تهمّة البلاغة والأساليب البيانية، وقد قدّم سردًا منطقيًا ومتوازنًا للحقائق بعبارات موجزة وواضحة ومفهومة، ولدى وصفه للمناسبات والأحداث الخطيرة استشهد بأشعار شعراء معاصرين لها. اتّبع أسلوب التأريخ الحولي لأحداث سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم... اتّبع أسلوب التأريخ على أساس الموضوعات في بقية الأبواب الأخرى"[٢١].

كتاب (سراج المسترشد الهادي إلى مناقب سيرة الإمام الممجّد ناصر بن مرشد) لابن رزيق(ت:١٨٧٤م). وقد تناول فيه المؤلف بيعة الإمام ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م) وعدّد مناقبه، وذكر مدى اهتمامه بالعلم والعلماء، وقد احتوى الكتاب صنفي الكلام من الشعر والنثر[٢٢].

كتاب (تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان)[٢٣]للإمام نور الدين عبد الله بن حميد السالمي(ت:١٣٣٢هـ)[٢٤]، وقد كان المؤلف "يدقّق في نقل الروايات التاريخية، وقد تميّز عن المصادر التاريخية السابقة في كونه أفاد من مختلف المصادر، وكتب بشكل مفصّل عن أئمة

---

[١٨] سرحان بن سعيد الإزكوي، **كشف الغمة الجامع في أخبار الأمة**، تحقيق: محمد حبيب صالح، ومحمود بن مبارك السليمي، (سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، ط٢، ٢٠١٣م)، ج٥،

[١٩] من علماء عمان في القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي... أدرك أيّام الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، وحضر البيعة الثانية له بنزوى سنة ١١٦٧هـ"١٩، وقد توفيّ "في سنة ١١٥٠هـ/١٧٣٧م.

[٢٠] البراشدي، **الحياة العلمية في عمان في عهد اليعاربة**، ص١٨.

[٢١] الإزكوي، المرجع نفسه، ج١، ص١٢-١٣.

[٢٢] انظر: المصدر نفسه، ص١٩.

[٢٣]انظر: السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، تصحيح وتعليق: إبراهيم الجزائري، (القاهرة: مطبعة الشباب، ط٢، د.ت)، ج١.

[٢٤] من أشهر مؤرّخي تاريخ عمان، ورغم أنه فقد بصره وهو في سن الثانية عشرة من عمره، وأنّه توفي، ولا يزال في الأربعين من عمره فقد برز في ميدان الفقه والتاريخ، كما لعب دورًا أساسيًا فعالًا في عمان في بداية القرن العشرين

اليعاربة، وقد أورد عهود الأئمة لولاتهم، متضمّنة وصاياهم، كما تناول مدرسة جبرين، واهتمام الإمام بلعرب بالتعليم بشيء من التفصيل، و أفضل من المصادر التاريخية السابقة بشكل عام "[٢٥]، ومن الطبيعي أن يسبق هذا الكتاب ما سبقه من الكتب من حيث الأفضلية؛ لأنّه استطاع الإفادة من معظم المصادر المتوفّرة حوله، إضافة إلى طريقة الكاتب الذي مال فيها إلى توضيح تفاصيل الأحداث.

كتاب (قصص وأخبار جرت في عمان)[٢٦]لأبي سليمان محمد بن عامر بن راشد المعولي، (ت: بعد عام م١٧٨٣)[٢٧]. يتناول هذا الكتاب "قصص وأخبار جرت في عمان، التاريخ العماني منذ دخول مالك بن فهم عمان خلال العقود الأولى من القرن الثاني للميلاد وحتى بداية حكم الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي"[٢٨]، وقد خلا الكتاب من مقدّمة للمؤلف، وتغلب على كتابه "الحماسة الدينية للإمامة، ويعرض عمّا سواه من حكم الملوك أو الولاة"[٢٩]، وهذا ما كان شائعًا في هذه الحقبة، الكتابة عن بعض الأئمة بدافع الولاء.

كتاب (الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين)[٣٠]:

يعد كتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين؛ الذي ألفه المؤرخ والأديب والشاعر ابن رزيق(ت:١٨٧٤م)، من أهم الكتب والمؤلفات التي دونت التاريخ العماني، ويروي ابن رزيق كثيراً عن بعض الثقات، في الحديث والرواية التاريخية؛ منهم الشيخ خاطر بن حميد الإبداعي النخلي، ومعروف بن سالم الصائغي، ومحسن العجمي القصاب، وهم من الرجال الذين عاصروا أحداث عمان، في عهد الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي وأولاده من بعده.

---

[٢٥] البراشدي، **الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة**، ص١٩.

[٢٦] أبو سليمان محمد بن عامر بن راشد المعولي، **قصص وأخبار جرت في عمان**، تحقيق: سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي، (عمان: وزارة التراث العماني والثقافة، ط٢، ٢٠١٤م).

[٢٧] انظر: المؤرخ العربي، **مجلة اتحاد المؤرخين العرب**، العدد ٤٧، السنة التاسعة عشرة/ (١٩٩٣م)، ص١٣.

[٢٨] المعولي، المرجع نفسه، ص٢٦

[٢٩] المصدر نفسه، ص٢٤.

[٣٠] حميد بن محمد بن رزيق العبيداني، **الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين**، (سلطنة عمان: المطابع العالمية، روي، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج١.

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام رئيسة؛ القسم الأول يعرض تاريخ عمان من ٤١هـ /٦٦١م إلى عهد الإمام أحمد بن سعيد ١١٥٤هـ/١٧٤٩م، والثاني عهد السلطان أحمد بن سعيد إلى عهد حفيده سعيد البوسعيدي، والثالث عن حياة وأعمال السلطان سعيد بن سلطان حتى وفاته١٨٥٦م ويبدأ الكتاب بذكر أنساب أهل عمان وقبائلها، ثم تاريخ عمان خلال العصرين الأموي والعباسي.

(تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة)[٣١]:

وهذا المخطوط مقتبس من كتاب "كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة"، للمؤرخ العماني سرحان بن سعيد الإزكوي (ت: ما بين١٧٥٥م و١٧٦٥م)، وهو أول مخطوط جامع لأخبار عمان بدءاً من العصر الجاهلي وحتى نهاية دولة اليعاربة، وهذه المخطوطة محفوظة في غلاف واحد مع سيرة الإمام العادل ناصر بن مرشد، في المكتبة البريطانية بلندن، ومؤلفها لا يزال غير معروف، ولكنه من مؤرخي القرن الثامن عشر الميلادي/الثاني عشر الهجري في عمان، ولهذا يعد معاصراً للمعولي(ت:١٧٧٧م) صاحب مخطوط (قصـــص وأخبار جرت بعمان).[٣٢]

وقد استقى مؤلف المخطوطة رواياته من كتاب (كشف الغمة)، للأزكوي(ت: ما بين ١٧٥٥م و١٧٦٥م)، ومع ذلك فإنه أحياناً يذكر روايات غير واردة في كتاب كشف الغمة، ويقسم المؤلف المخطوطة إلى أبواب، ويخصص كل باب لفترة معينة من فترات التاريخ العماني، ثم يقسم الأبواب إلى فصول عديدة،

فيقول–مثلاً–:"الباب الخامس في ظهور الإمام ناصر بن مرشد –رحمه الله–وذكر الأئمة من بعده، إلى وقوع الفتنة بين اليعاربة، وفي هذا الباب فصل عن فضائل الإمام ناصر بن مرشد."[٣٣]

---

[٣١] سرحان بن سعيد الإزكوي، **تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة**، تحقيق: عبد المجيد حسيب القيسي، (سلطنة عمان: المطابع الذهبية، وزارة التراث والثقافة، ط٤، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

[٣٢]تناول المخطوط تاريخ عُمان منذ هجرة مالك بن فهم الأزدي إليها في القرن الثاني للميلاد حتى ظهور أحمد بن سعيد البوسعيدي ي عام ١١٥٦هـ \١٧٢٨م. وتكاد تنطبق معلوماته مع كتاب (كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة(لسرحان بن سعيد الأزكوي الذي انتهت أحداثه في عام ١١٤٠هـ\١٧٢٨) انظر: المعولي، **قصص وأخبار جرت في عمان**، دراسة وتحقيق: سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي، (سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، ط٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

[٣٣] انظر: فاروق عمر فوزي، **دراسات في تاريخ عمان**، (منشورات جامعة آل البيت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

وفي المجمل هذه أهمّ مصادر التّراث التاريخي اليعربي، وقد غاب تدوين بعض أحداث التاريخ ربّما، لأسباب متعدّدة، منها انشغال العلماء في حقبة ما بتعليم الدّين، إضافة لانشغالهم في حلّ الخصومات والنزاعات التي كانت تهيمن من وقت لآخر على المنطقة، إلى جانب الحروب التي يتمّ عبرها فقد الكثير من المخطوطات، وضياع المدوّنات، وهذا ما سيتّضح لنا عند تناولنا الخلفية التاريخية لدولة اليعاربة، ويبقى ما أمامنا شاهدًا على التراث التاريخي لتلك الحقبة المراد تناول إنتاجها الأدبي في هذه الدراسة.

ثانيًا: التّراث الديني

إنّ الدّين أو الوجهة العقائدية لأيّ أمّة تعدّ سمة من أهمّ سماتها الحضارية، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تُستثنى وجهتها الدينيّة من دورها في تشكيل حضارة أو ثقافة هذه الأمّة. وتعدّ "عمان من أوّل البلدان التي اعتنقت الإسلام في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك عام ٦٣٠م للميلاد، حين وصل عمرو بن العاص إلى عمان مبعوثًا من النبي محمد صلى الله عليه وسلم يطلب من العمانيين الدّخول في الإسلام، والفرس آنذاك قد أحكموا سيطرتهم على المناطق الساحلية لعمان إلى غاية البحرين"[٣٤]، وحين انتشر الإسلام في عمان، بدأت حركة الدعاة، وبدأ العلماء بتدوين تعاليم الدين؛ لنشرها.

إنّ المطّلع على التراث العماني يستطيع أن يلحظ طابع المحافظة التي يتّسم به المجتمع العماني؛ إذ إنّ عمان في كلّ عهودها كانت متمسّكة بالدين، ذائدة عنه، محافظة على نسيجه الاجتماعي الإسلامي، فلم تخلُ عمان من العلماء الذين يقومون على الشؤون الدينية، ويوجهون العامّة، ويرشدونها، ويعظونها، ويعينون الأئمة على حمل المسؤولية تجاهها، بل كانوا يؤلفون المؤلفات التي تحمل توجيهات الدين وتعاليمه. لقد "تبوّأت العلوم الشرعية المجال الواسع في التأليف لدى العلماء العمانيين، بما تشمله من جوانب العقيدة والتفسير والفقه بأنواعه، وهذا ناتج عن الاهتمام الكبير من العلماء بتبصير الناس بأمور دينهم ومعاملاتهم الدنيوية"[٣٥]، وقد ظهر هذا واضحًا في عهد اليعاربة، الذي تميّز بـ "ظهور المؤلفات الفقهية المتخصصة، والتي لم

[٣٤] خير الناس، **أئمة اليعاربة حياة من أجل الدعوة**، (د.م: د.ن، ط١، ٢٠٠٦م)، ص١٨.

[٣٥] البراشدي، **الحياة العلمية بعمان**، ص١٤٥.

تكن موجودة من قبل، مثل كتاب (المهذّب وعين الأدب) في الميراث للمعولي(ت:١٧٧٧م)، وكتابه (خزانة الأخيار في بيع الخيار) للخراسيني(حي ١٠٤٥هـ)، كما ظهرت في تلك الفترة الموسوعات الفقهية... (جواهر الآثار ومنهج الأبرار والحجة على الفجار) لابن عبيدان(ت:١١٠٤هـ-١٦٩٢م)، ويقع فيما يقرب من أربعة عشر مجلدًا. وفي ذلك دلالة على العناية الكبيرة من العلماء بالتأليف المتكامل، خاصّة في مجال الفقه"[٣٦]، وقد خلّف هؤلاء العلماء تراثًا دينيًّا، يكشف عن محتوى عقولهم، وعن مدى تمسّكهم بدينهم، وقدرتهم على ربط علوم الفقه بالعلوم الأخرى.

لقد "سعى أئمة عمان عبر عصورهم المختلفة إلى نشر العلم والثقافة الإسلامية بمختلف فنونها، وأقاموا لذلك المعاهد والمراكز، وهذا دليل ارتباطهم بالشريعة الإسلامية، والرغبة في تعليمها وتعلّمها ومدارستها فقهًا ومعاملات وأصولًا وفروعًا"[٣٧].

رغم كلّ ما كان يدور من مشاحنات ومخاصمات في المجتمع العماني؛ كان للعلماء مكانتهم التي يستطيعون من خلالها الإسهام في فرض نفوذ الحكم، فـ"العلماء هم من يرشحون أفاضل الناس للإمامة، ولهم نفوذ كبير في جهاز الدولة، وقد يعملون على عزل إمام وتولية آخر؛ حسب ما تقتضيه مصالح المسلمين"[٣٨]، وقد أسهم العلماء في ثقافة العمانيين من خلال إرثهم من العلم، لقد خلّفوا وراءهم تراثًا يُعتدّ به، ففي عهد أئمة اليعاربة نشطت الحركة الدينية.

من أهمّ الكتب الدينية التي تعدّ مرجع التراث الديني للعمانيين:

[٣٦] البراشدي، **الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة**، ص١٤٦.

[٣٧] خير الناس، **أئمة اليعاربة حياة من أجل الدعوة**، ص٣٥

[٣٨] المصدر نفسه، ص٤٠.

كتاب (منهج الطالبين وبلاغ الراغبين)[٣٩]وهو كتاب يحوي في طيّاته مسائل فقهية، ومؤلفه الشيخ خميس بن سعيد الشقصي(ت: ما بين ١٠٥٩م و١٠٩٠هـ)[٤٠]، وتأتي أهمية هذا الكتاب من كون مؤلفه معاصرًا لدولة اليعاربة، بل يعتبر من مؤسسيها"[٤١].

كتاب (فواكه العلوم في طاعة الحيّ القيّوم)[٤٢]للشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الخراسيني(حي ١٠٤٥هـ) أهمّ المطوّلات في التراث العماني، إذ يحوي بين صفحاته التي قاربت ثلاثة آلاف صفحة؛ معلومات قيّمة في العقيدة والفقه والأدب والتاريخ والأمثال والحكم والطب، تبرز الوجه النيّر لفترة من فترات تاريخ عمان، ألا وهي فترة الأئمة اليعاربة"[٤٣].وبهذا التنوّع في المحتوى يُعدّ هذا الكتاب موسوعة ثقافية عمانية. لقد عاش الشيخ عبد الله "في العهد الأوّل من دولة اليعاربة، وبالتحديد إبّان حكم الإمام الثاني لهذه الدولة الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي... ومن المؤكد أنّ العلامة الخراسيني عايش حكم هذا الإمام من بدايته إلى نهايته"[٤٤]، أبدى الخراسيني في هذا الكتاب حذاقة لغوية ومعرفية عبر "شروحه اللغوية والأدبية، تدل على تضلّع راسخ في اللغة والأدب... لم يبق منحصرًا في إطار ما أباحته له الساحة العلمية في عمان، بل تعدّى ذلك إلى الاستفادة من الفكر الإباضي المغربي"[٤٥]، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على سعة الأفق التي كان يتمتّع بها علماء الدين، فقد كان معظمهم ملمًّا بعلوم اللغة والأدب والتاريخ.

---

[٣٩] خميس بن سعيد بن مسعود الشقصي، **منهج الطالبين وبلاغ الراغبين**، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة: ط٢، ١٩٩٣م).

[٤٠] وهو أحد أهمّ دعائم الدولة اليعربية، ف "هو الساعد الأيمن لمؤسسي هذه الدولة؛ حيث كان قاضيًا وقائدًا لجيوش الإمام ناصر بن مرشد لتوجيه الجبهة الداخلية، وتصفية عمان من نفوذ البرتغاليين

[٤١] البراشدي، **الحياة العلمية في عمان**، ص١٩.

[٤٢] عبد الله بن محمد بن عامر الخراسيني، **فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم**، تحقيق: محمد بن صالح بن ناصر، مهنى السواجيني، (د.م: د.ن، ط١، ١٩٩٥).

[٤٣] المصدرنفسه.

[٤٤] المصدر نفسه، ص١٠.

[٤٥] المصدر نفسه، ص١٤.

كتاب (الدلائل في اللوازم والوسائل)[٤٦]، للشيخ درويش بن جمعة بن عمر المحروقي(ت:١٠٨٦هـ)، وقد مهد فيه الكاتب للقارئ تمهيدًا سيكولوجيًّا، حتى يوجد لديه قابلية لتقبّل أمور الدين بالأدلة والبراهين[٤٧]، وقد بدا الكاتب متأثرًا بكتاب (جامع بن جعفر)، وقد قسّم الكتاب إلى ستة وستين بابًا؛ ما بين مسائل فقهية وأمور حياتية وعلاقات إنسانية[٤٨].

وقد أسهم الشيخ المحروقي في الحياة العلمية، إلى جانب توليه القضاء في عهد الأمام سلطان بن سيف الأول(ت:١٦٧٩م)، وله مؤلفات أخرى، (جامع التّبيان للأحكام والأديان) و(الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة)، و(الفكر والاعتبار) وقد رفد الحركة العلمية بإرث ضخم من العلوم الشرعية[٤٩].

كتاب (المسائل) للشيخ الفقيه أحمد بن سليمان العاتي المنحي(حي: ١١١١هـ)، من علماء القرن الثاني عشر الهجري، عاصر الإمام سيف بن سلطان الأول.[٥٠]

كتاب (إيضاح البيان وسلو الأحزان) للشيخ الفقيه خميس بن غسان بن محمد الغساني، من علماء القرن الثاني عشر الهجري[٥١].

كتاب (مصباح الظلام في شرح دعائم الإسلام) للشيخ الفقيه خلف بن أحمد بن عبد الله الرقيشي(ت:بين ١٦٧٩م-١٦٩٣م)، وقد كان أحد ولاة دولة اليعاربة، حيث تقلد ولاية جلفار، وهذا الكتاب شرح لكتاب (دعائم الإسلام) للشيخ أبي بكر أحمد[٥٢].

---

[٤٦] انظر: درويش بن جمعة بن عمر المحروقي، **الدلائل في اللوازم والوسائل**، تحقيق: عبد المنعم عامر ومحمد الهادي هارون، (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة: د.ط، د.ت).

[٤٧] انظر: المصدر نفسه، ص (د) وص (ج).

[٤٨] انظر: المصدر نفسه، ص٤٤٩.

[٤٩] انظر: البراشدي، **الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة**، ص١٥٣.

[٥٠] انظر: البطاشي، **الإتحاف**، ج٣، ص٥٠.

[٥١] انظر: البراشدي، المصدر نفسه، ص١٥٠.

[٥٢] انظر: المصدر نفسه، ص١٤٧، ص١٤٨.

كتاب (جامع الجواهر) للشيخ العلامّة جمعة بن علي بن سالم الصانعي(ت:١٢٠٢هـ)، فقيه استقر بنزوى، وعاش في القرن الثاني عشر الهجري، وهذا الكتاب كتاب فقهي يقع في سبعة مجلّدات، يقتصر على المسائل الفقهية[٥٣].

كتاب (فواكه البستان)[٥٤] للشيخ سالم بن خميس بن عمر العبري(ت:١١٦٠هـ)، وقد كان المؤلف يعرض المسألة، ثم يبدأ الجواب بـ (وبالله التوفيق)، ويذكر الاختلاف في المسألة إن وجد، ويذكر فيها الأقوال، ثمّ يحيل اليقين إلى علم الله. والشيخ العبري من فقهاء القرن الثاني عشر الهجري، وله كتاب بعنوان (مشتمل على مسائل وجوابات)[٥٥].

كتاب (مختصر المختصر) للشيخ سالم بن صالح بن سالم الندابي، من علماء النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، وهذا الكتاب اختصار لكتاب المختصر لبيان الشرع، كما له كتاب بعنوان (مختصر في فرائض أولي الميراث)[٥٦].

كتاب (خلاصة الآثار المستخلص من كتب الأثر) للشيخ العلامة سالم بن عبد الله بن راشد البوسعيدي، وهو من علماء نزوى، عاش في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وله مؤلف آخر بعنوان (الأخبار والآثار)[٥٧].

كتاب (تذكرة الحكام في الدعاوي والأحكام) للشيخ سليمان بن مبارك بن علي بن عبد الله البوسعيدي، وهو عالم جليل، جمع في كتابه هذا فتاوى بعض علماء زمانه المتأخرين، كالشيخ الصبيحي، والشيخ الزاملي، والشقصي[٥٨].

المهذب وعين الأدب للشيخ المعولي:[٥٩]

---

[٥٣] انظر: البطاشي، المصدر نفسه، ص١٤٧.

[٥٤] انظر: سالم بن خميس بن عمر العبري، **فواكه البستان**، (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، د.ط، ١٩٨٢م)،

[٥٥] انظر: البراشدي، المصدر نفسه، ص ١٥٥.

[٥٦] انظر: البراشدي، **الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة**، ص١٥٦.

[٥٧] انظر: المصدر نفسه، ص١٥٦.

[٥٨] انظر: خير الناس، **أئمة اليعاربة حياة من أجل الدعوة**، ص٤٢-٤٣.

[٥٩] محمد بن عامر بن راشد المعولي، **المهذب وعين الأدب**، تحقيق محمد علي الصليبي، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

المهذب وعين الأدب" للشيخ محمد بن عامر بن راشد المعولي(ت ١١٩٠هـ)[٦٠]، هذا الكتاب في فرائض المواريث، المشتمل على حكم النسب والسبب، جاء الكتاب في جزأين، يقع الجزء الأول منه في ٤٤٨ صفحة، مشتملًا على تصدير ومقدمة المحقق، ومقدمة المؤلف، وكلمة الفاضل عبد الله بن سلطان بن راشد المحروقي، وقد تضمن من الباب الأول إلى الباب السابع عشر.

أما الجزء الثاني من هذا السفر الكبير فقد كان تكملة لما جاء في هذا الكتاب في قسم الفرائض والمواريث، والتي تم التحقيق عليها. حيث يبدأ هذا الكتاب بالمقدمة، ثم يبيّن ما تضمنه ملحق هذا الكتاب من مجموعة قيّمة لرسائل دارت بين المؤلف وبين كبار العلماء المعاصرين، وقد تضمّن الملحق تقريظ المؤلف رحمه الله لكتابه المهذب بأسلوب بياني رائع، كما وجّه في هذا التقريظ أسئلة إلى العلماء الكبار.

من الواضح أنّ هذا الكمّ من زخم العلوم الشرعية ينمّ عن وجود ثلّة متميّزة من العلماء، الذين استطاعوا أن يحافظوا على السّمة الاجتماعية الإسلامية من خلال دعوتهم، واهتمامهم بالعلوم الفقهية والشرعية، إلى جانب الدّور المنوط بهم في قيام شأن الدولة، بإعانة أهل الحلّ والعقد. قد بدا من الواضح أنّ حقبة اليعاربة من أزهى الحقب التي ازدهرت فيها العلوم الشرعية، وقد لاحظ الباحث وجود طول نفس عند العلماء؛ بحيث امتدّت مؤلفاتهم إلى آلاف الصفحات، ككتاب (منهج الطالبين وبلاغ الراغبين)[٦١]، وكتاب (فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم)، إضافة إلى انتقائهم أسماء هذه الكتب بعناية، والذي يكشف عن سِمة الكتاب ومحتواه، ويظلّ ما بقي من هذا الإرث ما هو إلا جزء من إرث كبير غاب بعضه عنّا؛ بسبب فقدانه وضياعه.

---

[٦٠] من أبرز علماء ومؤرخي القرن الثاني عشر الهجري. يعرف الشيخ محمد أيضًا بابن عريق، وتعود أصوله إلى بلدة أفي من وادي المعاول، وكان والده من ولاة اليعاربة على بركاء، وقد عاصر ابن عريق الأحداث التي صاحبت أفول نجم دولة اليعاربة وبزوغ نجم الإمام أحمد بن سعيد، بل كان ابن عريق على رأس العاقدين له على الإمامة.

[٦١]. خميس بن سعيد بن مسعود الشقصي، **منهج الطالبين وبلاغ الراغبين**، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ط٢، ١٩٩٣م).

ثالثًا: التّراث الأدبي

يشكّل التّراث الأدبي في حضارة أيّ دولة قمّة الهرم الثقافي الخاص بهذه الدولة، بصفتها كيانًا يتشكّل من منظومة ثقافية متعدّدة المنابع، هذا التراث الذي يصف حياتها، وأحداثها، وتفاصيل البيئة التي تكوّنت فيها. وبلا شك أنّ ما يمكننا الوصول إليه من تراث أيّ أمّة أو دولة؛ لهو الجزء الذي استطعنا العثور عليه عبر ما وصلنا من المتقدّمين، فـ "هناك العديد من الحلقات المفقودة في سلسلة الحياة الثقافية والأدبية في سلّم تطوّرها في أقطار الوطن العربي الكبير"[٦٢]، وبذلك فما وُجد من التراث الأدبي هو لا يمثّل كلّ التراث، بل جزءًا منه. "تشير رواية تاريخية أنّ مكتبة كبيرة في عمان كانت تضمّ ٩,٣٧٠ (تسعة آلاف وثلاثمائة وسبعين كتابًا ومصدرًا، أحرقت أثناء الحرب الأهلية في بداية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي"[٦٣]، وسيقف الباحث على التراث الأدبي الذي استطاع الوصول إليه من المصادر الخاصة بالتراث العماني.

وسلطنة عمان كأيّ قطر له تراث ثقافي يمتدّ على مساحته، كان "يمتدّ الإنتاج الأدبي في عمان على مساحات تاريخية وجغرافية شاسعة، وعلى مستويات متعدّدة، ويبتدئ في أشكال كثيرة، ويؤدي مهامّ مختلفة في الفكر والوجدان، فمنذ العصر الجاهلي ومع أقدم الأسماء المعهودة فيه انتماء وانتحالًا، تظهر من هذه المنطقة أسماء شعراء وخطباء... حاملين معهم خصائص جنوب الجزيرة في صورها المختلفة"[٦٤]، وربّما لم يرد اسم شعراء عمانيين في كتب التراث الأدبي القديمة إلا قليلًا، قد يكون العامل الجغرافي له الأثر في ذلك، فلم تكن قريبة من الحواضر التي ازدهرت ثقافيًا في العهد العباسي، فقد كان لموقع عمان "البعد النسبي بين هذه الحواضر الثقافية المزدهرة وبين عمان، وهو بعد زاد منه وجود الربع الخالي، وازدياد مشقة السفر، وكلّ ذلك جعل كلمة عمان ترتبط في الذهن قديمًا بالمكان البعيد والفجّ العميق، حتى أنّ بعض مفسري القرآن الكريم يفسّرون قوله تعالى:(وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق)[٦٥]بأنّ الفجّ العميق هو

---

[٦٢] حياة عمان الأدبية، **مجلة نزوى**، موقع إلكتروني، https://nzwa.com

[٦٣] فوزي، **دراسات في تاريخ عمان**.

[٦٤] درويش، **مدخل إلى دراسة الأدب في عمان**، ص٧.

[٦٥] الحج، الآية ٢٧

عمان"[٦٦]. فالجاحظ(ت:٨٦٩م) ذكر في كتابه (البيان والتبين)[٦٧] الشاعر العماني كعب بن معدان الأشقري(ت:٩٥هـ-٧١٤م)، يقول على لسانه:

إنْ كُنْتَ تَحْفَظُ ما يَلِيكَ فَإِنَّما عُمّالُ أَرْضِكَ بِالبِلادِ ذِئابٌ
لَنْ يَسْتَجِيبُوا بِالَّذِي تَدْعُو لَهُ حَتَّى تُجَلَّدَ بِالسُيُوفِ رِقابَ

ويقول في كتابه أنّ هذا الشعر قيل أمام عمر بن عبد العزيز، وحين سأل عن قائل الأبيات، قالوا: الرجل من أزد عمان[٦٨].من الواضح أنّ العامل الجغرافي أثّرَ تأثيرًا سلبيًّا على النهضة الأدبية في عمان، إذ إنّها في تلك الفترة لم تحظَ بالتبادل الثقافي مع الحواضر التي كانت مزدهرة ثقافيًا وأدبيًّا في هذه الحقبة كالبصرة والكوفة.

اهتمّ أئمة اليعاربة بالعلماء بشكل عام، وقد كان بعض الأئمة عالمًا كناصر بن مرشد، وقد اعتنى بعض الأئمة "بالشعراء، فأكرمهم وأجزل لهم العطايا والهبات، وقد اشتهر بذلك الإمام بلعرب الذي كان ناظمًا للشعر"[٦٩]. إنّ ما كان يدور من أحداث على أرض الواقع كان كفيلًا بأن يشعل الحماسة لدى الشعراء، فكانوا ينظمون الشعر في المعارك والانتصارات ومدح الأئمة، فنظمت القصائد المطولة، كما ازدهرت الفنون النثرية كالخطابة والمراسلات، وهذا ما كانت تقتضيه الحياة السياسية السائدة وقتئذٍ.

لم يهمل أئمة اليعاربة قضية المراسلات، بل اهتمّوا بـ (الرسالة) كشكل من أشكال التواصل، وعدّوها ضرورة من ضرورات تبليغ الدعوة داخل الوطن وخارجه، ومن هذا رسالة الشيخ عمر بن سعيد الجربي إلى الإمام بلعرب بن سلطان(ت:١٦٩٢م)؛ يحثّه فيها على بناء المدارس والاهتمام بالنهضة العلمية والعلماء[٧٠]. وقد لعبت الرسالة دورًا مهمًا في نشر سياسة الحواضر؛ إذ إنّ "الرسالة مثل الصحف والمجلات، فهي تحتلّ مكانًا مهمًّا في توعية الناس بما يجري حولهم من أحداث، وتعتمد عليها الأحزاب السياسية والهيئات الفكرية، والمذاهب

---

[٦٦] درويش، **مدخل إلى دراسة الأدب في عمان**، ص١٩.

[٦٧] الجاحظ، **البيان والتبين**، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة: د.ن، د.ت)، ج١.

[٦٨] انظر: المصدر نفسه، ج١، ص٩٦.

[٦٩] البراشدي، **الحياة العلمية في عهد اليعاربة**، ص١٦٥.

[٧٠] انظر: خير الناس، **أئمة اليعاربة حياة من أجل الدعوة**، ص٤٤.

الاقتصادية في نشر مبادئها وسياستها، ويعتمد على الرسالة والصحيفة... في تبليغ الدعوة الإسلامية ونشر نور الهداية في العالمين"[٧١]؛ ولأنّ أئمة اليعاربة كان يعنيهم تطوّر الحياة الثقافية والعلمية؛ اتّجهوا للمراسلات مع إخوانهم المغاربة، فقد "تميّز عهد اليعاربة بالتواصل بين علماء عمان وإخوانهم المغاربة أيضًا، فهذه مجموعة من علماء عصر الإمام ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م) يبعثون برسالة إلى إخوانهم المغاربة يشرحون فيها أوصاف هذا الإمام الذي قام بالدعوة، ونتج عن حكمة ما قالوا: (ورُدّت المظالم، وانتصر المظلوم، وظهرت الدعوة، وقامت الحدّة، وأحييت السّنن، وعظمت المنن، الحمد لله على ذلك كثيرًا)"[٧٢]. إنّ المتأمّل للرسالة ليجد فيها الروح الأدبية، بما تحمله من بلاغة اللفظ ولباقة الطرح.

لقد كان للغة العربية حظّ وافر في التراث الأدبي، فقد حظيت "فروعها المختلفة باهتمام كبير من قبل أئمة اليعاربة وعلمائها، وذلك لأنّ معرفة العلوم المتعلقة باللسان العربي كاللغة والنحو والبيان والأدب ضرورة لمن أراد علم الشريعة"[٧٣]، واتضح هذا لنا عند تناولنا للتراث الديني، فقد اهتمّ اليعاربة وعلماؤهم بالعلوم الشرعية والفقهية، ومن هنا نستنتج أنّهم اهتموا بعلوم اللغة العربية.

من أشهر كتب التراث الأدبي كتاب "قلائد الجمان في أسماء بعض شعراء عمان"[٧٤] لحمد بن سيف البوسعيدي(ت:١٩٩٨م)، وقد أورد المؤلف في كتابه أسماء شعراء عمان، ووقف على حياة بعضهم. لقد لمع نجم بعض الأدباء والعلماء أمثال "ابن رزيق (ت: ١٨٧٤م) المؤرّخ، عالم من علماء عصره، له مقدرته اللغوية وأسلوبه المميّز، وله مكانته في نظم الشعر وفي قول النثر، وهو محيط بعلوم اللغة والأدب والفقه، ولقد قرأ كثيرًا من كتب التاريخ، فاستقامت له الحوادث والروايات، وكانت له رؤية صادقة في عرض الوقائع وذكر الأحداث"[٧٥]، هذا العالم

---

[٧١] المصدر نفسه، ص٤٣.

[٧٢] خير الناس، **أئمة اليعاربة حياة من أجل الدعوة**، ص٤٥.

[٧٣] البراشدي، **الحياة العلمية في عهد اليعاربة**، ص١٠٦.

[٧٤] انظر: السيد حمد بن سيف بن محمد البوسعيدي، **قلائد الجمان في أسماء بعض شعراء عمان**، (مسقط: د.ن، د.ط، ١٩٩٣م).

[٧٥] حميد بن محمد بن رزيق، **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان**، تحقيق: عبد المنعم عامر، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة د.ط، ١٩٨٤م)، ص/ي المقدمة.

الجليل مثّل موسوعة أدبية، إضافة إلى رؤيته التاريخية التي ظهرت جليّة في كتابه. لقد حاز مكانة مرموقة "عند السادة البوسعيديين، وصلة قوية بهم متوارثة عن الآباء والأجداد، وقد مكّنته هذه الصلة من أن يعايش الوقائع في منابتها الأولى، وأن يعرف من أسرار الأمور ما دقّ منها وخفي، ممّا لم يتح لغيره من المؤرخين"[٧٦]، وبهذه المكانة استطاع أن يطوّر علومه من خلال قدرته على معرفة تفاصيل الأحداث عن قرب، وبقدرته على تطوير ثقافته باختلاطه بعلية القوم، ومعرفته بزائري السادة، ومخالطتهم.

ومن أبرز الشعراء وعلماء اللغة:

الشيخ الشاعر بشير بن عامر الفزاري(حي:١١١٠هـ-١٦٩٨م)[٧٧]

" ومن أهمّ آثاره الفكرية ديوانه الشعريّ المعروف باسمه، ويتّضح من خلال ديوان الفزاري أنّ الشاعر قد وجّه معظم شعره في مدح آل يعرب، لا سيّما الإمام سلطان بن سيف بن مالك وابنيه يعرب وسيف"[٧٨]، وسيكون معنا ديوان الفزاري في الفصل الثالث في الدراسة التطبيقية.

الشيخ العلامّة خلف بن سنان الغافري(ت:١١٢٥هـ)[٧٩]

له ديوان شعر سمي باسمه، وسيقف الباحث عند هذا الديوان في الفصل الثالث.

الشاعر راشد بن خميس الحبسي(ت:١٧٣٧م)[٨٠]

من مؤلفاته (ديوان الحبسي)[٨١]، وهو ديوان شعري في المدائح النبوية والمدائح اليعاربية، من مؤلفاته أيضًا كتاب (سلوة المحزون) وهو كتاب شعر في الغزل[٨٢] .

---

[٧٦] المصدر نفسه، المقدمة ص/ي. ص

[٧٧] هو فقيه وطبيب وشاعر، عاش في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع الميلادي

[٧٨] البراشدي، **الحياة العلمية في عهد اليعاربة**، ص١٦٦.

[٧٩] كان معاصرًا للدولة اليعاربية، مطّلعًا على الأحداث والوقائع، "عاش في فترة حكم أئمة اليعاربة الخمسة الأوائل، فأدرك الإمام ناصر بن مرشد، وعاش إلى أيّام الإمام سلطان بن سيف الثاني، وله فيهم مدائح كثيرة

[٨٠] نشأ الشاعر الحبسي في ظلّ الدولة اليعاربية؛ حيث "نشأ وترعرع في كنف الإمام بلعرب بن سلطان، في قصر جبرين، ودرس في مدرسته، ولذلك أكثر المديح في الإمام بلعرب.

[٨١] راشد بن خميس بن جمعة بن أحمد الحبسي، **ديوان الحبسي**، تحقيق: عبد العليم عيسى، (عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، د.ط، ١٩٨٢م).

[٨٢] انظر: البراشدي، **الحياة العلمية في عهد اليعاربة**، ص١٧٢-١٧٣.

الشيخ سالم بن حمد بن سعيد البراشدي(حي: ١٠٩٠هـ-١٦٧٩م)[٨٣]

من أهمّ آثاره تلك الأرجوزة الفقهية التي كتبها بأسلوب شعري على نسق الشعر التعليمي، وقد جمعت في مجلدين بعنوان (أرجوزة الشيخ سالم بن حمد بن سعيد البراشدي في الأديان والأحكام، وتحتوي على حوالي ستة وثلاثين بابًا في الفقه"٨٤، وقد انتشرت ظاهرة الشعر التعليمي؛ فكان يلجأ إليها بعض الفقهاء؛ لتسهيل عملية حفظ المسائل الفقهية بإيراد السؤال والجواب في أبيات شعرية.

الشيخ سعيد بن غانم بن مسعود النزوي[٨٥]

وقد ترك قصيدة نونية في مدح الإمام ناصر"٨٦، وبهذا فقد كان شعره شاهدًا على العصر.

الشاعر سعيد بن محمد الغشري[٨٧]

وهو صاحب (ديوان الغشري). وقد أوردت قصائده مرتبة بحسب القافية؛ حيث بدأ الديوان بقافية الهمزة، ثم الباء، وهكذا٨٨. وسيكون هذا الديوان حاضرًا معنا عند تناول الجانب التطبيقي للدراسة.

---

[٨٣] عاش في حجر الدولة اليعاربية، وهو "فقيه وشاعر، نشأ في أدم في القرن الحادي عشر الهجري، عاصر الإمام بلعرب بن سلطان اليعربي، وله قصيدة في مدحه.

[٨٤] المصدر نفسه، ص١٧٣-١٧٤.

[٨٥] وهو شاعر معاصر لدولة اليعاربة، فقد عاصر "عهد الإمام ناصر بن مرشد، بدليل قصائده التي مدح فيها الإمام ناصر...

[٨٦] المصدر نفسه، ص١٧٤-١٧٥.

[٨٧] وهو الشاعر سعيد بن محمد بن راشد بن بشير الخليلي الخروصي، من شعراء القرن الثاني عشر الهجري، وقد عاش الشاعر بحسب ما يبدو من ديوانه "في أواخر عهد اليعاربة.

[٨٨] انظر: سعيد بن محمد الخروصي، **ديوان الغشري**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، د.ط، د.ت).

الشيخ محمد مسعود الصارمي(ت:١٠٨١هـ)[٨٩]

من أهمّ مؤلفاته كتاب متخصّص في فن الصرف بعنوان (قصيدة في الصرف)".٩٠، فهو عالم من علماء اللغة.

الشيخ مداد بن حمد بن راشد الغافري(حي: ١١١٢هـ-١٧٠٠م)

عاصر دولة اليعاربة، من أشهر مؤلفاته "كتاب (الأشعار الرائقة والأخبار الفائقة)، ومن مؤلفاته أيضًا (أخبار ومواعظ)، وأورد فيه بعض القصائد لشعراء العرب"٩١، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على أنّ الشعر مثّل -في حياة ثلّة من العلماء- مرجعًا لنقل التاريخ، فقد كانوا يحاولون إثبات الوقائع من خلال ما ورد عنها من المتقدّمين في أشعارهم.

الشيخ عامر بن عبد الله بن غريب الصقري[٩٢]

من أبرز مؤلفاته كتاب (مكارم الأخلاق وجواهر الاعلاق)، وهو عبارة عن أشعار العرب في الحكمة والمواعظ والآداب؛ حيث جمع فيه المؤلف من أشعار بعض شعراء العرب، مثل: أبي العتاهية إسماعيل بن قاسم وأبي تمّام حبيب بن أوس الطائي، وأبي فراس الحمداني..." ٩٣وغيرهم، ويبدو أنّ الشاعر قد حرص على جمع توليفة شعرية أصيلة، حرصًا منه على المحافظة على الإرث الأدبي ونقله للأجيال.

الشيخ الأديب عبد الله بن محمد الصقري

وقد اهتم بالشعر التعليمي، "من أبرز آثاره شعره التعليمي المتمثّل في قصيدته في أحكام الصلاة، والتي أطلق عليها الشيخ خلف بن سنان الغافري اسم (الدّرة)"٩٤، وقد كان من علماء الدين الذين يعنون بأحكام الفقه، وربط بين علمه هذا وبين الشعر من خلال نظمه الشعر التعليمي في أحكام الفقه.

---

[٨٩] وهو أحد "علماء القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، كان واليًا على مسقط زمن الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، وقد وصفه المؤرخ السالمي أنّه صاحب عين السواد...

[٩٠] المصدر نفسه، ص١٧٦-١٧٧.

[٩١] المصدر نفسه، ص١٧٧.

[٩٢] أحد العلماء الذين عايشوا فترة الحكم اليعاربي، وهو "أحد الفقهاء والشعراء في نزوى أيام دولة اليعاربة.

[٩٣] المصدر نفسه، ص١٧٨.

[٩٤] البراشدي، **الحياة العلمية في عهد اليعاربة**، ص١٧٩.

الشيخ علي بن سعيد بن مسعود[٩٥]

لقد كثرت مؤلفاته المتخصصة في علوم اللغة العربية، ومنها مؤلفات متخصصة في فنون اللغة العربية، مثل كتابه: (التقييد في المعنى المهمّ والمفيد) في علوم النحو للشيخ أحمد بن بشير الإزكوي[٩٦]. اعتنى العلماء بعلوم اللغة العربية خاصة باعتبارها السبيل إلى علوم الفقه، فألّفوا كتبًا متكاملة في اللغة، يتطرّقون من خلالها إلى جميع أفرع اللغة العربية، من ذلك كتاب (التهذيب في الفصاحة والألفاظ)[٩٧]، للشيخ القاضي محمد بن عامر بن راشد المعولي(ت:١٧٧٧م) ،كما اعتنوا عناية واضحة بالشعر؛ لأنّهم فقهوا الدور الذي يؤدّيه الشعر في إحياء ثقافة الأمم؛ ولأنه الأيسر في الحفظ، يقول الناقد الفرنسي جون لويس جبير(ت:٢٠٢٠م): "إذا كان الشعر قد تمّ الاهتداء إليه كوسيلة من وسائل الحفظ والنقل، فإنّه استطاع أن يظهر في فجر التاريخ على أنّه ذاكرة الإنسانية، ومن خلال دوره الحافظ للماضي فإنّه قام في مراحل التطوّر الأولى بدور القالب لعلم التاريخ"[٩٨]، لقد كان للشعر في التراث الأدبي العماني الحظّ الأوفر رغم تعدّد المنابع الأدبية، فقد "تبدّى هذا الأدب في أشكال كثيرة، كان الشعر أشهرها، ولكنّه لم يكن أوحدها، فقد عرفت منذ فترة طويلة ألوان من القصص مثل: الأحاديث التي تنسب إلى ابن دريد العماني أنّه رائدها... ولقد ظلّت المقامة فنًّا من فنون الأدب في عمان، ولكن لأنّها فن نثري، فإنّها تستعصي على البقاء إلا من خلال التدوين، على عكس الشعر الذي يمكن أن ينتقل مشافهة، ولأنّ المدونات قليلة، فلم يبق من المقامات إلا القليل، يدوّن ابن رزيق بعض مقاماته، وفيها يدوّن لمعاصره سعيد بن راشد الغشري بعضًا آخر"[٩٩]. وبهذا فقد تنوّع التراث الأدبي في عمان، وكان بمثابة مصدر من أهمّ المصادر للأدب اليعاربي فيما بعد.

ويرى الباحث أنّ التراث الأدبي ما بين شعر ونثر (خطابة ومراسلات ومقامات) قد أوجد مادة خصبة للتراث اليعاربي، باعتباره حبل الوصل الثقافي الذي يستطيع نقل حياة التطوّر

---

[٩٥] عايش الشاعر علي بن مسعود عهد اليعاربة، من الشعراء المشهورين في نزوى.

[٩٦] انظر: المصدر نفسه، ص١٧٩.

[٩٧] محمد بن عامر بن راشد المعولي، **التهذيب في الفصاحة والألفاظ**، الباب الرابع (في علوم القرآن)، دراسة وتحقيق: عبدالله بن سعيد بن ناصر القنوبي، (سلطنة عمان: خزائن الآثار، بركاء، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ج١.

[98] J. Ijouber.la.poesif. P.8

[٩٩] درويش، **مدخل إلى دراسة الأدب في عمان**، ص٨.

المجتمعي دون أن تسقط منه حلقة، هذا التواصل الثقافي بين العصور المختلفة يُشكّل عضد الحضارة وقوامها، وإرثها الذي تتكئ عليه.

المبحث الثاني: الخلفيّات التاريخيّة

لا يمكن فصل الأدب لأيّ أمّة عن تاريخها، فالتاريخ يشكّل ملامح النتاج الأدبي باعتباره مؤثرًا بارزًا. في هذا المبحث يتناول الباحث محورين، المحور الأول: ظهور دولة اليعاربة، والذي يتناول فيه قيام هذه الدولة وبعض الأحداث المؤثرة فيها، فالدراسة ليست تاريخية، لكنّ هذه الوقفة تعطي القارئ لمحة عن تاريخ هذه الدولة، والذي أثّر فيما بعد على نتاجها الأدبي، كما سيتّضح هذا معنا في الفصول القادمة، أمّا المحور الثاني: آثار الأحداث التاريخية في النتاج الأدبي اليعاربي. فهو يتناول أثر الوقائع التاريخية على الإنتاج الأدبي، وكيف تعامل الأدب مع الوقائع التاريخية.

أولًا: ظهور دولة اليعاربة:

إنّ الموقع الجغرافي لأيّ دولة يلعب دورًا رئيسًا في إثارة المطامع الاستعمارية نحو هذه الدولة، ولقد كان لموقع عمان المتميّز دور مهمّ في هذا، فكما هو معروف أنّ "عمان جزء من منطقة الخليج العربي، تتمتّع بموقع جغرافي فريد، تحتّل الإقليم الجنوبي الشرقي للجزيرة العربية، الذي يتمتّع بحصانة متميّزة بسبب الحواجز المحيطة به؛ حيث يحيطها من الشمال والشرق والجنوب الخليج العربي وخليج عمان والبحر العربي، أمّا عن الغرب فتحدّها الرمال التي تعتبر امتدادات لصحراء الربع الخالي"[١٠٠].

على مدّ العصور القديمة تعرّضت عمان للغزو من جهات خارجية. لقد تعرّضت في مطلع القرن السادس عشر الميلادي للغزو من قبل البرتغاليين، وقد استمر إحكام قبضة السيطرة البرتغالية على السواحل العمانية لحوالي مائة وأربعين عامًا، في هذا الوقت كانت العصبية القبلية تهيمن على عمان من الداخل[١٠١]، في هذه الأثناء سعت عمان لإنهاء حالة التشظّي السياسي

---

[١٠٠] فوزي، **دراسات في تاريخ عمان**، ص٩.

[١٠١] انظر: وندل فيلبس، **تاريخ عمان**، ترجمة: محمد أمين عبد الله، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة: ط٢، ١٩٨٩م)، ص٥٩.

فيها، وكان للعلماء الدور الأبرز في هذا الأمر، "ولعل الجهود التي بذلها العمانيون من أجل تخليص بلادهم من سيطرة البرتغاليين كان العامل القوي الذي أبرز أسرة اليعاربة، ولكنّها أصبحت قوة فعّالة يُحسب لها حسابٌ كبير داخل البلاد وخارجها، منذ النصف الأول من القرن السابع عشر، وليس من شك أنّ نجاح تلك الأسرة في طرد البرتغاليين من عمان هو الذي جعل لها مكانًا ملموسًا في التاريخ العماني"[١٠٢].

يقول باثيرس:" كانت الإمامة من أركان المجتمع العُماني منذ سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م."[١٠٣]

ومن أهمّ العوامل التي أسهمت في ظهور دولة اليعاربة "حاجة الناس إلى من يعيد لهم مجدهم الذي أفل وسط ظلمات الفتن والاختلاف... إلا أنّ السبب الرئيس في ظهورها... يكمن في سقوط دولة النباهنة"[١٠٤]، وفي خضمّ هذه الحاجة للناس بإرادتهم الخلاص من الفتن ومآلات الصراع القبلي، وتشتّت الدّولة، والظلمات التي أنتجها هذا التّشتّت، وانعكاساته على المجتمع، "ينبعث قبس من نور يلوح من بعيد، يتجلّى في شخص ناصر بن مرشد (ت:١٦٤٩م)، بعد أن ملّت النفوس هذا الوضع الصعب، وتاقت إلى الخلاص، وإلى من يأخذ بيدها نحو المجد والسؤدد والعزة والكرامة. التفّ النّاس حول ابن مرشد، فوجدوا فيه ضالّتهم المنشودة، وأملهم المعقود، فأعلن عن نشأة دولة فتيّة، بناها على أنقاض دولة بني نبهان الآفلة"[١٠٥]، والتي تبدّد مجدها بعد الضعف الذي اعتراها والانقسامات التي أخفتت جذوتها.

---

[١٠٢] جمال زكريا قاسم، **تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر**، المجلد الأول، (مدينة نصر: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ص١١٤.

[١٠٣] باثيرست، **تاريخ اليعاربة في عُمان**، مترجم، (رسالة دكتواره، جامعة أكسفورد، بريطانيا، ١٩٦٧م).
Bathurst, R. D. *The Ya'rubi Dynasty of Oman*, (Ph.D., Thesis, exford.1967).

[١٠٤] خير الناس، **أئمة اليعاربة حياة من أجل الدعوة**، ص١٩.

[١٠٥] المصدر نفسه، ص٢٦.

كان قبول "ناصر بن مرشد[١٠٦] إمامًا للإباضية عام ١٦٢٤م بمثابة إيذان بتعديل المبدأ الأساسي الذي قام عليه انتخاب الإمام، وذلك بغض النظر عن نسبه وأصله"١٠٧، الأمر الذي مهدّ الطريق إلى إمامة دولة جديدة "١٠٨.

أصبح ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م) "هو أول الأئمة من سلالة اليعاربة (بنو يعرب) وتمكّن عام ١٦٢٤م من إخراج البرتغاليين من عمان باستثناء القلاع والحصون التي توجد في مسقط ومطرح وصحار وقهر النصارى والمشركين"١٠٩، " لقد تميزت فترة حكمه بمرحلتين أساسيتين، الأولى: تحقيق الوحدة الوطنية، وتأسيس حكم مركزي شامل على كافة التراب العماني، والثانية: مرحلة الجهاد ضد البرتغاليين"١١٠. وقد بدأ الإمام ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م) بإعداد الجيوش لمواجهة القوات البرتغالية، فقد انعقد عليه أمل العمانيين في الخلاص من الاحتلال، "فما إن توحدّت عمان تحت لواء الإمام ناصر بن مرشد، حتى بدأ يوجّه جيشه الظافر، يحاصر القلاع البرتغالية، فسقطت الواحدة تلو الأخرى، وفتحت هذه الحصون المنيعة أبوابها للعمانيين"١١١.

بعد مسيرة حافلة من الانتصارات، "تعثرت نهاية مسيرة الإمام ناصر بن مرشد بمشاكل جديدة في الظاهر، أثارها وحرضها ناصر بن قطن الهلالي"١١٢، وقد آل الحكم بعده إلى الإمام سلطان بن سيف(ت:١٦٧٩م)؛ إذ إنّه "لم يكن لديه وريث من الذكور، ترك الحكم للإمام الحقيقي سلطان بن سيف (ت:١٦٧٩م)الذي كان في خدمته مدّة معيّنة كحاكم وكقائد، يتّصف بسمات الرجولة وحسن الرئاسة والحكم، وقبل بضع ساعات من وفاته بحضور رجال

---

[١٠٦] وناصر هو "الإمام ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن سلطان بن مالك اليعربي الحميري الأزدي الإباضي العماني

[١٠٧] فيليب وندل، **عمان تاريخ له جذور**، ص٨٠.

[١٠٨] ابن رزيق، **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان**، ص٨٦.

[١٠٩] فيلب وندل، **عمان تاريخ له جذور**، ترجمة: مركز المؤسسة، (الدار العربية للموسوعات، ط١، ٢٠١٢م)، ص٨١.

[١١٠] أيمن محمد عيد، **اليعاربة أمجاد وبطولات**، (الإسكندرية: دار الكتب والدراسات العربية، الأزاريطة، ٢٠١٦م)، ص٥٢

[١١١] المؤرخ العربي، **مجلة اتحاد المؤرخين العرب**، العدد٤٧، السنة التاسعة عشرة، ١٩٩٣م، ص١٢.

[١١٢] جورج بيرس بادجر، **مقدمة كتاب تاريخ وسادة أئمة عمان**، ترجمة: محمد علي الداود، (د.م: د.ن، ط٢، ٢٠١٢م)، ص٣٣.

الدين وبعض الأعيان عيّنه حاكمًا مكانه"[١١٣]، وتمّت بهذا الإمامة لسلطان بن سيف(١٦٧٩م)،[١١٤] ،وعاصمته نزوى، وقد كان أحد القادة العسكريين للإمام ناصر بن مرشد(ت١٦٤٩م). اهتم بتحرير الساحل العُماني من البرتغاليين، وأجلاهم عن مسقط ومطرح في يناير ١٦٥٠م"[١١٥]، " أدرك الإمام سلطان بن سيف(ت:١٦٧٩م) أن معركة مسقط لم تكن نهاية الصراع مع البرتغاليين، فالصراع معهم هذه المرة سيكون صراعًا بحريًا بالدرجة الأولى، حتى أن هذه الفترة أطلق عليها (حرب البحر العربي)"[١١٦]كما قام بتأسيس قوة بحرية، تنوعت سفنها بين المصنوع محليًا، والمشترى من الإنجليز والهولنديين. خاض الإمام سلطان الأول حروبًا ضد المراكز البرتغالية في الساحل الغربي من الهند؛ ولتدعيم مركز عُمان التجاري والحضاري في المحيط الهندي، وبعث حملات متكررة إلى المناطق الساحليّة بشرق إفريقيا إثر طلب حكامها المساعدة من الإمام؛ لتحريرهم من السيطرة البرتغالية ونجح في إضعاف هيمنتهم."[١١٧] ،" لقد أصبح للإمام سلطان؛ تأثيرٌ مهمٌ في الخليج العربي، وأصبح العمانيون أسياد الملاحة والتجارة فيه".[١١٨]

وقد سعى سلطان إلى مواصلة النهج الذي كان عليه الإمام ناصر، فواصل طريقه في حرب الأعداء، فـ "في عام ١٩٤٩م وبعد موت الإمام ناصر بن مرشد " لم يكن للبرتغاليين من وجود سوى في مسقط، ومطرح"[١١٩]، وقام الإمام سلطان بن سيف بضرب حصار تام حول مسقط، ولقد تمكّن في الأيام الأولى من هذا الحصار الفجائي أن يسيطر على بعض المواقع

---

[١١٣] سلوت، **عرب الخليج**، ص١٩٣.

[١١٤] وهو "سلطان بن سيف بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد بن يعرب ابن سلطان بن حمير، وهو ابن عم الإمام ناصر، حكم من ١٦٤٩ إلى ١٦٧٩م

[١١٥]الموسوعة العمانية، المجلد ٥، وزارة التراث والثقافة، ٢٠١٣م، ص١٨٢٢- ١٨٢٣.

[١١٦] وزارة التراث القومي والثقافة، **عمان في أمجادها البحرية**، (سلطنة عمان: سلسلة تراثنا، العدد الثامن، ١٩٨٠م)، ص٤٦.

[١١٧]الموسوعة العمانية، المجلد ٥، وزارة التراث والثقافة، ٢٠١٣م، ص١٨٢٢- ١٨٢٣.

[١١٨] غانم محمد رميض، **الصراع البحري العماني البرتغالي في البحار الشرقية ١٦٥٠م- ١٧٢٠م أسطول الإمام يطارد البرتغاليين في الهند وعلى طول الساحل الإفريقي**، (دار المنظومة، ٢٠١٦م)، ص٧

[119]Bathurst, R. D. *The Yarubi Dynasty of Oman*. (PH. D. Thes is unpublished University of Oxford. Oxford, 1967), p 105.

الأساسية، وأدّى ذلك إلى إضعاف قوة الدفاع البرتغالية إلى درجة أنّهم لم يتمكّنوا إثرها من الصمود طويلًا".[١٢٠]، وباتت الفرصة مهيأة لسقوطهم.

"وفي أقل من سنة حقق الإمام سلطان بن سيف(ت:١٦٧٩م) الانتصار، وحرر عمان، وأنهى بناء الدولة العمانية، وبفضل هذه المرحلة استعادت عمان موقعها كأقوى دولة بحرية في المحيط الهندي، باسطة سلطتها ونفوذها من الخليج إلى شرق إفريقيا، ولم يكتفِ بهذا النصر بل أخذ أيضًا في مطاردة البرتغاليين خارج الحدود العمانية"[١٢١]

لقد ازدهر الوضع الاجتماعي للعمانيين زمن إمامة سلطان بن سيف، ففي زمنه "كثر العلماء ودور العلم بعمان، وذهب عنها الظلم من أهل العدوان... واستراحت الرعية، وشكرته سرائرهم والعلانية... كان متواضعًا لله القهار، ليّن الجانب للرعية، لم يحتجب عنهم في قضية..."[١٢٢]

بعد وفاة سلطان بن سيف الأول "عام ١٦٧٩م تقريبًا، خلفه ابنه (بلعرب) في الإمامة، "بويع الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف اليعربي(ت:١٦٩٢م) بالإمامة في اليوم الذي مات فيه والده الإمام سلطان بن سيف سنة ١٩٧٩م"[١٢٣]، " بنى الإمام بلعرب بن سلطان؛ حصن جبرين القريب من بهلا، وأنشأ مدرسة في الحصن، تخرج فيها عدد من العلماء؛ بناءً على نصيحة عالم إباضي تونسي، زار عمان في عهده، ورأى عدم الاهتمام بنشر العلم كما ينبغي، وهناك أقام الإمام المدرسة المذكورة."[١٢٤]

لما بويع بلعرب بن سلطان، وصارت له الإمامة "وصار مشهورًا بها عند الخاصة والعامة، شاع نور عدله في البلاد، وما جفّ جوده المنهلّ على العباد"[١٢٥]

---

[١٢٠] سلوت، **عرب الخليج**، ص١٦٧.

[١٢١] بدر الدين عباس الخصوصي، **دراسات في تاريخ الخليج العربي**، (الكويت: ذات السلاسل، ط٢، ١٩٨٤م)؛ خليل حسن الزركاني، **دراسات في تاريخ عمان والحضارة الإسلامية**، (العين: دار الكتاب الجامعي، ط١، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، ص١٢٤.

[١٢٢] ابن رزيق، **الصحيفة القحطانية**، ج٥، ص٢٣٦.

[١٢٣] أحمد بن سعود السيابي، **الوجيز في التاريخ العماني**، (مسقط: الرؤيا، د.ت)، ص٣٨.

[١٢٤] السيابي، **الوجيز في التاريخ العماني**، ص٣٨

[١٢٥] ابن رزيق، **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان**، ص٢٥٩.

ودخل إثرها في صراعات مع أخيه (سيف بن سلطان الأول(ت:١٦٩٢م) واشتعلت المعارك الدموية بين الأخوين... وتمنّى بلعرب الموت في النهاية، فاستجاب الله له ومات على الفور، وذلك أثناء حصار أخيه لحصن جبرين"[١٢٦].

وبعد أن تولّى سيف مقاليد الحكم، واستقرّ له الأمر، أظهر العدل بعمان، وجاهد الأعداء، في مواضع شتى من البر والبحر.

لقد كان سيف بن سلطان(ت١٧١١م) "رجلًا مهيبًا في رعيته، رادًّا قويهم عن ضعيفهم، وهابته قبائل عمان، وغيرها من الأمصار، وسائر الديار الدانية والشاسعة، وحارب النصارى في أقطارهم، وأخرج عتاتهم من ديارهم، وابتزّهم عن قرارهم، ومزّقهم بسيوف هيبته كلّ ممزّق، وأخذ منهم ممباسة والجزيرة الخضراء... وبنى بها قلعة شاهقة"[١٢٧]. توفي في الرستاق، ودفن في القبة[١٢٨]. وكانت وفاته عام ١١٢٣هـ/١٧١١م[١٢٩]. وبوفاة الإمام سيف بدأ عهد جديد في حياة أئمة اليعاربة.

بعد وفاة الإمام سيف بن سلطان كان لابد من وجود إمام جديد، يكمل الطريق، فـ"بويع بالإمامة ابنه سلطان بن سيف الثاني، وكان عهده استمرارًا لعهد الاستقرار والرخاء الذي شهدته عمان في عهد اليعاربة، وقد بسط سيطرته على الخليج العربي؛ حيث حارب الفرس وأخذ منهم البحرين وجزر قشم ولارك وهرمز على الساحل الفارسي، وتوفي في عام ١١٣١هـ/١٧١٨م"[١٣٠] ، لقد "خلف سلطان بن سيف الثاني(ت:١٧١٨م) والده، وانتقل من الرستاق إلى الحزم؛ حيث بنى حصنًا قويًّا، وتبدو إنجازاته شبه الحربية محدودة بالخليج العربي؛ حيث واجه الفرس في عدّة نقاط، وانتزع منهم جزيرة البحرين، التي احتلوها بعد طرد البرتغاليين"[١٣١]. بوفاة سلطان بن سيف الثاني عام ١٧١٨م، بسطت الخلافات السياسية جناحها من جديد على المجتمع العماني.

---

[١٢٦] وندل، **عمان تاريخ وجذور**، ص٨٧.

[١٢٧] ابن رزيق، **الصحيفة القحطانية**، ص٢٤٣.

[١٢٨] انظر: المعولي، **قصص وأخبار جرت في عمان**، ص٢٦٠-٢٦١.

[١٢٩] انظر: البراشدي، **الحياة العلمية في عهد اليعاربة**، ص٢٥.

[١٣٠] المصدر نفسه، ص٢٥، ص٢٦.

[١٣١] بادجر، **مقدمة كتاب تاريخ أئمة وسادة عمان**، ص٣٧-٣٨.

لقد بدأت يد الفتنة تتطاول، وبدأت رواسب الانقسامات تطفو على السطح، "وبدأ التصدّع والانشقاق يسري في جسم الدولة اليعربية بعد وفاة الإمام سلطان بن سيف الثاني؛ بسبب تنافس أفراد البيت اليعربي على الإمامة، يساندهم في ذلك رؤساء القبائل وأصحاب المصالح الذين رغبوا في تولية ابنه سيف بعده، إلا أنّ سيفًا كان قاصرًا لا يتجاوز الثانية عشرة من العمر، ولذلك رأى أهل الحل والعقد عدم صالحيّته للإمامة، فبايعوا مهنّا بن سلطان بن ماجد(ت:١٧٢٠م) إمامًا على عمان عام ١١٣١هـ/١٧١٨م"[١٣٢]، وجاشت الصدور، وتحرّكت يد الخصومة، ثمّ هدأت الأمور، "ولما سكنت الحركات، وهدأ الناس، أدخلوا الشيخ مهنّا بن سلطان حصن الرستاق خفية، وعقدوا له الإمامة في الشهر الذي مات فيه الإمام سلطان بن سيف"[١٣٣]، الأمر الذي لم يستطبه أهل الرستاق، فعندما "وقع العقد للإمام مهنّا بن سلطان، لم تزل اليعاربة وأهل الرستاق مسرّين العداوة له، وللقاضي عدي بن سليمان الذهلي(ت:١١٣٤هـ) رحمه الله، ولم يزالوا بيعرب بن بلعرب بن سلطان يحرّضونه على القيام والخروج حتى خرج على الإمام مهنّا بن سلطان"[١٣٤]. لقد عمّ الرخاء زمن الإمام مهنّا، فقد "قام مهنّا بالعدل، واستراحت الرعية... وربحت في تجارتها، ورخصت الأسعار، وبورك في الثّمار، ولم ينكر عليه أحد من العلماء، فما لبث على ذلك حتى قُتل، وسبب قتله العقد له بالإمامة"[١٣٥]، وهذا يعني أنّ استلامه زمام الإمامة لم يرق للكثيرين من أهل الحلّ والعقد في الدولة اليعاربية.

الحكم في يد مهنّا بن سلطان لم يدم طويلًا، فقد "أرغم على التخلّي عن الإمامة بعد سنة واحدة من مبايعته؛ لعدم دعم اليعاربة وزعماء القبائل لتلك البيعة، ونتيجة لذلك قد تعرض مهنّا للمعاملة السيئة ثم الاغتيال على يد أعوان يعرب ابن الإمام بلعرب بن سلطان(ت:١٧٢٣م)"[١٣٦]، الأمر الذي أثار حفيظة العمانيين، وأشعل فتيل العصبية القبلية، فأخذت الانقسامات تتفشّى، وتتلبّد الصدور بالأحقاد.

---

[١٣٢] البراشدي، **الحياة العلمية في عهد اليعاربة**، ص٢٦-٢٧.

[١٣٣] ابن رزيق، **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان**، ص٢٨٧.

[١٣٤] دون مؤلف، **تاريخ أهل عمان**، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ص١٥٢.

[١٣٥] ابن رزيق، المرجع نفسه، ص٢٨٧.

[١٣٦] البراشدي، المرجع نفسه، ص٢٦، ص٢٧.

حين تولّى مهنّا منصب الإمامة، تحرّكت نفس يعرب بن بلعرب(ت:١٧٢٣م) ضدّه، "وكان قد خرج باغيًا على الإمام مهنّا... فتاب من بغيه، وردّ الأمر إلى القاضي عدي بن سليمان الذهلي(ت:١١٣٤هـ)، فاستتابه من جميع أفعاله"[١٣٧]، وبعد أوبته وتوبته رأى أهل عمان أن يسلّموه الإمامة، فقد "عقدوا له الإمامة في سنة أربع وثلاثين ومائة بعد الألف، فاستقام له الأمر. وأطاعته الرعية، فلبث أيامًا يسيرة في الرستاق، ثمّ ذهب إلى نزوى"[١٣٨]. انتعشت الحياة من جديد في عمان، وقد "أظهر العدل في الرعية، فحمدوا صنيعه، وشكروا سعيه، وسُلّمت له حصون عمان، فلبث أيامًا قلائل في الرستاق ثمّ ارتفع إلى نزوى، فدخلها يوم تسعة وعشرين من شعبان من هذه السنة، فلم يرضَ أهل الرستاق أن يكون يعرب إمامًا، فأظهروا العصبية لسيف بن سلطان، فما برحوا يكاتبون بلعرب بن ناصر خال سيف بن سلطان، وهو مقيم بنزوى مع الإمام يعرب"[١٣٩]؛ ليتحرّك لتغيير الوضع، ". لم يمضِ على يعرب وقت طويل في الحكم عندما حدث ردّ فعل أضرّ بمصالح سيف بن سلطان؛ الذي كان حينئذٍ في نزوى تحت وصاية عمّه بلعرب بن ناصر، ولدى التوسّل الجادّ للمستائين، ترك بلعرب نزوى ومضى لكسب عطف القبائل لصالح ابن أخيه"[١٤٠].

ثم كانت وفاة يعرب بن بلعرب عام ١٧٢٣م، بعد أن اشتد عليه المرض، الأمر الذي ترتب عليه أن تؤول الأمور بشكل مطلق إلى محمد بن ناصر الغافري(ت:١٧٢٧م)، ويصبح الشخصية الرئيسة في مجريات الأحداث التي كانت تعصف بعمان آنذاك. وكانت الخطوة التالية هي إعلان محمد بن ناصر(ت: ١٧٢٧م) وصيّاً على سيف الصغير، ويعود ذلك إلى رغبة محمد الغافري أن يظل سيف بن سلطان في الواجهة على أن يتستر وراء ذلك لممارسة سلطته في البلاد، وإحكام قبضته بالتدريج، دون أن يتعرض لاتهامات بمطامعه في الحكم والانفراد به.

وأصدر أوامره إلى الولاة والحكام وخيرهم؛ بين إعلان الولاء له، أو تسليم مفاتيح مدنهم إلى الولاة الجدد الذين سيقوم بتعيينهم، كما قام بتعزيز قواته وإضافة العناصر النزارية لها؛ بالإضافة

---

[١٣٧] السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، ج١، ص١١٤.

[١٣٨] ابن رزيق، **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان**، ص٢٨٩.

[١٣٩] ابن رزيق، **الصحيفة القحطانية**، ج٥، ص٢٠٩.

[١٤٠] بادجر، **مقدمة كتاب تاريخ أئمة وسادة عمان**، ص٣٩.

إلى التحالف مع الشيخ رحمة بن مطر بن كائد الهولي(ت:١٧٦٠م)؛ بهدف مدّه بالرجال وبالسلاح، وكان محمد بن ناصر(ت:١٧٢٧م) يهدف من وراء ذلك كله إلى تعزيز موقفه أمام خصومه، لأنه كان يدرك بأن سكوتهم لن يستمر طويلًا.[١٤١]

حين "استقرّ الأمر لبلعرب بن ناصر، على أنّه هو القائم بالدولة وعلى أنّ الإمام سيف بن سلطان، وفدت إليهم القبائل ورؤساء البلدان يهنوهم*[١٤٢] بذلك، وقع من بلعرب بن حمير تهديد لبعض القبائل، وخاصّة بني غافر... أمّا بلعرب بن ناصر فأرسل إلى رؤساء نزوى ليصلوا إليه، فاجتمع كثير من رؤسائهم ومضوا إليه... وأمرهم بالبيعة لسيف بن سلطان"[١٤٣]، وقبل أن تعقد الإمامة لسيف، فقد تمّ الصلح بين الطرفين؛ حيث "التقى سيف بن سلطان وبلعرب بن حمير (ت:١٧٤٩م) في وادي بني غافر، ووقع النظر بأن يخلع بلعرب بن حمير(ت:١٧٤٩م) من الإمامة، وتعقد إلى سيف بن سلطان خوفًا من الفرقة"[١٤٤]، وبهذا عادت الإمامة لسيف بن سلطان.

عندما "بعث سيف أخاه بلعرب بن سلطان نصرة لبني رواحة، فوقعت بينهم الحرب، انكسر بلعرب بن سلطان وقومه، وتحصّن بنو رواحة... فحاصرهم بلعرب بن حمير(ت:١٧٤٩م) ، فأمر بقطع نخيلهم وأشجارهم... ثمّ سالموه وأطاعوه، فصرف عنهم الجيش"[١٤٥]، لم تتوقّف حالة المدّ والجزر بين سيف بن سلطان وبلعرب بن حمير، فحين "اجتمع جيش الإمام سيف بن سلطان بمسقط أمرهم بالمسير إلى جوف توام، فالتقاهم دونها بلعرب بن حمير، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فوقعت الهزيمة على قوم سيف بن سلطان"[١٤٦]، وقد عقدت له الإمامة من أهل عمان، "ولما بويع (بلعرب بن حمير) تبعته فرقة من أهل عمان، وخلصت له بهلا ونزوى وإزكي وسمائل وحصون الظاهرة، وبقية حصون الباطنة، وأمّا مسقط ومطرح والرستاق ففي يد سيف بن سلطان، فجهزّ الإمام بلعرب بن حمير(ت:١٧٤٩م) جيشًا إلى وادي بني

---

[١٤١] انظر: سالم بن حمود السيابي، **إسعاف الأعيان**، ٦٩، (قطر: مكتب حاكم قطر، ١٩٦٥م).

[١٤٢] هكذا وردت ولعلها (يهنئونه).

[١٤٣] ابن رزيق، **الصحيفة القحطانية**، ج٥، ص٢٦١.

[١٤٤] المعولي، **قصص وأخبار جرت في عمان**، ص٢٠٣.

[١٤٥] ابن رزيق، **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان**، ص٢٢٣.

[١٤٦] المصدر نفسه، ص٣٢٦.

رواحة، وكانوا مخالفين له... فوقعت الحرب بينهم، فانكسر بلعرب بن سلطان وقومه"[١٤٧]؛ ورغم اختلاف العمانيين وصراعاتهم الداخلية، تبنوا موقفًا صلبًا لتوحيد البيت العماني، بعد حرب أهلية دامية استمرت عشرين عامًا لطرد الغزاة من الأراضي العمانية، وأول هذه الخطوات كان هو التوصل إلى صلح بين بلعرب بن حمير(ت:١٧٤٩م) ، وسيف بن سلطان(ت:١١٢٣هـ) الذي ورط عمان بهذا الغزو، وقد توصّل العلماء في هذا الصلح إلى مبايعة سيف بن سلطان إمامًا على عمان لتوحيد البلاد ضد الغزاة، ولكن سيف أساء السيرة ليتم عزلة مرة أخرى من قبل أهل الحل والعقد، ليتم تنصيب سلطان بن مرشد اليعربي(ت: ١٧٤٣م) إمامًا سنة ١٧٣٨م، ليحصل الإمام الجديد، ولأول مرة منذ اندلاع الحرب الأهلية على اتفاق أغلب القبائل المنضويين تحت حلف الهناوي والغافري.

لتنعقد الإمامة بعده لسلطان بن مرشد اليعربي(ت: ١٧٤٣م) ؛ حيث "عقد له بالإمامة بجامع بلدة نخل، في يوم الجمعة، سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، فاستقام على طريق الاستقامة والعدل والإنصاف... وصل الإمام سلطان بن مرشد (ت: ١٧٤٣م) صباح يوم الجمعة من شهر شعبان من هذه السنة إلى الرستاق، فلم يجد بها سيف بن سلطان، وقد تلقّاه أهل الرستاق بالبشاشة والطاعة، ورأوه أهلًا للإمامة، فوازروه وأطاعوه"[١٤٨]، فقد دفع سيف بن سلطان العمانيين إلى هذا الأمر بسبب ما فعله، فحين رأوا "ما كان من سيف بن سلطان من التعدّي على أهل عمان، اجتمع أهل العلم والحلم والورع من أهل بهلا وإزكي ورؤساء بني غافر وغيرهم... على عقد الإمامة لسلطان بن مرشد بن عدي بن سلطان(ت: ١٧٤٣م) "[١٤٩]،

أثار هذا الإجراء الإمام المخلوع سيف بن سلطان، ليثير هو وأتباعه الكثير من المشاكل لمقاتلة الإمام الجديد، ليقوم سيف مرة أخرى بطلب المساعدة من الفرس الذين جهزوا في عام ١٧٤٠ جيشاً يقدّر بستة آلاف جندي بقيادة ميرزا محمد تقي خان، الذي بدأ باحتلال المدن العمانية بداية من جلفار، ونهاية بصحار، التي قاومت هناك ببسالة بقيادة الإمام الشهيد سلطان بن مرشد(ت: ١٧٤٣م) ، بجانب والي صحار السيد أحمد بن سعيد البوسعيدي،

---

[١٤٧] ابن رزيق، **الصحيفة القحطانية**، ج٥، ص٢٧٧.

[١٤٨] ابن رزيق، **الصحيفة القحطانية**، ص٢٨٤-٢٨٥.

[١٤٩] ابن رزيق، **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان**، ص٣٣٦.

ورغم بسالة وشجاعة الإمام، إلا أنه مات متأثرًا بجراحه في تلك المعارك، والسلاح بيده، لتطوى صفحة الدولة اليعربية، وبالأخص بعدما نفر جميع العمانيين من سلطان بن سيف اليعربي الذي جرّ البلاد للمرة الثانية للغزو الفارسي، ومات في الرستاق خائبًا سنة ١٧٤٠ م على أكثر تقدير.

وقد انتهت الإمامة من يد اليعاربة، بانتقالها إلى أحمد بن سعيد(ت:١٧٨٣م)، وقد "كان انتقال ملك اليعاربة إلى أحمد بن سعيد سنة الأربع والخمسين والمائة والألف، وقيل سنة الست والخمسين والمائة والألف وهو الأصح".[١٥٠] لقد أثَّر الوضع السياسي القائم على قوة الدولة اليعاربية، فبشاعة الدّمار والاضّطراب في عمان، وتعميق الخلافات السياسية والقبلية، عصفت بالزعامة اليعاربية، وفتحت المجال لظهور زعامة جديدة فتيّة، تمثّلت في أحمد بن سعيد البوسعيدي(ت:١٧٨٣م) الذي استفاد من قيادته للمقاومة في صحار ضدّ الحملات الفارسية، فوضع الأساس لحكم أسرة البوسعيد في عمان منذ عام ١١٦٢هـ/١٧٤٩م"[١٥١]، وبهذا بدأت مرحلة جدية في حياة العمانيين.

وأثناء مقاومة العمانيين للغزاة، قاد السيد أحمد بن سعيد البوسعيدي(ت:١٧٨٣م) معارك الانتصار وتحرير عمان من الغزو الفارسي، بعد أن استشهد أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل عماني في معارك استمرت لأكثر من سبعة أشهر، شهدت بطولات وتضحيات العمانيين في سبيل حرية وطنهم، ليفتح بعدها أهل عمان مع مؤسس دولة البوسعيد قائد الانتصارات الإمام أحمد بن سعيد (ت:١٧٨٣م) صفحة جديدة توحَّد فيها البيت العماني ليكتب عمان بعدها أزهى عصور الانفتاح والتوسع من خلال الإمبراطورية العمانية المجيدة.[١٥٢]

لقد كانت فترة الدولة اليعاربية فترة فاصلة في حياة العمانيين، زاخرة بالأحداث، تذبذبت ما بين القوة والضعف، فهي حقبة "من بين أزهى الحقب التي جلبت العزة والتّمكين لعمان المسلمة، حيث بسطت نفوذها على المحيط الهندي وشبه القارة الهندية وفارس وشرق

---

[١٥٠] ابن رزيق، **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان**، ص٣٤٥.

[١٥١] السديس، **الحملات الفارسية على عمان وسقوط حكم اليعاربة**، ص٣٦٦.

[١٥٢] انظر: حسين عبيد غانم غباش، **عمان تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث (١٥٠٠-١٩٧٠م)**، (بيروت: دار الفارابي، ط٤، ٢٠٠٦م).

إفريقيا، وأثبتت وجودها البحري والعسكري في المنطقة، فتصدّت للعدو الأجنبي، ومهّدت الطريق أمام دعوة الحقّ، وقد سخّر الله لذلك أئمة وهبوا حياتهم له، فنصرهم، وثبّت أقدامهم"[١٥٣]. ولا شكّ أنّ أئمة اليعاربة قد بذلوا أقصى ما في وسعهم لإعادة الهيبة إلى عمان، وجعلها في مقدّمة الدّول ذات الهيمنة السياسية والاقتصادية؛ إلا أنّ الأمور لم تجرِ كما أرادوا.

وعلى ذلك يرى الباحث أنّ حقبة اليعاربة مرّت بمراحل ضعف ومراحل قوة، تمثّلت مراحل القوّة في عهد الأئمة الذين استطاعوا درء الفتنة، وبسطوا جناح العدل في المجتمع، واهتمّوا بالعلم والعلماء، كالإمام ناصر بن مرشد (ت:١٦٤٩م)، الذي سعى إلى فضّ الخلافات في البيت العماني، ووجّه طاقته نحو محاربة البرتغاليين وطردهم، وقد سار على دربه سلطان بن سيف الذي تمكّن من السيطرة على عمان، ونشر العدل في أرجائها، ولم يختلف عنه كثيرًا الإمام سلطان بن سيف الثاني(ت:١٧١٨م)، وكذا الإمام مهنّا بن سلطان(ت:١٧٢٠)، وقد اعترى الضعف الدولة في زمن الأسرة اليعربية مرّات عدّة؛ بسبب العصبيّة القبليّة، التي مدّت يدها نحو خلخلة البيت اليعربي، كما حدث في زمن الإمام يعرب بن بلعرب بن سلطان(ت:١٧٢٣م)، والإمام سيف بن سلطان بن سيف(ت:١١٢٣هـ)، والإمام بلعرب بن حمير(ت:١٧٤٩م)، الأمر الذي أدّى إلى تدهور قوة أئمة اليعاربة، ثمّ زوال هذه القوة، وخروج السلطة من أيديهم.

المبحث الثالث: آثار الأحداث التاريخيّة في النتاج الأدبي اليعاربي

يتأثّر الإنتاج الفكري لأيّ شعب بالأحداث التاريخيّة التي يتعرّض لها، كما يتأثّر بالبيئة المحيطة به، وهذا يعني أنّ النتاج الأدبي اليعاربي قد تأثّر بالأحداث التاريخية باعتباره جزءًا لا يتجزّأ من النتاج الفكري العماني بشكل عام.

في هذا المبحث سيقف الباحث عند هذا الأثر، ليبحث وجه التأثير للتاريخ على النتاج الأدبي اليعاربي.

إنّ المتأمّل لحضارات الأمم السابقة يستطيع أن يلحظ تأثير الأدب في قيام هذه الحضارة، فلا يمكن أن تقوم حضارة أمّة دون إرثها الثقافي عامّة والأدبي خاصّة، فمن "الأدب نشأت

[١٥٣] خير الناس، **أئمة اليعاربة حياة من أجل الدعوة**، ص٧.

المعرفة البشرية التي بنيت عليها ثقافة البشر مستقبلًا، ومن هنا كان دور الأدب في تعميق الثقافة"[١٥٤]، فالأدب أحد قوائم عمارة الحضارة التي لا يمكن قيام معمارها دون هذه الدعامة التي تُشّكل نتاج الفكر لثلّة من أدباء ومفكري كلّ مرحلة، فالشعوب تحاول ما استطاعت؛ مدّ جسور التواصل الثقافي مع بقيّة الشعوب، ولعلّ أهم هذه الجسور الجسر الأدبي، فـ"المرحلة الأولى في طريق نجاح الأمم هي (الأدب)، دون غيره؛ وذلك لأنّ الأدب هو ثقافة النفس، وصقال الهمّة، ومثار كوامن العزائم، وهو المشتمل على نواحي الحياة الروحية كلّها، فالنفس لا تتوق إلى المعالي إلا بالأدب، وهو المهماز الأعظم الذي يبعث النفس على الحبّ في ميدان المجد، ومتى أوجد الأدب هذا الشوق إلى المجد نشدت الأنفس ضوالّه المتعددّة أينما وجدتها"[١٥٥]، فالأدب هو الوعاء الذي يحمل تراث الأمّة بكلّ ملامحها، فهو "وسيلة للتعبير عن كلّ مكنونات الإنسان، هواجسه وأفكاره وخواطره وعواطفه وأسلوب حياته عبر مختلف العصور، بل أكثر من ذلك، كان الأدب صورة فنيّة استنطقت واقع الإنسان"[١٥٦]؛ لذا امتلك الأدباء سلطة قوية، فقد أثروا في مجتمعاتهم، وكانوا في مقدّمة المحرّكين لعقول فئات المجتمع بصفتهم قوة مؤثّرة. في بعض الثورات كان شرارة الانطلاق من أفواه الأقلام كما حدث في الثورة الفرنسية؛ إذ كان من قادتها (فولتير وروسو)[١٥٧]. إنّ الأدب يؤدي دور المعلّم، فهو يحاول إيصال رسالة ما للمجتمع، وهو مثل "المدرب في هذه الحالة؛ ليصل بك إلى أن تجيد استخدام عقلك في التفكير للخروج برؤيتك الخاصة"[١٥٨]، فدور الأديب يمتدّ امتداد الحياة، ولا يمكنه أن يتوقّف، إلا إن توقفت العقول عن التفكير والإبداع. والأدب إحدى وثائق التاريخ المهمّة والجادّة، التي تتحدّث

---

[١٥٤] دعاء النابلسية، "دور الأدب في تعميق الثقافة"، تاريخ النشر٢٠١٩/١١/٢٥م/ تاريخ الاطلاع: ٢٨ /٢٠٢٢/٧م، **مجلة محتوى**، موقع إلكترونيhttp://mhtwat.com

[١٥٥] الأمير شكيب أرسلان، "تأثير الأدب في رقي الأمم"، تاريخ النشر:٢٠١٧/٣/٢٩م، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٢/٧/٢٨م، **مجلة إسلام ويب**، موقع إلكترونيhttps://www.islamweb.net/ar/atticle/215992/

[١٥٦] سامية بن يحيى، **الأدب مرآة الشعوب ورمز الحضارة**، تاريخ النشر: ٢٠٢٠/٢/٢٣م، تاريخ الاطلاع ٢٠٢٢/٧/٣٠م، موقع إلكترونيhttps://ae.linkedin.com

[١٥٧] انظر: أرسلان، المصدر نفسه.

[١٥٨] دعاء النابلسية، "دور الأدب في تعميق الثقافة"، تاريخ النشر٢٠١٩/١١/٢٥م/ تاريخ الاطلاع: ٢٨ /٢٠٢٢/٧م، **مجلة محتوى**، موقع إلكترونيhttp://mhtwat.com

بمصداقية وشفافية عن الوقائع والأحداث، فـ "القراءة التاريخية هي الإلمام بالظروف التي أنتجت فكرًا ما من أجل الأخذ بملكة ذلك الفكر، والقدرة على البناء عليه أو تفكيكه أو تقويضه بشكل حقيقي؛ إذن الغاية من القراءة التاريخية هي جعل الفرد محيطًا بالفكر كما لو كان يعيشه في زمنه"[١٥٩]، وبهذا لا يمكن إغفال أثر التاريخ على النتاج الأدبي؛ حيث أصبح الأدب حلقة وصل فكرية تربط الماضي بالحاضر. وتستحضر ملامح التاريخ عبر المنظومة الأدبية الخاصّة، التي تميل إليها العقول بسبب ما تجده فيها من لذة المتابعة.

إنّ العلاقة بين الأدب والتاريخ "علاقة تكامل وارتباط جدلي بين نوعين من الممارسات الفكرية، وضربين مهمّين من ضروب المعرفة الإنسانية، والإنسان هو الموضوع المشترك لكلّ منهما؛ حيث يشترك الأدب بمختلف أجناسه مع التاريخ، في نقطة تتجاوز التعبير إلى توثيق التاريخ البشري، والمساهمة في تكوين ثقافات الأمم وتراثها"[١٦٠]، والتاريخ هو الواقع الذي صنعه الإنسان، وبهذا فالعلاقة علاقة ثنائية وطيدة لا يمكن بحال من الأحوال البحث في جانب منه دون ملاحظة تأثير الجانب الآخر.

لقد ترجمت مقولة (الشعر ديوان العرب) هذه العلاقة بين الأدب والتاريخ، فقد منح الأدب الشعر حقّ الصدارة لدوره الذي يؤدّيه، فـ" إنّ الكم الهائل من الأبيات الشعرية التي حشدها المؤرخون في كتاباتهم، تشير بوضوح إلى إدراك العرب المبكّر والواعي لعمق العلاقة الوثيقة بين الشعر والتاريخ، إذ لا يكاد يمرّ بالمؤرخ العربي القديم حدث من الأحداث التاريخية إلا ونجد فيه حضورًا للنصوص الشعريّة، وكأنّها بمنزلة الوثيقة المعتمدة للتدليل على صحة وقوع الحدث أو تأكيده أو تفسيره، حتى كاد أن يرسخ في أذهان المؤرخين العرب. أنّ التاريخ لا يمكن أن يكتب بعيدًا عن الأدب بصفة عامّة، أو بمعزل عن الشعر بصفة خاصّة، حتى لكأنّ النصّ الشعري أصبح ضرورة لازمة في تشكيل الخطاب التاريخي"[١٦١]، وهذا يثبت أنّ للأدب دوراً رئيسًا في كشف الحقائق وتفسيرها، ولا يمكنه أن يتجاهل الواقع من حوله، فالمادة الأدبية

---

[١٥٩] حسين الإسماعيل، **التاريخ يستنطق الأدب**، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢١/٧/٣١م موقع إلكتروني https://qafilah.com

[١٦٠] عبد الحكيم الكعبي، **الأدب والتاريخ مقاربة منهجية**، تاريخ النشر: ٢٠٢٢/٣/١٢م، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٢/٧/٣١م/ موقع إلكتروني http:// www.alqabas.com

[١٦١] المصدر نفسه.

تقوم على محاكاة الواقع في الأصل، فلو نظرنا لكتاب "(المنثور في العلم المأثور) للشيخ عبد الله بن سعيد المسكري، لوجدنا أن هذا المصدر، قد أورد فتاوى متعدّدة لعدد من أئمة اليعاربة، كالإمام ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م)، والإمام سلطان بن سيف(ت:١٦٧٩م) وولديه بلعرب(ت:١٦٩٢م) وسيف(ت:١٧١١م)، كذلك تتضح أهمية هذا المصدر في أنّه يورد الكثير من أسماء علماء تلك الفترة وينسبهم إلى بلدانهم"[١٦٢]، هذا يعني أنّ كاتب الكتاب لم ينفكّ عن العصر الذي عاش فيه، وقد تأثّر بمرحلة حكم اليعاربة، فألّف كتابًا في فتواهم، وهذا يدلّل على أنّ الكاتب لا يخرج أبدًا من عباءة التاريخ.

لقد تحققت في عصر اليعاربة انتصارات كثيرة، بدأها الإمام ناصر بن مرشد اليعربي(ت:١٦٤٩م)، وتابعه سلطان بن سيف(ت:١٦٧٩م)، وسيف بن سلطان(ت:١٧١١م) الذي حقق هذه الانتصارات فطرد البرتغاليين من عمان، وكل شواطئ الخليج، ومدن شرق إفريقيا، والموانئ الواقعة شمال قناة موزمبيق. وقد استطاعت هذه الانتصارات أن توقظ الروح القومية من جديد، وأن تبث في موضوعات الشعر مضامين، تحلّ محلّ مضامين النزعات الفردية؛ التي أوحت بها فترات التمزق السابقة. ومن هذه المضامين تسجيل انتصاراتهم، والإشادة بهم، ووصف المعارك الحاسمة؛ سواء التي تمت على أرض عمان، أو التي جرت على الأرض الإفريقية.[١٦٣]

سيتطرّق الباحث لفحوى هذا التأثير على أدب اليعاربة، بتناوله بعض النماذج على سبيل النمذجة لا الحصر.

في كتاب الزمرّد الفائق في الأدب الرائق لمحمد بن راشد بن عزيز الخصيبي(ت:١٩٩٠م)، أورد نصًا شعريًا للشيخ سعيد بن خلف الخروصي(ت:٢٠١٧م) في حبّه للوطن، وهو يصف أسطول عمان في المعارك:

حَمَدًا لِخَالِقِنَا أَجْرَى لَنَا سُفُنًا سَيَّارَةً فِي اَلْفَيَافِي سَيْرَهَا حِينَ

---

[١٦٢] البراشدي، **الحياة العلمية في عهد اليعاربة**، ص٢٠.

[١٦٣] أحمد درويش، **مدخل إلى دراسة الأدب في عمان، المصادر–المناهج–المراحل–النماذج**، (دار الأسرة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ١٩٩٢م)، ص١٤٠–١٤١.

لَوْ شَامْهَا اَلْمُتَنَبِّيْ لَاسْتِبَانْ بِهَا أَنَّ اَلسَّفِينَةَ جَرَتْ فِي فَدْفَدْ عَلَنَا

قَدْ اِسْتَقَلَّتْ مِنْ اَلْفَيْحَاءَ مُبَكِّرَةً تُعَزِّي اَلدَّوَالِيبُ مِنْهَا سَبْسَا شُطْنَا

قُلْنَا بِهَا عِنْدَ ذِي اَلْإِحْسَانِ نَاصِرِنَا أَكْرَمُ بِهِ رَجُلاً ذَا شِيمَة فَطِنَا[١٦٤]

فقد تحدّث الشاعر هنا عن أحداث معركة بحريّة بين العمانيين والبرتغاليين، وذكر في أبياته وقائع هذه المعركة، واسم المدن التي انطلقت منها، ومرّت بها (فدفد، الفيحاء، سبسا) ثمّ ذكر الإمام اليعاربي (ناصر)، والمعروف أنّ عهد الإمام ناصر بن مرشد (ت:١٦٤٩م) كان من أزهى العصور؛ حيث استطاع طرد البرتغاليين من السواحل العمانية، ويبدو أثر الحقبة التاريخية واضحًا في النصّ الشعري، فقد استقى وصوفه الشعرية من وصوف المرحلة التاريخية.

كما أورد ابن رزيق(ت:١٨٧٤م) في كتابه (الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان) نصوصًا عدّة، استقت أخبارها من منهل التاريخ، ومنها قول الشاعر:

لَمّا ماتَ قُوَى عَمّانَ وَما لِإِمامَةِ قُرْمٍ أَثابا

إِلَى أَنْ سُلَّ ناصِر سَيْف عَدْل وَما عَنْهُ أَرادَ الإِجْتِنابا

فَحَسْبَ عَمّانَ ناصَرَها إِماماً أَفاءَ السَيْفُ وَخْضاً وَاِخْتِضاباً

لَهُ سِرُّ الوِلايَةِ قَبْلَ بَيْعٍ وَبَعْدَ البَيْعِ فَاِحْتَزَبَ اِحْتِزاباً

سُلالَةُ مُرْشِدٍ طَهُرَ إِمامَ وَلِيّ إِنْ دَعا أَضْحَى مُجاباً

وَأَخْبارٌ لِسِيرَتِهِ حَسّان تُناجِي الراكِبُونَ بِها الرُكّابا

أَبادَ المشْرِكِينَ بِسَيْفِ عَدْلٍ وَأَهْلِ البَغْيِّ فَاِقْتَضَبُوا اِقْتِضاباً

سَقَى أَسْيافَهُ عَلَّقَ الاعادِي فَما ضَرَّ بِدَوْرِهِم قبابًا[165]

يتحدّث الشاعر في الأبيات السابقة عن حقبة الإمام ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م)، وما قام به من أجل عمان، وكيف تمّت له البيعة، وقد أورد نسبه، بأنّه من سلالة مرشد، وهنا يرجع لتاريخ الأنساب، ويتحدّث عن سيرة الإمام العطرة بين العمانيين، ويذكر نصره على

[١٦٤]انظر: محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي، **الزمرد الفائق في الأدب الرائق**، (د.م: د.ن، ط٢، ٢٠٠٦م)، ج١، ص١٤٣.

[١٦٥]انظر: ابن رزيق، **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان**، ص/ص من المقدمة.

النصارى وأهل البغي، وكيف طردهم واستولى على دورهم، وبهذا فقد سجّل الشاعر وقائع مدّة زمنية في تاريخ اليعاربة، هي مدّة حكم الإمام ناصر بن مرشد.

وينقل المؤلف عن آخر قوله:

فماتَ وَبَعْدَهُ أَضْحَى إماماً بِـلْعَرَبِـــهِ فَـنّاً فِي ما أَرابـا
وَمِنهُ العَدْلُ شاعٍ لَهُ شُعاعٌ وَمِنْهُ الجُـودُ ما أَلِفَ اِنْتِصاباً
بَنَى حِصْناً بِيْبَرِينَ وَفِيهِ قَدْ اِرْتَحَبَـتْ مَدارِسُـــهُ اِرْتِحاباً
فَأَكْرِمَ مَنْ لِعِلْمِ ساقٍ عِيْساً وَمَنْ حَمَـلَ الهِراوَةَ وَالجِـرابـا
فَـما فِي الجُـودِ مـاثِلُهُ كَـرِيمٌ وَعَنْهُ الوَفْدُ ما شَهِدُوا اِحْتِجاباً
فَـلازَمَ عَدْلَهُ وَأَخُـوهُ سَيْفٌ أَحالَ الشَـرَّ مِنْهُ لَهُ الشَرابـا
وَشَبَّ عَلَيْهِ نارُ الحَرْبِ حَتَّى أَحالَ إِلَيْهِ أَقْسَى الصَخْرِ لابا
فَلازَم حِصْـن يُبْرِيـنَ بِحَصْرٍ وَبِالإِحْجامِ فِيهِ الظَـنُّ خابّـا
فَبُويعَ سَيْفٌ وَاِنْقادَتْ إِلَيْهِ جُنُودُ عَـمّانَ كُلُّهُـمْ طِرابـاً
وَماتَ بِلَعَرَبٍ فِي ضِيقِ حَصْرٍ وَعَنْهُ الصَحْبُ ما فَرَوْا هُراباً
وَسَيْـفٌ لَمْ يُعـاقِبْهُمْ بِسُوءٍ غَداةِ الحِصْنِ صارَ لَهُ اِجْتِلاباً[166]

يسجّل الشاعر في قصيدته أحداث ما بعد وفاة الإمام سلطان بن سيف (ت:١٦٧٩م)، ويتحدّث عن إمامة بلعرب (ت:١٦٩٢م) وإمامة سيف بن سلطان (ت:١٧١١م) بالتحديد، ويعرض لنا أحداث الفتنة التي تأجّجت نارها بين الأخوين على السّلطة، وما كان منهما، فيتحدّث في أبياته عن العدل الذي أشاعه بلعرب، ثمّ يسرد لنا أحداث حصار بلعرب في حصن يبرين، وكيف آل هذا الحصار إلى انتهاء إمامة بلعرب، وعقد الإمامة لسيف بن سلطان، وكيف انقادت له الجيوش، وموقف الإمام سيف بن سلطان ممّن ناصروا بلعرب عليه، وردة فعله التي أبرزها، وقد تحدثنا عن هذه الوقائع –آنفًا– في محور الخلفية التاريخية لعهد اليعاربة. إنّ الشاعر لم يبرح صفحة التاريخ، فقد جعل من قصيدته وثيقة تاريخية، تؤرّخ لتلك المرحلة، التي عمّت فيها الفتن، وهي إحدى مراحل الضعف التي مرّت على الأسرة

[166] انظر: ابن رزيق، **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان**، ص/ق من المقدمة.

اليعاربية، ويبدو للمتلقّي أنّ الشاعر متأثّرٌ بأحداث الوقائع التاريخية، هذا الأثر انعكس على شعره دون إرادة منه، فالشاعر ابن بيئته، ومن ضمن هذه البيئة؛ البيئة السياسية، التي لها الحظ الأوفر –لربّما– في شعر العرب.

وفي ديوان الحبسي، يمدح الكريم ناصر بن مرشد اليعربي(ت:١٦٤٩م) العربي في أبيات، يقول فيها:

مَـرَّ المِكـــارِمُ آذَنَـــتْ تُبَـدِّدُ بِوَفاةِ سَيِّدِنـــا الكَـــرِيمِ الأَمْـجَـدِ
بِوَفاةِ ذِي المِجْدِ المهَذَّبِ ناصِر عِلْـمِ الهُدَى الهادِي الغَمـامِ المهْتَدِي
ذاكَ الإِمامُ اليَعْرِبِيُّ أَخُو النُهَى مَـوْلَى مَوالِيـهِ حِمـامُ المعْتَـدِي[167]

في الأبيات السابقة يشير الشاعر إلى وفاة الإمام ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م)، ويمجّده لما كان له من مكارم الأخلاق في فترة حكمه، فهو الإمام العادل الذي جاء؛ ليوحّد البيت العماني، وبذلك تطرّق الشاعر لحقبة حكم الإمام ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م)، وبهذا فهو يستقي من التاريخ؛ ليطعّم قصيدته بوقائع وأحداث تاريخية.

وقد قال في موضع آخر، يمدح فيه ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م):

يا ناصِرَ الإِسْلامِ مَجْدُك باذِخٌ وَعَلاكَ سامٌ فَوْقَ هامِّ الفَرْقَدِ
شَيَّدْتُ مَجْداً باذِخاً فَتُوطَّ دَت أَرْكانُهُ بِالعَدْلِ أَيْ تَوطُّدِ[168]

من الواضح جدًا أن الإمام ناصر بن مرشد كان من الشخصيّات المؤثرة تاريخيًّا في حياة العمانيين، الأمر الذي جذب الشعراء نحو الكتابة عن فترة حكمه؛ ليصفوا عدله وكرم أخلاقه، وشجاعته، وينقلون تفاصيل معاركه مع الأعداء.

وقال في موضع آخر، يقول عن الإمام سلطان بن سيف(ت:١٦٧٩م) مادحًا إيّاه:

ذوَ العَدْل سُلْطانُ بْنْ سَيْفٍ ذُو النَدَى كَهْفُ الطَرِيدِ وَنَجْدَةُ المسْتَنْـجِدِ

---

[١٦٧] انظر: راشد بن خميس بن جمعة بن أحمد الحبسي، **ديوان الحبسي**، تحقيق: عبد العليم عيسى، (د.م: د.ن، د.ط، ١٩٨٢م)، ص٣٠٠.

[١٦٨] انظر: الحبسي، **ديوان الحبسي**، ص٣٠٠.

يـا نَجْـلَ سَـيْـفٍ يا وَحِيد لِمِـصْرِنـا لَيْث الشَرَى يا رُكْنَ دِينِ مُحَمَّد[169]

لقد أشار الشاعر إلى الإمام سلطان بن سيف(ت:١٦٧٩م)، وقد ذكر عدله، ونجدته للمستغيث ونصرته للضعيف، مذكّرًا بأنّه ابن سيف، أي من سلالة الحكّام اليعاربة، وقد مدح مناصرته لدين محمّد– صلى الله عليه وسلم_ وفي هذا إشارة تاريخية لامتداد الإسلام في عمان، وديانة اليعاربة بهذا الدين.

وقد أورد ابن رزيق (ت:١٨٧٤م)في (الصحيفة القحطانية) أبياتًا في الإمام سيف بن سلطان(ت:١٧١١م) للشيخ راشد بن جمعة بن خميس ذكر فيها فتوحه لجزيرة البحرين، تقول:

ألا فَانْظُرُوا كَيْفَ الأَعاجِمُ صـارُوا غُـــدُوّاً شَجَـراتٍ ما لَهُنَّ قَـرارُ

طَغَوْا وَبَغَوْا فِي الأَرْضِ حَتَّى أَصابَهُمْ عِقـــابٌ أَلِيـمٌ مُـهْلِكٌ وَبِـتـارُ

فَحَلَّتْ بِهِمْ مِنْ مالِكِ الحَرِّ نِقْمَـةٌ وَسُـــوءُ عَـــذابٍ دائِـمٌ وَدَمـارُ

لِيَعْلَمَ مَلِكُ العَجَـــمِ أَنَّ جُيُوشَـــهُ إِلَى المَوْتِ قَدْ تَسْرِي بِهِمْ وَيَسارُ

فَـــدَوْخُـــهُـمْ بِالمَشْرِفِيَّـــةِ فَيْـلَـقٌ عَظِيمٌ لَدَيْهِ المَعَظَّمـاتُ صِغـارٌ[170]

يتحدّث الشاعر عن الأعاجم، ويقصد بهم الأعداء الذين كانوا يحتلون الساحل العماني (البرتغاليين)، وقد حارب النصارى والفرس، ويصف المعارك التي كان رحاها يدور لصالح الإمام سيف بن سلطان(ت:١٦٧٩م)، الذي حقّق النصر فيها، والشاعر هنا ينقل أحداث التاريخ كما لو كانت ماثلة أمام القارئ، فهو يروي تفاصيل الأحداث بدقة، وهذا نتيجة تأثّره بهذه الأحداث.

وفي موضع آخر، يقول الشاعر واصفًا مدينة الرستاق بعد قدوم العهد اليعربي الجديد، على يد الناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م):

ما أَشْـرَقَ الرَسْتاقَ بَعْدَ ظَلامِـهـا وَأَتَمَّـها نُـوراً بِنُـورِ إِمـامِـهـا

إِنَّ اِبْـنَ مُـرْشِـدٍ لِلبَرِّيَّـةِ مُـرْشِـدٌ نالَـتْ بِهِ الأَفْراحُ فِي أَيّامِـهـا

---

[169] انظر: المصدر نفسه، ص٣٠٢.

[170] انظر: ابن رزيق، **الصحيفة القحطانية**، ج٥، ص٢٥٢.

إِنْ قُلْتَ شَمْساً فَهُوَ شَمْسُ ظَلامِها أَوْ قُلْتَ بَدْراً فَهُوَ بَدْرُ تَمامِها

يتناول الشاعر في أبياته السابقة مرحلة الظلام التي كانت تهيمن على مدينة الرستاق قبل قدوم إمامة ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م)، حيث كانت الخصومات والانقسامات والظلمات تسيطر على الرستاق، وبعقد الإمامة إلى ناصر بن مرشد (ت:١٦٤٩م) تغيّر الحال، وتبدّلت أحوال المدينة إلى الأفضل. إنّ الشاعر يصف حقبة تاريخية ناصعة في تاريخ اليعاربة، ألا وهي مدّة إمامة ناصر بن مرشد(ت:١٦٤٩م)، والتي كانت بمثابة نقلة نوعيّة في تاريخ العمانيين.

وفي كتاب إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان(ت:١١٢٠هـ) للبطاشي(ت:١٤٢٠هـ)، يقول الشاعر خلف بن سنان عن نسب غافر:

قَدْ قِيلَ إِنَّ غافِراً مِنْ نَسْلِ عَبْدِ المطَّلِبِ
أُكْرِمَ بِهِ جِدّاً يُقْصِرُ عَنْ عُلاهُ المَطْلَبِ
وَكَيْفَ لا وَهُوَ أَبُ الهادِ ي النَبِيّ المُنْتَخَب
هٰذا هُوَ المِفْخَرُ مَعَ تَقْوَى المهَيْمِنِ لا النَشَبِ[171]

إنّ الشاعر متأثر بتاريخ الأنساب، فهو يفخر بقبيلته، هذا الفخر ناتج عن امتداد نسبه إلى قبيلة عبد المطلب، وبهذا فهو من سلالة النبي -صلى الله عليه وسلم- وهذا النسب لهو امتداد التاريخ، فهو يتحدّث عن فجر الدعوة وقائدها، وبهذا فهو يفخر بانتمائه إلى الإسلام العظيم، وبالتحديد إلى سلالة النبي الهادي، فالشاعر يتناول علم الأنساب، والذي هو جزء لا يتجزّأ من علم التاريخ، وهذا ما وقفنا عليه في محور مصادر التراث التاريخي آنفًا.

وقد قال-أيضًا- في رثاء الأئمة اليعاربية:

وَلٰكِنَّما الدُنْيا سَرابٌ بِقِيعَةٍ تَلُوحُ وَأَضْغاثُ بَراهِنَ نائِمُ
فَأَيْنَ الكِرامُ الأَمْجَدُونُ اِبْنُ مُرْشِدٍ وَسُلْطان وَاِبْناهُ اللُيُوثُ الضَراغِمُ

[171] انظر: سيف بن حمود بن حامد البطاشي، **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**، (د.م: د.ن، ط١، ١٩٩٥م)، ص٧.

حُوَتْهُمْ لُحُودٌ ضَيِّقاتٌ وَمَنْ رَأَى لُحُـوداً ثَوَتْ فِيها بُحُورٌ خَضارِمُ[172]

في هذه الأبيات يتناول الشاعر ذكر أئمة اليعاربة الذين انتقلوا إلى جوار ربهم، ومنهم ناصر بن مرشد وسلطان وسيف وبلعرب، وبهذا فهو يرثيهم، لمضيّهم إلى ربّهم، فيستذكر تلك الأيام التي كانت على عهدهم، وبذلك هو يعيش تفاصيل التاريخ، فيسرده لنا، وهذا يدلّل على أنّ الشاعر عاش فيما بعدهم، لذا فهو ينقل لنا تاريخ سابقيه، ويوضّح لنا أنّه لم يحظ بتلك الأيام؛ إذ إنّهم عاشوا قبله.

وقد حملت دراسة بعنوان "شعر الحرب في القصيدة العمانية أيام دولة اليعاربة"[173]، لعيسى بن محمد السليماني، موضحةً الدور الذي بذله العمانيون تلك الفترة لطرد البرتغاليين من عمان وسواحل الخليج، كما طاردوهم في بقاع شتى من سواحل الهند وحتى أقصى شرق إفريقيا. ويؤكد السليماني أنَّ هذا النوع من الشعر يستحق الاهتمام لكونه يمس التاريخ والاجتماع والنفس والثقافة والهوية، فهو في النهاية تجربة إنسانية، جاءت نتيجة معاناة وتفاعل مع الحدث، خاصة كون هذا الشعر يتعلق بمصير عزة الوطن والمواطن.

ويشتمل كتاب "شعر الحرب: قراءة في القصيدة العمانية أيام دولة اليعاربة" على مقدمة وفصلين وخاتمة وسبعة عشر ملحقًا بالقصائد المدروسة. وقد اختار الباحث في هذه الدراسة عدداً من الشعراء العمانيين؛ الذين مثلت قصائدهم لغة الشعر الحربية كما تجلى ذلك في شعر بشير بن عامر الفزاري(حي:١١١٠هـ-١٦٩٨م)، وراشد بن خميس الحبسي(ت:١١٥٠هـ)، ومحمد بن عبد الله المعولي (حي:١١١٤هـ-١٧٠٢م)، وخلف بن سنان الغافري(ت:١١٢٥هـ).

من الواضح أنّ التاريخ يضرب بجذوره في عمق الأدب اليعاربي، وبخاصّة الشعر، وهذا ما لاحظه الباحث. كما يرى الباحث كذلك أنّ تأثّر الشعراء بالتاريخ اليعاربي تأثّر طبيعي تفرضه المرحلة، فالأدب في طيّاته امتداد للشعور الإنساني، فهو تعبير عن كيان الفكر الإنساني، هذا الكيان هو مكوّنات الكينونة الداخلية التي صنعها الواقع، هذا الواقع هو عبارة عن

---

[172] انظر: البطاشي، **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**، ص١١.

[173] عيسى بن محمد السليماني، **شعر الحرب في القصيدة العمانية قراءة في القصيدة العمانية أيام دولة اليعاربة**، (نزوى: سلطنة عمان: مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية جامعة نزوى، ط١، ٢٠١٧م).

الأحداث التي تدور حول الإنسان؛ لتصبح فيما بعد جزءًا من مكوّناته الفكرية، والأديب جزء من البيئة التي يتعامل معها التاريخ، وبذلك كان النتاج الفكري في مرحلة اليعاربة يضجّ بهذا التأثير. بالذات؛ نحن نتكلّم عن الإنسان العربي، الذي تحرّكه الحماسة والمفاخر، ويؤرّقه حال أمّته من حوله، ومن الواضح أنّ النتاج الأدبي اليعاربي قد تناول التاريخ بكثافة عبر تناوله حياة الأئمة اليعاربة، ونقله أحداث المعارك التي خاضوها، ووصفه أحوال الدولة في حقبة كلّ إمام.

الفصل الثالث

أثر القرآن الكريم في شعر اليعاربة

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، الأمر الذي أسهم في انتشار اللغة العربية، فقد حفظ القرآن الكريم هذه اللغة، وأضفى عليها سحرًا خاصًّا، واللغة لا تستخدم للتعبير فقط، بل تستعمل في إثارة الفكر، وتحريك وجدانيات السامع، واللغة العربية هي لغة العمانيين، وبطبيعة الحال قد طال تأثير القرآن لغة الأدباء، وبدا من الواضح أنّ القرآن الكريم قد رفد اللغة العربية بألفاظ ذات مضامين جديدة ك (الصلاة، الزكاة، الحج...) إضافة إلى المعاني التي أكسبها للإنسان المسلم من خلال الدين الإسلامي، كقضية الجهاد، والأحكام الشرعية والفقهية، وقد يستخدم الشاعر هذه الألفاظ الجديدة في نصوصه الشعرية، وقد يتأثر بالمعاني القرآنية تأثرًا مباشرًا فيقتبس منه الألفاظ بشكل مباشر أو يقتبس المعاني بشكل غير مباشر عبر التناص، والتناص كما يعرفه "فيليب سولرس" كما أورده محمد عزّام في كتابه (النصّ الغائب) هو "كلّ نصّ يقع في مفترق طرق نصوص عدّة، فيكون في آن واحد إعادة قراءة لها وامتدادًا وتكثيفًا ونقلًا وتعميقًا"[2]، والتناصّ الديني في حدّ ذاته يكسب النصّ الشعري قوة، فهو يدلّل ويبرهن، ويعطي النصّ جلالة حين يرتبط بنصّ مقدّس، فإنّ "المهمة التي يؤديها التناصّ تنبع من خصوصية اللحظة التي مثلتها الرؤية الدينية في سياق التجربة الوجودية الإنسانية"[3]. بهذا فإنّ النصّ يمتلك قوة سلطوية؛ إذ إنّه يفرض رؤيته من خلال رؤى دينية لها مدلولاتها، وهذه الوظيفة هي إحدى وظائف التناصّ التي تحدّث عنها "جوف"؛ حيث للتناصّ وظائف عدّة هي: الوظيفة المرجعية، وهي إحالة النّص لنص آخر معروف لدى القارئ، والوظيفة الأخلاقية التي تُظهر ثقافة الراوي ومدى موثوقية النصّ، والوظيفة الحجاجيّة؛ وهي التي تحيل النصّ إلى نصّ آخر ذي سلطة كتسويغ لحدث، والوظيفة التأويلية، وهي تداخل

---

[1] الزخرف، الآية ٣.

[2] محمد عزام، **النص الغائب**، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، د.ط، ٢٠٠١م)، ص٢٩.

[3] حصة البادي، **التناص في الشعر الحديث**، (عمان: كنوز المعرفة، ط١، ٢٠٠٩م)، ص٣٨.

النصّ مع نص آخر؛ ليفضي إلى معنى أو يضبط النصّ المقروء، والوظيفة اللعبية التي تحدث تواطؤًا ثقافيًا بين المؤلف وجمهوره، والوظيفة النقدية، والتي تقوم على المعارضة الساخرة من نصّ آخر، والوظيفة الميتاخطابية، وتتمثّل في التعليق على نص آخر[٤].

لقد منح التناص النصَّ انفتاحًا على النصوص الأخرى، فقد "فتح بوابة المعرفة أمام النصّ الأدبي دون حرج، فلم يعد الأمر موقوفًا على ذاتية النصّ أو كينونته، فالنّصّ عابر للزمن، متقبّل للنصوص الأخرى، فضفاض يتّسع لأجساد نصيّة بغية الالتحام معها، فلم يعد جسد النصّ محرّمًا، يمتلك قدسية الوحدوية والانفراد والعزلة"[٥]، وقد بدا واضحًا أنّ الشاعر الفزاري قد ضمّن نصوصه الشعرية تناصًّا مع القرآن الكريم، سواء في الألفاظ او المعاني.

إنّ الشعر يتأثّر ببيئة الشاعر وثقافته بشتّى أنواعها، سواء الاجتماعية أو الدينية، وقد أثّرت الثقافة الدينية لليعاربة على نتاجهم الأدبي الشعري، وقد ظهر هذا الأثر واضحًا من خلال أثر القرآن الكريم على أشعارهم.

في هذا الفصل يتناول الباحث أثر القرآن الكريم على أشعار اليعاربة من خلال خمسة محاور تمثّلت في خمسة مباحث: حيث يقف المبحث الأوّل على شعر الشيخ بشير بن عامر الفزاري(حي:١١١٠هـ-١٦٩٨م)؛ ليتناول أثر القرآن الكريم في شعره من حيث اللفظ والمعنى، ثم ينتقل إلى المبحث الثاني الذي يضمّ أثر القرآن الكريم على شعر الشيخ خلف بن سنان الغافري(ت:١١٢٥هـ)، ثمّ في المبحث الثالث يتحدّث عن أثر القرآن الكريم على أشعار راشد بن خميس الحبسي(ت:١١٥٠هـ)، وبعدها ينتقل الباحث إلى أشعار سعيد بن محمد الغشري في المبحث الرابع، وأخيرًا يتناول الباحث أشعار محمد بن عبد الله المعولي(حي:١١١٤هـ-١٧٠٢م)، وأثر القرآن الكريم عليها كذلك من حيث اللفظ والمعنى.

---

[٤] انظر: فانسون جوف، **شعرية الرواية**، ترجمة: لحسن حمامة، (دمشق: دار التكوين، ط١، ٢٠١٢م)، ص١٦٠.

[٥] أمل يونس إرحيم، **شعرية السرد في روايات أيمن العتوم**، (رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة: فلسطين، ٢٠١٩م)، ص١٢٨.

المبحث الأول: أثر القرآن الكريم عند الشاعر الشيخ بشير بن عامر الفزاري[٦]

ذكر الشيخ سيف بن حمود بن حامد البطاشي في كتابه: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان أنّه عاصر الأئمة اليعاربة: سلطان بن سيف الأول وابنيه... وذكر أيضًا أنّه إلى تاريخ ١١١٠ هـ كان الشاعر على قيد الحياة، أمّا فترة نبوغه في شعره منذ عام ١٠٧٩هـ، وإلى هذا التاريخ الذي هو آخر ما وجد عنه في العقد الأول من القرن الثاني عشر الهجري"[٧]. وقد وُصف شعره بأنّه يتراوح بين الغزل الرقيق والنسيب والمديح والثناء، وهو جيّد الشّعر، وله مكانة أدبية عالية بين أدباء عمان.[٨]جمعت قصائد الديوان من مخطوطتين تحملان أشعاره، وقد حقّق الديوان مهنّا بن خلفان بن عثمان الخروصي[٩].

لقد بدا تأثّر الشاعر الفزاري بالقرآن الكريم واضحًا في أشعاره، فقد انعكست ثقافته الدينية على شعره، فظهر هذا باستخدامه ألفاظ القرآن تارة، وباستخدامه معانيه تارة أخرى، وسيقف الباحث على هذا الأثر من جهتين: جهة اللفظ وجهة المعنى.

أولًا: من حيث اللفظ

تجلّت الكثير من ألفاظ القرآن الكريم في قصائد الشاعر، ومن هذا قوله في مديحه سلطان بن سيف(ت:١٦٧٩م):

مَنازِلُ كادَت تَمْحَى فَكَأَنَّها سُطُورُ زَبُورٍ ضَمَّنَتْها الجَنادِلُ

يتحدّث الشاعر عن رسوم الدّيار التي درست، وكيف تحرّكت الذكريات في نفسه، وقد أورد كلمة (الزبور) وهي كلمة لها دلالتها عند العرب، فهي كتاب سماوي لداود عليه السلام، كما جاءت في الآيات في مواضع عدّة منها: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ

---

[٦] الشاعر الأديب الجليل العلامّة بشير بن عامر بن عبد الله الفزاري، ونسبه لم تتحدّث عنه المصادر أكثر من هذه الأسماء، هو وأبوه وجدّه، وتعذّرت مصادر المؤرخين عن تحديد سنة مولده ووفاته.

[٧] بشير بن عامر بن عبد الله الفزاري، **ديوان الفزاري**، تحقيق: مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي، (مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، ط١، ٢٠٠٧م)، ص١٩.

[٨] انظر: المصدر نفسه، ص١٨.

[٩] انظر: المصدر نفسه، ص١٩-٢٠-٢١.

مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾١٠، وقد شبه الشاعر الرسوم بسطور الزبور ليضفي عليها الدقة.

وفي مقطوعة بعنوان (الجهر بالشكر والمديح لأهله) يقول:

الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي نَصَرَ الهُدَى بِإِمامِ بَرٍّ فِي البَرِّيَّةِ عادِل
ضَخْمُ الدَسِيعَةِ أَرِيحِي ماجِد يَقُضانِ عَن نَهْجِ الضَلالَةِ عادِل١١

وفي تعبيره عن مديح أهل الإمامة، يصف الغمام بالبر والعدل، وضخامة الدسيعة، وهي العطاء الكثير، وأنّه بعيد كل البعد عن الضلالة، وقد أورد تركيب (الحمد لله)، وهذا التركيب درج استخدامه بعد الإسلام؛ حيث لفظ الله علم على لفظ الجلالة وحده، والحمد من صفات المسلم، وقد ورد هذا التركيب في أكثر من موضع، في سور القرآن الكريم، في خمس مواضع في فواتح السور، وهي: الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر، من هذه المواضع: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾١٢، وفي بداية سورة الأنعام ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾١٣، و (الحمد) في هذا الموضع دلالة شكر، حيث إنّ الشكر عبادة من عبادات المسلم.

ويقول في قصيدته (تهلّل وجهه):

كَمْ جَبَتْ نَحْوَ بَلْعَرَب مِن سَبْسَبٍ قَفر بِحَرْفٍ مِثْلِ حَرْفِ النُونِ
وَجَناءُ تَسْبَحُ فِي السَرابِ بِرَبِّها وَالشَمْسُ بِالجَوْزاءِ سَبْحُ النُونِ
لَوْلاهُ ما كَلَّفْتُها قَطَعَ الفَلا وَالبَيْدِ مِنْ إِزْكِي إِلَى يَبْرِينِ
خَلَقَ المهَيْمِنُ بِالمشِيئَةِ آدَم وَبَنِيهِ مِنْ حَمَأِ البرى المسنونِ14

---

١٠ النساء، الآية ١٦٣.

١١ انظر: الفزاري، **ديوان الفزاري**، ص٤٣.

١٢الفاتحة، الآية ٢.

١٣ الأنعام، الآية ١.

١٤ انظر: الفزاري، المرجع نفسه، ص٤٩.

وفي هذا النصّ الذي يمدح فيه الإمام بلعرب(ت:١٦٩٢م)، ويتحدث عن الوجناء، وهي الناقة التامة الخلق التي جاءت من سبسب، وهي الأرض القليلة الماء، وتيهها في القفار والشمس بالجوزاء، وهي أحد بروج السماء، وكيف أنّ عطاءات الإمام كلفتها عبر قطع الفلا من إزكي إلى يبرين، وهي أسماء أماكن حرّرها الإمام ؛ لينعطف بعد ذلك في الحديث عن أصل خلق الإنسان، وعند هذا تتوقف الأقلام عند نبأ القرآن الكريم بهذا الشأن، والذي أفصح فيه ربّ البرية عن أصل خلق الإنسان؛ حيث خلقه من حمأ مسنون: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾١٥. والحمأ؛ الطين الأسود، والبرى: التراب، والمسنون: المتغيّر النتن.

وفي قصيدته (خريدة الخاطر) يقول:

غَدا الإِسْلامُ مُرْتَفِعاً مُنِيراً بِهِ وَالظُّلْمُ مُنْحَسِرَ الظَلامِ
بِما كَرَمَ المِدائِحَ عَنْ سَماحٍ لَهُ فَجَلَتْ بِهِ أَيْدِي الكِرامِ16

في هذا المقطع الشعري يتحدّث الشاعر عن مجد الإسلام، وكيف انجلت الظلمات بقدومه، وقد ذكر لفظة (الإسلام)، وهي من الألفاظ التي جاء بها القرآن الكريم، حيث إنّ الإسلام لم يكن معروفًا قبل الدعوة إليه، فهي لفظة تمثّل علمًا على ديننا الإسلامي الذي دعا إليه نبيّ الهدى –صلوات ربي وسلامه عليه– والذي يحتاج للدخول فيه إلى التوحيد، والدين عند الله الإسلام كما ورد في القرآن الكريم، في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾١٧، وهنا يظهر الشاعر معتزًّا بدينه، الدين الذي نقل الأمة من الضلالة إلى الهدى.

يقول أيضًا:

أَبِي العَرَب المِطْعان فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ بِسُمْرِ القَنا وَالحَرْبِ تَعْلِي قُدُورُها

---

١٥ الحجر، الآية ٣٣.

١٦ انظر: الفزاري، **ديوان الفزاري**، ص٥٦.

١٧ آل عمران، الآية ١٩.

غَدا آمِناً مِنْ ظُلمها كُلُّ خائِفٍ وَأَمْسَى بِجَدْواهُ غَنِيّاً فَقِيرُها
أَماتَ نُفُوساً طالَما خَيفَ جَوْرُها فَلا يُرْتَجا حَتَّى النُشُورِ نُشُورُها
وَأَحْيا مِنْ العَلْيا عِظاماً رَمِيمَةً فَما بَرِحَتْ تَنْشَقُّ عَنْها قُبُورُها
إِمامٌ عَلَى تَقْوَى الإِلٰهِ مُحافِظٌ إِذا شَاء أَمْلاكُ الضَّلالِ فُجُورَها18

يمدح الشاعر الإمام أبا العرب، ويصف بلاءه في المعارك، كما يصف عطاءه وعدله الذي انتشر في البلاد وبين العباد، إنّ الألفاظ المستخدمة في هذا المقطع الشعري تبدو ألفاظًا مألوفة لدى العرب، لكنّ التركيبات التي وُجدت فيها تدلّل على تأثر الشاعر بآي الذكر الحكيم، فلو عدنا لسورة الضحى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨)﴾١٩ فهو مشى على هدي السورة من حيث إعطاء الشيء لإزالة آخر، فمثلًا: (غدا آمنًا من ظلمها كلّ خائف) إذن، أعطى الأمان فزال الخوف، (وأمسى بجدواه غنيًا فقيرها) أعطى الفقير فاغتنى، وهو ما جاءت به الآية الكريمة: (ووجدك عائلًا فأغنى) ومعناها بحسب تفسير القرآن الكريم، كنت فقيرًا ذا عيال فأغناك الله عزّ وجل بفضله، ثمّ يذكر إعادته الحياة لكلّ ما آل إلى الذبول والموت، واستوحى التركيب (وأحيا من العليا عظامًا رميمة) إحياء العظام الرميمة من القرآن الكريم من سورة يس: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾٢٠، حيث أعطى الإمام قدرة لإعادة الحياة، وهي على سبيل المبالغة والمجاز.

وفي مقطوعته (حبّ متنقّل) يقول:

نَهَضْتَ بِأَعْباءِ الخِلافَةِ وَالعَلَى21 نُهُوضاً وَلَمْ يَمْسَسْكَ حَرُّ لُغُوبِ
فَدُمْ وَابْقَ مَحْرُوسَ الجَنابِ مِنْ الأَذَى مَدَى الدَهْرِ ما هَبَّتْ رِياحُ جَنُوبِ22

---

[18] انظر: الفزاري، **ديوان الفزاري**، ص٥٧.

[19] الضحى، الآية ٥ــ٨.

[20] ياسين، الآية ١٨.

[21] وردت (العلى) والأصوب: العلا.

[22] انظر: الفزاري، المرجع نفسه، ص٦٦.

يمدح الشاعر الإمام، ويصف بعض أعماله؛ حيث قام بأعباء الخلافة دون أن يشعر بتعب أو تخاذل وإعياء، فحقّ له أن يعتدّ بنفسه مدى الدهر. واستخدم لفظة (لغوب) وهي مفردة من مفردات اللغة العربية بمعنى التعب، لكنّه قرنها بالفعل (يمسسك) مستوحيًا هذا التركيب من سورة قاف، حيث أورد الله تعالى في كتابه العزيز هذه الصورة، اقتران لغوب بفعل المساس: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[٢٣]، فقد أخبر الله عزّ وجل عن خلقه السماوات والأرض في زمن قصير جدًا، ولم يتسلل التعب إليه، عزّ في علاه.

وفي مقطوعته (الخلق الكريم):

أَلا إِنَّ الهُدَى بِابْنِ اِبْنِ سَيْفٍ إِمامِ المسْلِمِينَ بَدا وَبانا
وَإِنَّ الغَيَّ قَدْ طَمَسَتْ صُواهُ وَأَقْشَعَ غَيْمهُ عَنّا وَبانا[24]

يمدح الشاعر الإمام سلطان بن سيف(ت:١٦٧٩م) إمام المسلمين، ويفخر به؛ إذ إنّه نكس أعلام الغي، وطمس معالمها، فصواه بمعنى: الصوى الأعلام من الحجارة، وبهذا أقشع غيمة الظلمة عن عمان، وقد أورد لفظة (المسلمين) مقرونة بـ(إمام)، ولفظة المسلمين من الألفاظ التي انتشرت بعد نزول القرآن الكريم، وهي تطلق على من يدينون بدين الإسلام الذي جاء به محمد- عليه الصلاة والسلام- في الغالب؛ على الرغم أنها تعني دين الله الذي دعا إليه جميع الرسل، بدليل: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[٢٥]وقد أوردها القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)﴾[٢٦] ،وقد استخدم الشاعر مفردة (إمام) بتأثير الإسلام وما جاء به، فإمام المسلمين هو المسؤول عن أمورهم.

---

[٢٣] ق، الآية ٣٨.

[٢٤] انظر: الفزاري، **ديوان الفزاري**، ص٦٩.

[٢٥] يونس، الآية ٨٤.

[٢٦]البقرة، الآية ١٢٧/١٢٨.

وفي حديثه عن الصبر، قال:

وَسَلِّمْ مِن الآفاتِ دِيني وَعافِني قاضِياً يَوْمَ القِيامَةِ دَيني

وَصَلِّ عَلَى الهادِي النَبِيِّ وَآلِهِ صَلاةً يُضاهِي ضَوْؤُها[27] القَمَرَيْنِ[28]

يطلب الشاعر من الله عزّ وجلّ السلامة والمعافاة في الدين، ويصلّي ويسلّم على الحبيب المصطفى بعد ذلك، وقد استخدم لفظ (القيامة) وهي اسم من أسماء يوم البعث، ويوم الحشر، واليوم الآخر، وغيرها... وهو لفظ من الألفاظ الخاصة بالقرآن الكريم، وقد وردت في مواضع متعددة وكثيرة، منها: ﴿وقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[29]، وبهذا فالشاعر متأثر بما جاء به القرآن الكريم عن يوم القيامة وأهواله، والحساب فيه؛ لذا هو يرجو من الله أن يأتي هذا اليوم وقد سلم دينه.

في قصيدته (ما الدنيا بدار إقامة):

فَيا راجِياً رَوْحَ المهَيْمِنِ لا تَكُنْ أَخا غَفْلَةٍ عَنْ مَكْرِهِ وَأَمانِ

وَتَأْمِيلُكَ الفِرْدَوْسَ وَالفَوْزَ فِي غَدٍ بِأَعْمالِ سُوءٍ ضِلّةٌ وَأَماني

وَحُورٌ وَوِلْدانٌ تَطُوفُ عَلَيْكُمُ بِأَوْعِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَوانِي[30]

يتحدّث الشاعر عمّن يرجو رضا الله عزّ وجلّ، فيحذّره من الغفلة، ويذكّره بالنعيم الذي ينتظره يوم القيامة إن أعدّ العدّة ليوم الحساب، فيذكره بالفردوس والحور والولدان الذين يطوفون بأوان من فضة، وقد استوحى الصورة بألفاظها كما وردت في القرآن الكريم، إضافة لاستخدامه مفردة (الفردوس)، وهي تعني في اللغة العربية البستان والحدائق الغناء، ولكنّه قصد فردوس الجنّة، وهي من مفردات القرآن الكريم الخاصة، وقد وردت في مواضع متعددة مقترنة بمفردة (جنّة) ترغيبًا للمؤمنين، وهي بعيدة عن وصف فراديس الدنيا، ومن ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

---

[27] وردت: ضوئها والصواب: ضوؤها.

[28] انظر: الفزاري، **ديوان الفزاري**، ص٣٠٩.

[29] البقرة، الآية ١١٣.

[30] انظر: الفزاري، المرجع نفسه، ص٢٥٠.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[٣١]، وقد جاء باللفظ أيضًا في إطار المعنى القرآني للترغيب في إقامة دعائم الدين والعمل بأوامر الله عزّ وجل، للفوز بجنته، وفي موضع (ولدان تطوف عليكم بأوعية من فضة وأواني) فقد استخدم اللفظ القرآني باختلاف بسيط في هيئة التركيب، وهو وصف لنعيم أهل الجنة: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾[٣٢]، وقد دمج الشاعر بين ألفاظ آيتين كريمتين، الطواف مشترك بينهما، إلا أنّ آية تحدّثت عن نوع الأواني التي يطاف بها على أهل الجنة، وآية تحدّثت عن الولدان، وهي: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾[٣٣]، وقد جاء بالألفاظ من المنهل ذاته، سورة الإنسان، بل حاول دمج طواف الولدان بمعنى الآية السابقة في تحديده نوع الأواني، وهذا إن دلَّ على شيء؛ فهو يدل على ثقافة الشاعر الدينية، واطلاعه على الآي القرآني بشكل دقيق.

ثانيًا: من حيث المعنى

وقد يستعير الشاعر المعنى القرآني، فهو يقصده كما ورد، أو يريد المعنى لدعم معنى يريده، فليس بالضرورة أن يأتي بالمعنى القرآني بإرادته في التفسير، فقد يستعير المعنى لرسالة ما، وقد يستعير المعنى بجزء من هيئته اللفظية القرآنية، وقد يريد المعنى دون الاستعانة ببعض ما جاء من قرينة لفظية معه، وقد استعار الشاعر معاني عدّة من القرآن الكريم، منها على سبيل المثال لا الحصر: يقول:

قَدْ انْبَسَطَتْ يُمْناهُ ثُمَّ شِمالُهُ وَصِينَتْ عَنْ التَدْنِيسِ مِنْهُ الشَمائِلُ
رَقا دَرَجاتِ المِجْدِ قَبْلَ فِطامِهِ وَقامَ بِمَلِكِ الأَرْضِ وَالنَجْمُ آفِلُ
وَلَوْ أَنَّ سَحْبانَ الفَصِيحَ يُصافِحُ اِبْنَ سَيْفٍ عِنْدَهُ وَهُوَ باقِلُ[34]

[٣١] الكهف، الآية ١٠٧.

[٣٢] الإنسان، الآية ١٥.

[٣٣] الإنسان، الآية ١٩.

[٣٤] انظر: الفزاري، **ديوان الفزاري**، ص٢٣.

يصف الشاعر ممدوحه، فيتحدّث عن كرمه وعطاءاته، وأخلاقه الحميدة، التي لم تدنّسها المثالب، وكيف ارتقى إلى سلّم المجد منذ زمن طويل، وملك الأرض، وقصد البلاد، وأنّ سحبان بكلّ فصاحته لو صافحه لتغلّب السلطان عليه بفصاحته. وسَحبان هو اسم رجل من وائل، بليغ لَسِنٌ، يضرب بفصاحته المثل. وباقل؛ رجل من ربيعة اشتهر بالعِي، وبهذا فهو يقول إنّه لا يمكن عقد المقارنة من حيث البلاغة بينهما، وقد استخدم اللفظ القرآني في التعبير عن ذهاب النجم ومغيبه، فأورد التركيب (والنّجم آفل) مستعينًا بما ورد في سورة الأنعام في قصة إبراهيم عليه السلام:﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[٣٥]، وكأنّه استعار صورة النجم الكوكب الآفل الذي رآه إبراهيم عليه السلام، وقد أخذ معنى البسط –أيضًا– وهو العطاء ممّا جاء في القرآن الكريم من سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[٣٦]، وهو المعنى الذي أشار المولى عزّ وجل إليه بأنّ المبالغة في بسط اليد؛ تؤدي للحسرة، والتبذير.

وفي قصيدة (فدتك نفوسنا) يقول:

خُذْ الحِذْرَ يا سُلْطانُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَإِنْ كانَ لا يُغْنِي عَنْ القَدَرِ الحِذْرُ[37]

يوجّه الشاعر خطابه إلى السلطان، حيث يطلب منه أخذ الحيطة والحذر، وينوّه له في الوقت ذاته أنّ الحذر لا يمنع القدر، وهو المعنى الذي وضحه القرآن الكريم لنا في أكثر من موضع، منه: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٣٨]، وقد أكدت الآية أنّ الإنسان لن يصاب بشيء إلا بما أراده الله، والحذر مقرون بالتوكّل على الله لا التواكل، وقد انتهت الآية الكريمة بقوله: وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

وفي أبياته المعنونة بـ (خصاصة يوم العيد) يقول:

لَقَدْ جَاءَ عِيدُ الْفِطْرِ يَا قَطْرَ النَّدَى وَعِيدُكَ فِي قَيْدِ اَلْخَصَاصَةِ يَرْسُفُ

---

[٣٥] الأنعام، الآية ٧٦.

[٣٦] الإسراء، الآية ٢٩.

[٣٧] انظر: الفزاري، **ديوان الفزاري**، ص٢٥.

[٣٨] التوبة، الآية ٥١.

وَهَذَا هَدَاكَ اَللَّهُ شَهْر مُبَارَكٌ بِهِ حَسَنَاتٌ الْمُحْسِنِينَ تُضَعَّفُ[٣٩]

في الأبيات السابقة يستعطف الشاعر الإمام، يمدحه ليعفو عنه، يتحدّث عن قدوم عيد الفطر، ويبيّن حاله في العيد، فهو مقيّد بالقيد يرسف، والرسف هو مشية المقيّد، ويذكّر الإمام بفضائل الشهر الكريم، الشهر المبارك التي تتضاعف فيه الحسنات، فيدعوه بالحبّ، ويطلب منه المحبة التي يستحقها بحسب قدره بين الناس، فيطلب العفو، وقد أورد تركيب (عيد الفطر) وهو شعيرة من شعائر الإسلام التي جاء بها الكتاب والسنة، ولم تأت في القرآن باللفظ الصريح، بل جاءت بدلالة المعاني التي تحدّثت عن شهر رمضان المبارك، وقد ذكر الشاعر هذا الشهر المبارك دون التصريح به، وهو شهر رمضان الذي ذكرت فضائله في القرآن الكريم، وهذه المعاني تدور في الإطار ذاته، الذي ذكره القرآن الكريم عن شهر رمضان، ومنه ما جاء في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤٠]، في الكتاب الكريم جاء لفظ الشهر صريحًا واضحًا (شهر رمضان) وقد عدّدت مناقب الشهر، فهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، وقد أشير لعيد الفطر إشارة، ولم يذكر بالتصريح، فبانتهاء رمضان يكون العيد. أيضًا من فضائل الشهر الكريم أنّ فيه ليلة القدر، وهي ليلة خير من ألف شهر، وهذا ما ورد في سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)﴾[٤١]. في هذه السورة الكريمة كان تعداد فضائل ليلة القدر، وهي ليلة من

---

[٣٩] انظر: الفزاري، **ديوان الفزاري**، ص٣٤.

[٤٠] البقرة، الآية ١٨٣-١٨٤-١٨٥.

[٤١] القدر، الآية ١-٥.

ليالي رمضان، والتي تقع في العشر الأواخر منه كما ورد في السنة النبوية، وهذا التعداد لفضائل الشهر الكريم في المقطوعة الشعرية يتلاقى مع معاني القرآن الكريم في ذكره فضائل هذا الشهر.

وفي قصيدته (عدل وحمد) يقول:

الْعَدْل أَفْضَلُ مَا يُسَاسُ بِهِ الْوَرَى وَالْحَمْدُ أَنْفُسُ كُلِّ شَيْءٍ يُشْتَرَى

وَالْعِلْمُ لِلْإِنْسَانِ أَشْرَفُ مَلْبَس وَبِهِ يَصِير اَلْمَرْءُ فِي أَعْلَى اَلذُّرَى

وَالْجُودُ يَغْرِسُ فِي اَلْقُلُوبِ مَحَبَّةً وَيُفِيدُ صَاحِبَهُ اَلثَّنَاءَ اَلْأَوفَرَا

وَالْفَخْرُ بِالْخُلُقِ اَلْجَمِيلِ وَبِالتُّقَى لَا بِالثَّرَاءِ وَلَا عِظَام فِي اَلثَّرَى

وَالْجِدُّ لَيْسَ يَنَالُهُ إِلَّا فَتًى يَقْظَانُ لَمْ تَقْعُدْ بِهِ سِنَةُ اَلْكَرَا

وَالْمُلْكُ لَيْسَ يَلِيقُ إِلَّا بِامْرِئٍ عَدْلٍ سَدِيدِ اَلرَّأْيِ فِيمَا دَبَّرَا

زَاك قَدْ اِتَّخَذَ اَلزَّهَادَة مَشْوَذًا وَالصَّبْرَ دِرْعًا وَالنَّزَاهَةَ مِئْزَرَا[٤٢]

في هذا المقطع الشعري يُعدّد الشاعر بعض الصفات الجيدة التي ينبغي للمرء أن يتحلّى بها، وهذا ما يتواءم مع ديننا الحنيف، فقد جاء نبي الهدى يدعو إلى مكارم الأخلاق، وحثنا القرآن الكريم على هذه الأخلاق في مواضع كثيرة، من هذه الاخلاق التي يطالب الشاعر بالتحلّي بها: (**العدل، الحمد والشكر، العلم، الجود، التقوى، الجدّ، الصبر، النزاهة**) وقد تمّ ذكر هذه الصفات في القرآن الكريم، وقد تلاقى الشاعر بدعوته الناس إلى هذه الصفات مع دعوة القرآن الكريم، ففي **العدل** ذكر القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٤٣]، دعا الله عزّ وجل في هذه الآية الكريمة المؤمنين إلى العدل، وقرن به **التقوى**، وهي الدرجة التي يتقرّب بها المسلم إلى ربّه، كما دعا في الآية ذاتها إلى التقوى. ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ

[٤٢] انظر: الفزاري، **ديوان الفزاري**، ص٣٨.

[٤٣] المائدة، الآية ٨.

الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[٤٤]، وفي الآية السابقة من سورة آل عمران يذكر الله الشاكرين، وهم من شكروا النعم، وقد وعدهم خير الجزاء، و**الشكر** يوازي الحمد من حيث المعنى، وما أجلّ أن نحمد الله عزّ وجل على نعمه، وقد افتتح القرآن الكريم **بالحمد** لله رب العالمين في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٥]. وفي ذكر **العلم** قد وضّح القرآن الكريم قدره ومكانته بعقد المفاضلة بين من يملك العلم ومن لا يملكه، وهذا جاء في سورة الزمر: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٤٦]، لقد منح القرآن الكريم العالم رتبة أعلى، فلم يساوِ بين العالم والجاهل، وذاك أنّ العالم يملك قدرة على التأمل والتفكّر والتدبّر، هذا الأمر يمنحه مساحة أكبر ليكون قرب الله بعد انفتاح الأفق أمام عقله.

أمّا عن **الجدّ** فقد دعا القرآن الكريم للعمل، بل أشار إلى إتقان هذا العمل، فالسعي جدّ والعمل جدّ، ولن يصل المرء لمبتغاه إلا بالعمل، ولن يتقرّب من ربّه إلا بالجدّ والعمل، والإخلاص في هذا العمل، ومنه قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤٧]، في قوله: فسيرى الله عملكم، دعوة إلى الإخلاص في العمل، فالله والرسول والمؤمنون سيطّلعون على هذا العمل، ومن طبيعة المرء أن يحاول إتقان عمله كلّما علم بمن يراقبه، فكيف باطلاع الله عزّ وجلّ! هذا يجعل المرء أكثر إخلاصًا في عمله. أمّا عن صفة **الصبر** فقد ذكرت في مواضع عدّة، وقد امتدح الله الصابرين، بل أشار إلى الجزاء الذي ينتظرهم أيضًا، ومن دعوته للصبر ما جاء في سورة البقرة: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٤٨]، وعن جزاء الصبر: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ

---

[٤٤] آل عمران، الآية ١٤٥.

[٤٥] الفاتحة، الآية ١.

[٤٦] الزمر، الآية ٩.

[٤٧] التوبة، الآية ١٠٥.

[٤٨] البقرة، الآية ٤٥.

وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٤٩]، أن يحصل الصابر على أجره دون حساب محفّزٌ كبير لانتهاج المسلم منهج الصبر والاحتساب، وقد دعا الله عزّ وجل في أكثر من موضع إلى الصبر، والذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر.

وفي سورة النساء جاء الحديث عن إدراك الموت الإنسانَ في أيّ حال وأي وقت: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[٥٠]، هذا المعنى الذي تحدّث به الشاعر، وقد استعار بعض الألفاظ ذاتها من الآية الكريمة، مثل: (برج_ مشيد)، وقد قرن هذا المعنى في شعره بحدوث المصائب، وقد قرن القرآن الكريم من قبل هذا المعنى بحدوث الملمّات، والتي تمّ ذكرها بعد الحديث عن حدوث الخير، وفي هذا التقاء واضح مع المعنى القرآني.

وفي شعره عن الصبر (استبشر الصبر) يقول:

فلا الْحَيَاةُ وَإِنْ طَالَتْ بِبَاقِيَةٍ وَلَا اَلزَّمَانُ وَإِن صَافى بِمُؤْتَمَنِ

فَاسْتَشْعِرِ الصَّبْرَ إِنَّ نَابَكَ نَائِبَةٌ فَإِنَّهُ جَنَّةٌ مِنْ أَحْصَنَ اَلْجَفَنِ

لَكِنْ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَرْضَى بِمَا نَفِدَتْ بِهِ مَقَادِيرُ ذِي الْآلَاءِ وَالْمِنَنِ[٥١]

من الواضح أنّ الشاعر قد تأثر جدّا **بخلق الصبر**، فقد تحدّث عنه في مواطن عدّة، ودعا إليه في أكثر من موضع في الديوان، كما دعا إلى **الرضا بالقضاء والقدر**، فهو يتحدّث –هنا– عن زوال الحياة مهما طالت، وعن التحلّي بالصبر عند الملمّات، وأنّ على المرء أن ينصاع لقضاء الله عزّ وجل بالصبر: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ(١٥٦)﴾[٥٢]. وفي حديثه عن زوال الحياة: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ

---

[٤٩] الزمر، الآية ١٠.

[٥٠] النساء، الآية ٧٨.

[٥١] انظر: الفزاري، **ديوان الفزاري**، ص٣١٠.

[٥٢] البقرة، الآية ١٥٥– ١٥٦.

الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٥٣]، فما جاء في سورة العنكبوت يخبر بزوال الحياة، فهي مجرد لعب ولهو، والآخرة هي دار القرار، هي المستقر، وبذلك استوحى الشاعر معنى زوال الحياة من معاني القرآن.

يرى الباحث في هذا الموضع؛ أنّ الشاعر الفزاري قد استوحى معاني شعره من معاني القرآن الكريم، و قد استعار بعض الألفاظ منه بطريقين: إمّا باللفظ القرآني الخالص، وإمّا بالاقتباس اللفظي القرآني، فقد تحدّث عن الصبر، والرضا، وحسن التوكّل على الله، وأهمية العلم، ومكارم الأخلاق، والعدل وغيرها من المعاني التي استوحى معظم صورها ممّا جاء في القرآن الكريم، كما استخدم الألفاظ القرآنية ليدعّم معناه الشعري بصفة القدسية التي يضفيها المعنى القرآني على النص، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على تمسّك الشاعر بدينه، بل واطلاعه على تفاصيل هذا الدين، والعمل بها، فهو يتحدّث عن الدين من الجانب الدعوي الذي قام به القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أثر القرآن الكريم في شعر الشاعر خلف بن سنان الغافري (ت:١١٢٥هـ)[٥٤]

"وأشعاره تنبي عن غزارة علمه في الآدب واللغة، فشعره رائق فائق مفيد جدًّا؛ لأنه قرضه في نصائح وحكم واضحًا ومواعظ وفتوحات ومدائح لأئمة المسلمين من اليعاربة"[٥٥]

بدا تأثير القرآن الكريم في شعر الغافري، وتجلّى هذا الأمر في التأثير في اللفظ وفي المعنى، ومن التأثير في اللفظ ما جاء في بعض المواضع في ديوانه، منها:

---

[٥٣] العنكبوت، الآية ٦٤.

[٥٤] هو الشيخ العالم الفقيه، والناثر البليغ والشاعر البارع، الأديب الوالي خلف بن سنان بن خلفان بن عثيم الغافري، نسبه إلى غافر الذي تنتسب إليه قبيلة بني غافر الشهيرة، وينسب الشيخ بنفسه إلى قريش، وقد تعلم الشيخ خلف في مدرسة حصن جبرين، هو من علماء القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر، أدرك بعض إمامة الإمام ناصر بن مرشد، وعاش إلى ما بعد وفاة سيف بن سلطان، وشهد زمنًا من إمامة سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف، وتولى منصبي الولاية والقضاء

[٥٥] محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي، **سموط الجمان في أسماء شعراء عمان**، (سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة. ط٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ج١، ص٨٦.

وَلَا تُفْتِيَنْ إِلَّا بِعِلْمٍ وَحُجَّةٍ فَمَا كُلُّ مُفْتٍ لَا عَدِمْتُكَ عَالِمُ

وَلَا تَتْرُكَنَّ اَلْأَمْرَ بِالْعُرْفِ وَاَلنَّهْيَنْ عَنْ النُّكْرِ إِنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَازِمُ

وَكُنْ مَا حَيِيتَ صَائِمًا مُتَوَضِّئًا حَلِيفَ وَقَارٍ فَضْلُه لَكَ دَائِمُ

وَمِنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ ذِي الْفَضْلِ شَاكِرًا فَذَلِكَ فِي بَحْرِ التَّرَدُّدِ عَائِمُ[٥٦]

يتحدّث الشاعر في المقطع السابق عن نصائح، أهمّها: عدم الإفتاء بغير علم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدعو للصيام والصلاة، ولم يصرّح بالدعوة إلى الصلاة، بل أشار إليها عبر دعوته للوضوء، ويدعو لشكر الله على نعمه، فهو صاحب كلّ فضل على الإنسان، وقد استعار الشاعر بعض ألفاظه من القرآن الكريم، ومنها **الصيام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، باختلاف التركيب اللّغوي، كما استخدم لفظة **الوضوء**، والتي كنّى عنها القرآن الكريم بالغسل، ففي **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** الذي جاء في مواضع عدّة في القرآن، نذكر منها ما جاء في سورة آل عمران: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥٧]، فقد دعا القرآن الكريم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الألفاظ ذاتها التي استخدمها الشاعر في الدعوة ذاتها باختلاف لفظة (المنكر) التي أسقط منها الميم. ولفظة (**الصيام**): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٥٨]، وقد وردت في الدعوة إلى الالتزام بأمر الله –عزّ وجل– إلى صيام شهر رمضان، فقد جاءت دعوة الصيام مخصصّة، إلى أنّ دعوة الشاعر عامّة، فهو يدعو للصيام بشكل عام، سواء في رمضان أو غيره، باعتباره زادًا للآخرة، وقد كنّى عن الدعوة **للصلاة** بالإشارة إلى الوضوء، وهو اللفظ الذي لم يأتِ صريحًا في الدعوة إلى الصلاة في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا

---

[٥٦] انظر: المصدر نفسه، ص٩٩.

[٥٧] آل عمران، الآية ١٠٤.

[٥٨] البقرة، الآية ١٨٣.

بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥٩]، فالدعوة إلى الوضوء تعني الدعوة إلى الصلاة، وقد جاء في الآية الكريمة تفسير الوضوء بتفصيل أفعاله من المسح والغسل، وإن لم يتوفر الماء ناب عنه التيمّم، وبهذا فقد استعار الشاعر ألفاظه من القاموس القرآني، إضافة إلى دورانه في فلك المعاني ذاتها، وهي الدعوة.

وفي مدحه الإمام سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان يقول:

فَأَسْلِم وَدُم فِي عِزَّة وَسَعَادَةٍ بِهِمَا لِإِبْهَام اَلْأُمُورِ بَيَان

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِي مُحَمَّدْ مَا صَرَفَ الْقَلَمَ اَلشَّرِيفَ بَنَان[٦٠]

يمدح الشاعر الإمام سيف بن سلطان، ويدعو له بدوام العزّة والسعادة، اللّذين يوضّحان الأمور المبهمة؛ إذ إنهما يشيران إلى صفاء الذهن من الكدر، ويدعوه إلى الصلاة على النبي المكرّم، محمد صلى الله عليه وسلم، وقد استوحى هذا اللفظ (**الصلاة على النبي**) من القرآن الكريم، الذي يوجّه الدعوة للمؤمنين بالصلاة على النبي في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٦١]، حيث تشير الآية الكريمة إلى ثناء الله سبحانه وتعالى عند ملائكته على الرسول صلى الله عليه وسلم، وملائكته يدعون له حاثّين المؤمنين إلى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: يا أيها الذين آمنوا صلوا على الرسول وسلموا عليه تسليمًا، فهي من الألفاظ الخاصة بالقرآن الكريم التي استعارها الشاعر من الكتاب العزيز.

يقول:

فَدُمْ وَابْقَ مِنْ كُلِّ الْمَكَارِهِ نَاجِيًا كِلَاكْ إِلَى عَالِمِ اَلسِّرِّ وَالنَّجْوَى[٦٢]

---

[٥٩] المائدة، الآية ٦.

[٦٠] انظر: البطاشي، **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**، ص١٠٠.

[٦١] الأحزاب، الآية ٥٦.

[٦٢] انظر: البطاشي، **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**، ص١٠٥.

وفي ذات القصيدة يكمل دعاءه للإمام، فيدعو له بالسلامة من كلّ المكاره، وما خفي منها في السرّ والنجوى، وذلك بالتوكّل على الله الذي يعلم السر والنجوى، مستخدمًا لفظ القرآن الكريم (**النجوى**)، وقد ورد هذا في سورة المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ(٨)﴾[٦٣]، فالآية تشير إلى علم الله عزّ وجل بالإسرار والنجوى، وهو المعنى الذي أراده الشاعر بحفظ الله الإمام، وذلك لأنّه العالم بالذي يدور في السر ومواقف النجوى، وقد التقت مع النجوى التي أرادها الشاعر، وهي حديث السوء والإثم، وكلّ ما لا يسرّ لو كُشف عنه على الملأ.

وفي وصف مرض أصابه:

أَلَمَّتْ خَيَالاً وَالْأَنَامُ رُقُودُ وَشُهُبُ الدِّيَاجِي لِلْأُفُولِ سُجُودُ

وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بُرْءًا لِمَرْضَتِي وَقَامَتْ لِإِقْبَالِ اَلسُّرُورِ جُدُودُ[٦٤]

يتحدّث الشاعر عن آلامه في مرض أصابه، وعن حاله مع هذا الألم، فقد كان يتألم والناس نيام، وشهب السماء كادت أن تغيب، وهي كناية عن طول السهر الناتج عن الألم، ويشير إلى الشفاء الذي يحلّ على المريض بإرادة الله، فيغيّر الحال إلى السرور والفرح، وقد استخدم الشاعر لفظة **السجود**، وهي من الألفاظ الخاصة بالصلاة، ولها معنى عام يُراد به نزول المرء على الأرض وجثوّه خضوعًا وتذلُّلًا، وقد وردت هذه اللفظة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، منها: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٦٥]، فالسجود هنا الخضوع لله عزّ وجل، والشهب في قول الشاعر سجود للأفول، أي: تطلب الذهاب؛ لتستريح، وفي

---

[٦٣] المجادلة، الآية ٧-٨.

[٦٤] انظر: المصدر نفسه، ص١٠٩.

[٦٥] آل عمران، الآية ٤٣.

هذا دلالة على قرب طلوع الصبح، وبهذا استخدم الشاعر اللفظ بعيدًا عن إرادة المعنى المعروف منه، سجود الصلاة، واكتفى بدلالة الخضوع.

ويقول أيضًا:

وَلِمَ نُقِلَ بِأَنَّهُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ بِكُرْسِيِّ ضِيَاءٍ وَسِنًّا

وَالصَّالِحُونَ الْمُخْلِصُونَ حَوْلَهُ عَلَى الْكَرَاسِي كَمَلكٍ ذِي السَّنَا[٦٦]

يتحدّث الشاعر عن حال من رحل في رثاء، فيذكر الجنّة، جنّة الخلد، واستقرار الصالحين المخلصين فيها، وكأنّ حال الذي يرثيه أنّه يتربع على كرسي كالملك صاحب النور، ومن حوله الصالحون، وقد استخدم تركيب (**جنّة الخلد**) وهو من ألفاظ القرآن الكريم الخاصة، التي تدلّ على مكان المؤمنين الصالحين، وهو المكان المعدّ لاستقرارهم بعد زوال الدنيا، وقد وردت كلمة الخلد في أكثر من موضع، ووردت مقترنة بلفظ الجنة في سورة الفرقان: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾[٦٧]، فجنة الخلد هي الوعد الذي وعده الله عزّ وجلّ للمتقين، وفي هذا إشارة من الشاعر إلى تقوى المتوفى الذي يرثيه، وبذلك فهو استخدم اللفظة بالتركيب ذاته، باقترانها بدلالة الخلود، مشيرًا إلى المعنى المقصود في القرآن الكريم.

وقوله:

وَلَمْ تتِمَّ صَلَوَاتُ تَارِكِ اَلْأَرْحَامِ عَمْدًا وَالْقُرْآنَ مَا قَرَأَ[٦٨]

يتحدّث الشاعر عن إمكانية الاعتراف بصلاة من قطع الرحم متعمّدًا، وهجر القرآن، وقد استخدم لفظة (**الصلوات، القرآن**) وهي ألفاظ خاصة من ألفاظ القرآن، ذات الخصوصية؛ إذ إنه يشير إلى ترك الصلاة، والصلاة التي ذُكرت في القرآن هي الصلاة الواجبة على المسلم، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة، و قد استخدم لفظة القرآن، وهي لفظة موقوفة على كتاب الله عزّ وجل، الذي دعا إليه محمّد –صلى الله عليه وسلم– وقد وردت هاتان اللفظتان في

---

[٦٦] انظر: البطاشي، **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**، ص١١٣.

[٦٧] الفرقان، الآية ١٥.

[٦٨] انظر: المصدر نفسه، ص١١٤.

القرآن الكريم، فجاءت لفظة (الصلوات) في أكثر من موضع، منها ما جاء في سورة البقرة: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[٦٩]، ولفظة القرآن وردت في مواضع كثيرة، وكلّها كانت تدلّ على القرآن الكريم الذي أنزل على النبي محمد، والمتعبّد بتلاوته، ونذكر منها ما جاء في سورة الأعراف: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٧٠]، وبهذا فإنّ الشاعر قد استعار اللفظ القرآني بخصوصيته، إضافة إلى إشارته إلى قاطع الرحم الذي استعاره من قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ (٢٢) أولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وأعمى أَبْصارَهم(23) ﴾[٧١]، وهو ما نهى عنه القرآن الكريم.

يقول أيضًا:

لَا حَوْلَ إِلَّا بِالْإِلَهِ لَا وَلَا مِنْ قُوَّةٍ إِلَّا بِهِ جَلَّ عَلَا

نَحْنُ الْجِبَالُ فَمَعَاذ اللَّهِ أَن يَوْمًا نَرَى تَرْكَ نَكِيرٍ بِسَنَا [٧٢]

يتحدّث الشاعر عن قدرة الله عزّ وجل من خلال إشارته للحوقلة، فلا قوة إلا به، ويصف عزائمهم من خلال التعريف بـ (نحن الجبال)، وهذا فيه دلالة قوة وثبات وشموخ، ثم يشير إلى رفض وجود شائن بينهم من خلال الاستعاذة بالله (**فمعاذ الله**)، وقد استعار هذا التركيب من سورة يوسف: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٧٣]، ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾[٧٤]، فقد جاء التركيب في موضعين من سورة يوسف، الأول: أراد به البعد عن السقوط في المحرم مع امرأة العزيز، والثاني أراد به البعد عن

---

[٦٩] البقرة، الآية ٢٣٨.

[٧٠] الأعراف، الآية ٢٠٤.

[٧١] محمد، الآية٢٢ و٢٣

[٧٢] انظر: البطاشي، **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**، ص١١٧.

[٧٣] يوسف، الآية ٢٣.

[٧٤] يوسف، الآية ٧٩.

الظلم بأخذ بديل عمّن وُجد صواع الملك في رحله، وفي كلا الموضعين أدّى التركيب اللفظي مهمة واحدة، وهو ما أشار إليه الشاعر من الاستعاذة من الوقوع في المنكر.

بدا تأثّر الشاعر خلف بن سنان الغافري بمعاني القرآن، برز هذا جليًّا في ديوانه الذي تناولته هذه الدراسة، ووقفت على نماذج منه على سبيل النمذجة لا الحصر، ومنها ما جاء:

في مديحه للإمام سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف(ت:١٧١٨م):

وَكُنْ مُحسِنًا بَرًّا كَرِيمًا مُهَذَّبًا مُحَيَّاكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بِاسْمُ

وَدَعْ غَضَبًا رَذْلاً وَطَيْشًا وَعَجْلَةَ فَصَاحِبُهُنَّ نَادِمُ اَلْقَلْبِ سَادِمُ

أَلَا وَاعْفُوَنْ وَاحْلُمْ عَنْ اَلنَّاسِ إِنَّمَا بِذَلِكُمُ حَقًّا تَتِمُّ الْمَكَارِمُ

وَمَنْ كَانَ مُحْتَاجًا لِعَفْوِ إِلهَنَا فَلِلْعَفُوِ فَعَّال وَلِلْغَيْظِ كَاتِمُ

وَلَا تُلْفَيَنْ فَظًّا غَلِيظًا عَلَى الْوَرَى فَيَنْفِرَ عَنْكَ ذُو الْوِدَاد اَلْمُلَازِمُ

فَلَسْتَ بِخَلَّاق وَلَا أَنْتَ رَازِقٌ وَلَكِنْ ضَعِيفٌ حَضَّكَ اَلدَّهْرُ هَادِمُ

وَلَا تَفْتُرَنْ مِنْ ذِكْرِ رَبِّكَ سَاعَةً فَمِنْ يَذْكُرَنْهُ فَهُوَ لَا شَكَّ غَانِمُ

وَكُنْ لِبَيَانِ الشَّرْعِ مَا عِشْتَ قَارِئًا فَفِيهِ الْهُدَى حَقًّا وَفِيهِ الْغَنَائِم[٧٥]

يقدّم الشاعر بعض النصائح للإمام سلطان بن سيف(ت:١٧١٨م)، فيدعوه للبرّ والإحسان، والتبسّم على الدوام، وترك الغضب؛ لأنّه فيه طيش وندم، ويطلب منه التحلّي بالعفو والحلم والسماحة، فنحن بحاجة إلى عفو الله ومغفرته، فكيف لا نعفو ولا نكظم غيظنا عند المقدرة، وينصحه بالرفق واللّين، فغلظة القلب تعمل على نفور الجمع من حوله، وما نحن إلا بشر لا نخلق ولا نرزق، نفنى ويفنينا الدهر بحسب نصح ابن سنان، ويحثّ الإمام على دوام الذكر، فهو منجاة، واتباع شرع الله؛ لأنّ فيه هدى الطريق. لقد استعار الشاعر معظم معانيه من معاني القرآن الكريم، فحديثه عن **العفو والحلم وكظم الغيظ** يتوافق مع المعنى القرآني للعفو في سورة التغابن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ

[٧٥] انظر: البطاشي، **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**، ص٩٦.

تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٧٦]، ويتوافق مع المعنى القرآني الذي يتحدث عن **العفو المقرون بكظم الغيظ** في سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٧٧]، وذكره **الرفق** باستعارته الصورة القرآنية التي تتحدّث عن النفور من الغلظة والفظاظة، التي وردت في سورة آل عمران أيضًا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٧٨]، والتي تتحدّث عن رحمة الرسول الكريم ورفق قلبه.

وفي إشارة من الشاعر بأنّ **رزق** الإنسان بيد خالقه فقط، وهذا ما أشارت إليه سورة الذاريات:﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٧٩]، وفي إشارة أخرى **لعدم قدرة الإنسان على خلق المخلوقات**، فقد استعان الشاعر بالمعنى القرآني الذي أشار إلى ذلك في سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[٨٠]، وفي معنى الحثّ على الذكر، يتلاقى المعنى مع السياق ذاته في القرآن، وهو الحثّ على التسبيح، الذي هو نوع من الذكر، وهذا ما جاء في سورة الأحزاب: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٨١]، وقد جاء هذا المعنى في الدعوة، الأمر الذي يتوافق مع سياق المعنى لدى الشاعر.

وفي مدح الإمام سلطان بن سيف بن سلطان(ت:١٧١٨م) يقول:

سَرَتْ بِطَلْعَتِهِ الْعَلْيَاءُ وَابْتَهَجَتْ بِهِ الْمَمَالِكُ فِي الْمَشْتَا وَفِي الصَّيْفِ

أَدَامَهُ اللَّهُ بَحْرًا زَاخِرًا بِنَدًى بَيْنَ الْبَرِيَّةِ مَوْرُود وَمَعْرُوفِ[٨٢]

---

[٧٦] التغابن، الآية ١٤.

[٧٧] آل عمران، الآية ١٣٤.

[٧٨] آل عمران، الآية ١٥٩.

[٧٩] الذاريات، الآية ٥٨.

[٨٠] الحج، الآية ٧٣.

[٨١] الأحزاب، الآية ٤٢.

[٨٢] انظر: البطاشي، **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**، ص١٠٠.

يمدح الإمام سلطان بن سيف، ويقول: إنّ العلياء ابتهجت بطلعته، والممالك سرّت به في كلّ الأوقات: الصيف والشتاء، ثمّ يدعو له بدوامه منهلًا للعطاء بين الناس، وقد استوحى الشاعر معنى تكاملية الزمن بتقسيمه على قسمين: الشتاء والصيف من المعنى القرآني في سورة قريش: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)﴾[٨٣]، وقد شملت الآية الكريمة الزمن لأهل قريش في رحلتيهم: الشتاء والصيف.

وفي المديح يقول أيضًا:

مَلَكْتَ عُمَانًا أَجْمَعًا ثُمَّ مَا اكْتَفَى بِهَا عَزْمُكَ الْمَاضِي لَنَا وَحْدَهَا كُفْوا

فَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ أَسْقَتْ أَكْؤُسَ الْحِمَا مِ حَمَاةَ الشِّرْكِ فِي الْبَلْدَةِ الْقُصْوَى[٨٤]

يتحدّث الشاعر عن ممدوحه وعزمه، فقد ملك عمان، ومضى في طريق المجد ضدّ الأعداء، وقد صوّر هذا العزم وكأنّ الإمام قد كشف عن ساقه مشمّرًا، فمضى ليسقي الأعداء كأس الموت، وقد نهل الشاعر من المعنى القرآني هذه الصور التي وردت في سورة النمل: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٨٥]، ففي الآية الكريمة جاءت صورة ملكة سبأ وهي تكشف عن ساقيها استعدادًا لدخول الصرح بعد أن حسبته لجّة، وهذا يعني أنّ المضي إلى ذلك تطلّب منها خوفًا مما حسبته، وقد جاء الشاعر بصورة الإمام يكشف عن ساقه خوفًا من غرقها بالدماء؛ لشدة الوطيس بينه وبين الأعداء، وبذلك فقد استوحى الشاعر المعنى من قاموس المعاني القرآنية.

وفي أحكام الدين يقول:

لَا أَخَّرْنَا وَطْءَ مَنْ قَدْ طُلِّقَتْ مِنْ غَيْرِ إِشْهَادٍ لِرَدٍّ فِي مَلَا

---

[٨٣] قريش، الآية ١-٢.

[٨٤] انظر: البطاشي، **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**، ص١٠٥.

[٨٥] النمل، الآية ٤٤.

وَلَمْ نُجَوِّز فَرْجَ مَنْ قَدْ طُلِّقَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَلَوْ جَرَتْ ملَا[٨٦]

يتحدّث الشاعر عن بعض الأحكام الشرعية، وهو عدّة المطلقة، فلا يجوز زواجها أثناء العدة، وأشار إلى ذلك بلفظة (الوطء) إلا بعد مضي عدّتها والتأكد من عدم ردّ زوجها إليها، وهي المطلقة بطلاق رجعي، ويتحدّث عن المطلقة ثلاث طلقات، وهي التي تحرم على زوجها، إلا إن تزوجت بغيره ثمّ طُلّقت، ولو جرت ملا، قصد الجفنة التي تحمل الشيء، وهذا دلالة استحالة فرجها على زوجها الذي طلّقها ثلاثًا، وقد جاء هذا المعنى متوافقًا مع المعنى القرآني في سورة البقرة: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠)﴾[٨٧]، فالآيات الكريمة تحدّثت عن عدّة المطلقة طلاقًا رجعيًا، وعمّن طلقت ثلاث طلقات، وهو المعنى ذاته الذي تحدّث فيه الشاعر، مستلهمًا الحكم الشرعي من الآيات الكريمة.

يقول في الإطار ذاته، الأحكام الشرعية:

وَلَا أَجَزْنَا فَرْجَ مَنْ قَدْ وُطِئَتْ فِي الْحَيْضِ عَمْدًا لَا بِأَسْبَابِ الْخَطَأِ

وَلَمْ نَقُلْ إِنَّ الْإِلَهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ مِنْ غَيْرِ مَتَابِ مَنْ عَصَى[٨٨]

يتحدّث الشاعر عن عدم جواز إتيان الزوج زوجته في المحيض، وهو ما جاء في النصوص القرآنية في سورة البقرة تحديدًا:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي

---

[٨٦] انظر: المصدر نفسه، ص١١٣-١١٤.

[٨٧] البقرة، الآية ٢٢٨-٢٢٩-٢٣٠.

[٨٨] انظر: البطاشي، **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**، ص١١٤-١١٥.

الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٨٩]، فقد حثّت الآية الكريمة على اعتزال النساء في المحيض؛ لأنّ فيه أذى، وقد توافق معنى الشاعر مع الآية الكريمة؛ إذ إنه استقى الحكم الشرعي منها. يتحدّث عن المغفرة ولزوم التوبة كي تحصل، وهذا المعنى أحد معاني القرآن الكريم التي جاءت في سورة الفرقان: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٩٠]، فالآية الكريمة توضّح أن التوبة هي السبيل للمغفرة ومحو السيئات، وهو إطار المعنى ذاته الذي تناوله الشاعر.

وفي المديح يقول الشاعر:

مَوْعِدُكُمْ بنِي أَبِينَا مَوْقِف مَا وَالِدٌ فِيهِ عَنْ الْوُلْدِ جَزَى

هَيْهَاتَ لَا نَنْظُرُ مِنْ أَفْعَالِكُمْ وَمَا جَمَعْتُمْ لِنَفَادٍ وَفَنَا

لَكِنَّنَا نَنْظُرُ مَنْ لِلْعِلْمِ وَالتَّقْوَى وَلِلْإِحْسَانِ وَالصَّبْرُ حَوَى[٩١]

يتحدّث الشاعر عن قومه، ويذكّرهم بيوم القيامة، حيث لا يغني والد عن ولده، ولا مولود عن والده، فما يبقى من الأعمال هو ما كان للآخرة وليس للدنيا، ومن نهل من منهلي العلم والتقوى، وأحسن وصبر فهو من يفوز، وقد تناول الشاعر ثلاثة معانٍ، المعنى الأول: أنّ الإنسان يقف للحساب وحده، لا يفديه أحد من عائلته، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في سورة لقمان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[٩٢]، وفي الآية الكريمة خطاب للناس بالتزام التقوى، وهو ما أشار إليه الشاعر في المعنى الثالث، وتحذير من يوم الحساب؛ حيث لا يغني الوالد عن ولده، فكلّ محاسب بعمله، والمعنى الثاني الذي تناوله الشاعر هو ما ينفع المرء يوم الحساب، وقد ورد هذا المعنى في سورة الكهف:

---

[٨٩] البقرة، الآية ٢٢٢.

[٩٠] الفرقان، الآية ١٨.

[٩١] انظر: البطاشي، **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**، ص١١٩.

[٩٢] لقمان، الآية ٣٣.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٩٣]، فلا يفيد أيّ عمل هو للدنيا وزينتها، بل العمل الصالح هو ما يبقى، وهذا ما أشار إليه الشاعر.

المبحث الثالث: أثر القرآن الكريم في شعر الشاعر راشد بن خميس الحبسي[٩٤]:

لقد تأثّر الشاعر الحبسي بالقرآن الكريم كأيّ مسلم، الأمر الذي انعكس على نتاجه الأدبي من الشعر.[٩٥]

تأثّرت ألفاظ الشعر عند الحبسي بألفاظ القرآن الكريم، ومن هذا التأثير ما سيقف عليه الباحث في هذا المبحث، من بعض النماذج الشعرية في ديوان الشاعر الحبسي:

حيث يقول في النصح:

وَلَا تَمْدَحْ يَهُودِيًّا لَعِينًا صَاحِبَ السَّبْتِ

فَمَنْ يَمْدَحْ نَبِيَّ اللَّهِ لَا يَعْدَم مِنْ الْبَحْتِ[٩٦]

ينهى الشاعر عن مديح اليهود، ويصفهم بالملعونين أصحاب السبت، ويوجّه المديح لنبي الله محمد –صلى الله عليه وسلم– ويعلّل ذلك بأنّ الذي يمدح النبي لهو محظوظ. وقد استعار تركيب (**صاحب السبت**) من القاموس القرآني، من القصص القرآني عن أصحاب السبت، وهم جماعة من بني إسرائيل، فقد ورد هذا القصص عن وصفهم في سورة البقرة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٩٧]، فهم الجماعة الذين نُهوا عن صيد البحر يوم السبت، فلم ينصاعوا لأمر الله، وكانوا يرمون شباكهم الجمعة؛ لتعلق

---

[٩٣] الكهف، الآية ٤٦.

[٩٤] فقد بصره وهو ابن ستة أشهر، وفقد والديه وهو ابن السابعة، وعاش يتيمًا، وقد عاش في عصر اليعاربة في فترة الازدهار بعد طردهم للبرتغاليين، وقد تعلم فكان فقيهًا عالمًا، وقد انتقل من قريته (عين بني صارخ) إلى يبرين؛ حيث يقيم الإمام بلعرب الذي بسط عليه ظلال عطفه، فتعلّم في كنفه النحو والصرف، وعلوم اللغة، وعلوم القرآن الكريم، حتى صار شاعرًا كبيرًا وأديبًا مرموقًا، ثمّ انتقل بعد وفاة الإمام إلى الرستاق بعد تولية الإمام سيف بن سلطان الأول الإمامة، وقد أكرمه، فأكثر مديحه؛ لينتقل بعدها إلى نزوى، وقد عاش الشاعر اثنين وعشرين عامًا.

[٩٥] انظر: الحبسي، **ديوان الحبسي**، المقدمة ص/ج/ء/هـ.

[٩٦] انظر: المصدر نفسه، ص٦.

[٩٧] البقرة، الآية ٦٥.

فيه الأسماك، وفي هذا تحايل واعتداء على أمر الله الذي مسخهم إلى قردة نتيجة فعلهم، كما وردت قصة أصحاب السبت في سورة النساء بالتركيب ذاته، لكن بصيغة الجمع: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[٩٨]، وفي الآية الكريمة يدعو الله الذين أوتوا الكتاب للإيمان بما أنزل، ويذكّرهم بلعنة أصحاب السبت على سبيل التحذير، وقد استلهم الشاعر التركيب من القرآن الكريم؛ إذ إنّه جاء بلفظ خاص من ألفاظه.

يقول الشاعر عن رحلة الهجرة:

عَزَمُوا قَتْلَةَ النَّبِيّ بِرَأْيٍ قَدْ رَآهُ عَمْرٌو حَلِيفُ الْعِنَادِ

ثُمَّ نَجَّاهُ مَالِكُ الْمُلْكِ مِنْهُمْ ح ـِ ينَ آبَوْا بِخَيْبَةٍ وَرَمَادِ

فَهُدَاهُ رَبُّ الْعِبَادِ إِلَى الْهِجْرَةِ مَعَ صَاحِبٍ كَرِيمِ الْأَيَادِي

فَأَقَامَا فِي غَارِهِمْ ثَانِي اِثْنَيْنِ إِلَى فُرْصَةٍ تُهِينُ الْأَعَادِيَ

طَلَبَتْهُ الْكُفَّارُ بَغْيًا بِرُوادٍ فَضَّلَتْ بَصَائِرَ الرُّوَّادِ

ثُمَّ سَارُوا بِعَوْنِ رَبِّ الْبَرَايَا قَاصِدِي يَثْرِبَ خِيَارِ الْبِلَادِ[٩٩]

يقصّ الشاعر قصة النبيّ محمد مع الهجرة في قالب شعري درامي، يرويه منذ البدء بالتخطيط لقتله على يد جماعة من بعض القبائل؛ كي يتفرّق دمه بينها خوفًا من ثأر آل هاشم، ويذكر خيبتهم بعد أن نجّاه الله عزّ وجلّ منهم، وكيف هداه إلى الهجرة، ويشير إلى رفيقه الصدّيق الذي رافقه في الهجرة، وقد وصفه الشاعر بالكرم؛ لينتقل إلى قصتهم في الاختباء في الغار، وكيف بقيا وحيدين والله ثالثهما في الغار، والكفار يقفون ببابه، لكنّ الله أعمى أبصارهم وبصيرتهم، بعد أن رأوا عش الحمامة وبيت العنكبوت على باب الغار، وكيف ولوّا خاسرين، ثمّ توجّه النبي وصاحبه نحو يثرب بعون ربّهم وحفظه. اقتبس الشاعر القصة من القصص القرآني، إضافة إلى استخدامه الألفاظ ذاتها (**فأقاما في غارهم ثاني اثنين**)، مع اختلاف بسيط في هيئة

---

[٩٨] النساء، الآية ٤٧.

[٩٩] انظر: الحبسي، **ديوان الحبسي**، ص١١.

الجملة، والتي جاء ذكرها في سورة التوبة: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١٠٠]، فقد تحدّثت الآية الكريمة عن نصرة الله –عزّ وجلّ– لنبيّه، وقصة وجودهما في الغار، وكيف أنزل السكينة في قلبيهما (النبي وصاحبه الصديّق).

وفي مدح النبيّ المصطفى قال:

أَحْمَدُ نَالَتْ بِهِ دَرَج الْعِزِّ عُبْدَانٌ وَأَحْرَارُ
وَلَنَا مِنْهُ لَقَدْ ظَهَرَتْ مِنْ نُزُولِ الْوَحْيِ آثَارُ[١٠١]

يمدح الشاعر النبيّ محمدًا صلى الله عليه وسلم، مستخدمًا أحد أسمائه الواردة في القرآن الكريم (**أحمد**) في سورة الصف: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[١٠٢]، كيف بنى العزّ للأمة بالإسلام بعد أن حررّها من جاهلية الظلمات، وكيف كان لدعوته الأثر الكبير في تحرير الإنسان من عبودية الجهالة، وقد ذكر لفظ (**الوحي**) وهو من الألفاظ الخاصة، وكلّ ما هو خاص من الألفاظ يعني ما عُرف بدلالة معينة بنزول القرآن الكريم، وأنّ له دلالة خاصة، فالوحي في القرآن جاء في مواضع متعدّدة ما بين الإلقاء والصوت والإلهام والإرسال، وقد قصد الشاعر بنزول الوحي نزول جبريل عليه السلام بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المعاني للوحي ما جاء في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾[١٠٣]، فنزول القرآن الكريم على النبي كان بالوحي، وهذا المعنى الذي قصده الشاعر واستقاه من القرآن الكريم.

ويقول أيضًا في مدح النبي:

مُحَمَّدْ ذُو حَوَى فَضْلاً وَعزًّا يُقَلْقِل أَعْظَم الشُّمِّ الرَّوَاسِي

---

[١٠٠] التوبة، الآية ٤٠.

[١٠١] انظر: الحبسي، **ديوان الحبسي**، ص١٤.

[١٠٢] الصف، الآية ٦.

[١٠٣] الأنعام، الآية ١٩.

صَلَاةً فِي صَلَاةٍ فِي صَلَاةٍ عَلَيْهِ مَدَى التَّبَاكُرِ وَالْتَّمَاسِي[١٠٤]

يمدح الشاعر الحبيب المصطفى، فيصفه بصاحب الفضائل والعزّ، هذه الفضائل والعزّ تفوق الجبال الشامخات، ثم يصلي عليه، ويدعو للصلاة عليه في البكور والمساء، وقد ذكر الشاعر لفظ (الصلاة)، وهي ركن من أركان الإسلام بمصطلحها الديني، رغم أنّه قصد بها الدعاء للنبيّ، وقد ورد لفظ الصلاة في مواضع كثيرة في القرآن، منها ما جاء في سورة التوبة: ﴿خُذْمِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖإِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٠٥]، بمعنى خذ- أيها الرسول- من أموالهم زكاة تطهرهم بها من دنس المعاصي والآثام، وننمي حسناتهم بها، وادع لهم بعد أخذها منهم؛ إن دعاءك رحمة لهم وطمأنينة، والله سميع لدعائك، عليم بأعمالهم ونياتهم. فذكر الصلاة هنا جاء بمعنى الدعاء، وهو الذي استعاره الشاعر من الكتاب العزيز وقصده في أبياته.

وفي مدح الحبيب المصطفى يقول أيضًا:

يَشْفَعُ يَوْمَ الْأَخْذِ بِالنَّوَاصِي لِكُلِّ عَبْدٍ طَائِعٍ لَا عَاصِ

صَلُّوْا عَلَيْهِ يَا ذَوِي اَلْعِرَاص لِتَغْتَنِمُوا فِي عَرْصَة الْقِصَاصِ[١٠٦]

يتحدّث الشاعر عن شفاعة الرسول لأمته يوم القيامة، وكنّى عن هذا اليوم بـ (**يوم الأخذ بالنواصي**) مستلهمًا هذا من القرآن الكريم في قوله تعالى من سورة الرحمن: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[١٠٧]، فالأخذ بالنواصي لا يكون إلا يوم القيامة، والنواصي مقدّمة الرؤوس، ثمّ يدعو أصحاب المقام والأملاك الذين يملكون العراص، وهي الساحات، للصلاة على النبيّ الكريم؛ ليفوزوا بقربه يوم الحساب، وفي الدعوة إلى الصلاة على النبي ما جاء في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

[١٠٤] انظر: الحبسي، **ديوان الحبسي**، ص١٥.

[١٠٥] التوبة، الآية ١٠٣.

[١٠٦] انظر: المصدر نفسه، ص١٥.

[١٠٧] الرحمن، الآية ٤١.

صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١٠٨]، وقد سار الشاعر على النهج القرآني ذاته في الدعوة إلى الصلاة على النبيّ المختار.

ويقول متعجّبًا:

مَا لِي أَرَى النَّاسَ أَخْشَابًا مُسَنَّدَةً تَكِلُ عَنْ نَجْرِهَا قُدْمُ النَّجَاجِيرْ[١٠٩]

يتعجّب الشاعر من حال الناس، حيث يراهم أخشابًا مسنّدة لا تتحرّك، تتعب عن قصّها أيدي النجاجير، والتي قصد بها جمع نجّار، وقد استند في هذا الوصف إلى القاموس القرآني بقوله (**أخشابًا مسنّدة**)، وهو ما جاء في سورة (المنافقون): ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[١١٠]، فقد وصف الله –عزّ وجل– بالخشب المسنّدة التي لا حياة فيها، وقد استعار الشاعر هذه الصورة من هذه الآية لوصف الناس عديمي الفائدة.

وقد توافقت بعض المعاني الشعرية عند الشاعر الحبسي مع معاني القرآن الكريم، ومن هذه النماذج التي ظهر فيها هذا التوافق:

يقول الشاعر عن يوم بدر:

وَغُزَاةُ الْكُفَّارِ فِي يَوْمِ بَدْرِ وَإِلَهِ الْعِبَادِ بِالْمِرْصَادِ

نَصَرَتْهُ بِهَا مَلَائِكَةُ اللَّهِ بِجَيْشٍ عَلَى خُيُولِ عَوَادِ

عَصَفُوا بِالْكُفَّارِ عَصْفَةَ رِيحٍ عَصَفَتْ يَوْمَ عَاصِفٍ بِجَرَادِ

غَادَرُوا الْكَافِرِينَ بَيْنَ قتيـــــ ـــل وَهَزِيمٌ مُشَرَّدٍ فِي الْبِلَادِ[١١١]

---

[١٠٨] الأحزاب، الآية ٥٦.

[١٠٩] انظر: الحبسي، **ديوان الحبسي**، ص١٤١.

[١١٠] المنافقون، الآية ٤.

[١١١] انظر: الحبسي، **ديوان الحبسي**، ص١١.

يتحدّث الشاعر عن **غزوة بدر**، وما حصل فيها، وكيف نصر الله نبيّه محمد وصحابته وهم قلّة، فقد أرسل الله –عزّ وجلّ– ملائكة تقاتل معهم، فعصفت بالكفار وأبادتهم، وتركوا الكفّار بين قتيل وجريح، وهائم على وجهه بعد الفرار، وهذا المعنى تحدّثت به الآيات الكريمة في سورتي آل عمران والأنفال، فما جاء في آل عمران: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧)﴾[١١٢]، فالآيات الكريمة هنا تتحدّث عن نصر المسلمين في بدر، وهم قلّة قليلة، وحيثيات هذا النصر، فقد أيّدهم الله بملائكة منزلين؛ لتطمئن قلوبهم، فكان النصر حليفهم، والخيبة من نصيب الكفار. وورد في سورة الأنفال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾[١١٣]، وقصد بلقاء الجمعين يوم بدر، وقد تناول الشاعر هذه التفاصيل بمعانيها ضمن المعنى العام الذي أراده، وهو نصر الله –عزّ وجل– للمسلمين في معركة بدر.

ويناجي الشاعر ربّه، فيقول:

أَعُوذُ بِاللَّهِ أَن أُلْقَى عَنْ جِوَارِكَ نَاءِ
وَأَنْ أَخْيَبَ وَأُعْطَى صَحِيفَتَيْ مِنْ وَرَائِي
يَا خَالِقِي بُوئْنِي دَارًا بِدَارِ الْبَقَاءِ
أَجِبْ دِعَائِي إِلَهِي فَقَدْ سَمِعْتَ دُعَائِي[١١٤]

وهنا يناجي الشاعر ربّه، فيتعوّذ به من أيّ جوار يرى فيه أمانه دونه، ويعوذ به من الخيبة، بأن يأخذ صحيفته من ورائه يوم الحساب، ويطلب منه أن يجعل مستقرّه دار البقاء،

---

[١١٢] آل عمران، الآية ١٢٣–١٢٤–١٢٥–١٢٦–١٢٧.

[١١٣] الأنفال، الآية ٤١.

[١١٤] انظر: المصدر نفسه، ص٤.

أي: الجنّة، ويدعوه أن يستجيب له. تناول الشاعر بعض المعاني القرآنية مثل: **تناول الصحيفة يوم الحساب، وتخليد المتقين في دار البقاء، وإجابة الله عزّ وجلّ للداعي،** وقد ورد شأن **مناولة الصحيفة** في سورة الانشقاق: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢)﴾[١١٥]، والذي يتناول كتابه من وراء ظهره هو من يأخذه بشماله، وهو من يصلى السعير.

وقد تناول القرآن معاني **الخلود للمتقين في الجنات** في مواضع عدّة، ومن هذه المعاني **(دار البقاء)** أي الدار الآخرة، ومنها ما جاء في سورة الأنعام: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١١٦]، وهنا إشارة إلى **دار الخلود** التي قصدها الشاعر. وفي معنى استجابة الدعاء ما ورد في سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[١١٧]، وهو المعنى الذي تناوله الشاعر حين قال: **(أجب دعائي إلهي فقد سمعت دعائي)**، وبهذا أراد المعنى من القرآن الكريم: ادعوني أستجب لكم.

وفي نصائحه يقول:

أَلَا يَا صَاحِ لَا تَمْدَح أَهْلَ الْبُغْضِ وَالْمَقْتِ

وَلَا مَنْ يَأْكُلُ الرَّشـــــــوَاتِ وَالْأَكَّالَ بِالسُّحْتِ

وَلَا الْعَابِدَ لِلْأَصْنَا م وَالطَّاغُوتِ وَالْجِبْتَ[١١٨]

يحذّر الشاعر من مديح أهل البغض والمقت؛ لأنّه يضرّ الأمة، فهم ليسوا بأهل للمدح، ولا مدح لمن يأكل الأموال بالباطل والسحت، ولا من يعبد الأصنام، وقد تناول الشاعر المعنى الخاص **بأكل الرشوات والسحت،** هذا المعنى الذي تناوله القرآن الكريم من قبل في سورة المائدة: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا

---

[١١٥] الانشقاق، الآية ١٠-١١-١٢.

[١١٦] الأنعام، الآية ٣٢.

[١١٧] غافر، الآية ٦٠.

[١١٨] انظر: الحبسي، **ديوان الحبسي**، ص٦.

يَعْمَلُونَ﴾[١١٩]، والسحت هو المال الحرام، ويدخل في إطار المعنى المراد من الشاعر ،كلّ سبل المال الحرام، ومنه **الرّبا** الذي نهى عنه الله –عزّ وجلّ– في سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١٢٠]، وهو المعنى المراد عند الشاعر من ترك المال الحرام، فالرّبا يدخل ضمن التحريم.

وفي مناجاة النفس يقول:

أَقُولُ لِمُهْجَتِي يَا نَفْس مَهْلاً إِلَى كَم ذَا التَّغَافُل وَالتَّنَاسِي

تُرِيدِي لِي أَفَاعِيلَ الْخَطَايَا لِأَرْتَكِب الْأُمُورَ بِلَا قِيَاسِ[١٢١]

يناجي الشاعر نفسه فيطلب منها التمهّل، والتفكّر في الوقت ذاته، ويلومها على غفلتها، ودفعها إليه نحو **السوء وارتكاب المعاصي**، وهذا المعنى يتلاقى مع المعنى القرآني الوارد في سورة الجاثية: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[١٢٢]، حيث تتحدّث عمّن اتّخذ إلهه هواه، بمعنى: اتبع هوى نفسه، وكأنّه عبد لها. يتلاقى هذا المعنى مع ما ورد في سورة يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٢٣]، وتبيّن هذه الآية الكريمة؛ كيف تغري النفس صاحبها، وتوقع به في المهالك، وهذا ما تناوله الشاعر في المقطع السابق.

وفي معنى الجهالة يقول:

وَمَنْ يَكْفُر بِنِعْمَتِهِ دَعوْهُ يُقَاسِي فِي الْجَهَالَةِ مَا يُقَاسِي[١٢٤]

---

[١١٩] المائدة، الآية ٦٢.

[١٢٠] البقرة، الآية ٢٧٥.

[١٢١] انظر: الحبسي، **ديوان الحبسي**، ص١٥.

[١٢٢] الجاثية، الآية ٢٣.

[١٢٣] يوسف، الآية ٥٣.

[١٢٤] انظر: الحبسي، **ديوان الحبسي**، ص١٦.

يتحدّث عن **كفر النعمة**، وهي نوع من الظلم، بل أشدّه، ومن يفعل هذا يعيش في الضلالة والجهل، وهو ما يتلاقى مع المعنى القرآني في سورة البقرة: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١٢٥]، فقد يمدّ الله في ظلم الظالم؛ ليكون عذابه أكبر، هذا الظلم الذي تمادى به، وتجبّر يُغشي على قلبه، فيقاسي فيما بعد على إثر جهالته، وهذا المعنى الذي استقاه الشاعر من القرآن الكريم في هذا المقطع..

ويقول في وصف الدنيا:

وَمَنْ يَأْمَن الدُّنْيَا عَلَى نَفْسِهِ وَلَمْ يَقِسْ فَهِيَ غرٌّ هَازِلُ الْقَوْلِ مَازِحُ

وَإِنَّ كَثِيرَ النَّاسِ صَرْعَى بِحُبِّهَا تَنَازَعُهُمْ فِيهِ الْكِلَابُ النَّوَائِحُ[١٢٦]

يتحدّث الشاعر عمّن يأمن الدنيا على نفسه، فلا أمان لها، فهي مجرد مرور عابر قبل الآخرة، وكثير من الناس يتنازعون عليها كما تتنازع عليها الكلاب، ونسوا حقيقة أمرها، ما هي إلا متاع الغرور، وهذا المعنى استقاه الشاعر من القرآن الكريم في سورة الحديد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[١٢٧]، فقد وصف الله تعالى الدنيا بمتاع الغرور، فهي التي تغرّ الإنسان بشهواتها، بكّل ما فيها من المال والزينة والتفاخر، والحياة الحقيقة هي في جنات النعيم، فلا تستحق الحياة منّا التنازع عليها، وهذا مما يتفق مع المعنى الذي أراد الشاعر أن يوصله للمتلقي.

وفي معنى قدرة الله يقول:

اللَّه مَلَّكه الْأَشْيَاءِ فَانْقَلَبَتْ بِأَمْرِهِ سَهْلَةً مِنْ غَيْرِ تَعْسِيرِ

---

[١٢٥] البقرة، الآية ١٥.

[١٢٦] انظر: المصدر نفسه، ص١٣٦.

[١٢٧] الحديد، الآية ٢٠.

(يَجْرِي) الْقَضَاءُ عَلَى مَجْرَى إِرَادَتِهِ كَأَنَّهُ مَالِكٌ جَرْي الْمَقَادِيرِ[١٢٨]

يتحدّث الشاعر عن قدرة الله عزّ وجلّ، فهو مالك الأمور كلّها، فهو يغيّر ولا يتغيّر، وكلّ الأمور تجري بإرادته، وهذا المعنى جاء كثيرًا في القرآن الكريم، ومن هذا ما جاء في سورة يس: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون (٨٣)﴾[١٢٩]، فالأمر بين يدي الله، يقول له كن فيكون، وهو ما يتوافق مع المعنى الذي تحدّث فيه الشاعر.

المبحث الرابع: أثر القرآن الكريم على شعر الشاعر سعيد بن محمد الغشري[١٣٠]

ومن الشعراء الذين وقعوا تحت تأثير القرآن الكريم في نتاجهم الأدبي الشاعر سعيد بن محمد الغشري.[١٣١]. لقد تأثّر الشاعر الغشري بالقرآن الكريم كغيره من شعراء عصره، وظهر هذا التأثّر جليًّا واضحًا في شعره على صعيدي اللفظ والمعنى، وقد وقف الباحث في دراسته هذه على هذا التأثر بنماذج عدّة من شعره.

وقف الباحث على بعض النماذج من شعر الغشري، والتي اتضح فيها تأثير القرآن الكريم في شعره، باستخدامه بعض ألفاظ القرآن الكريم، ومن هذا قوله:

فَاللَّهُ نَحْمَدُهُ عَلَى كُلِّ الْمَقَادِرِ وَالْقَضَاءِ

فَجَزَاكَ عَنَّا رَبُّنَا خَيْرَ الْعَطِيَّةِ وَالْجَزَاءِ

يَوْمًا يَفُوزُ بِجَنَّةٍ قَوْمٌ وَقَوْمٌ لِلشَّقَاءِ[١٣٢]

---

[١٢٨] انظر: المصدر نفسه، ص١٤٤.

[١٢٩] يس، الآية ٨٢-٨٣

[١٣٠] سعيد بن محمد بن راشد بن بشير الخليلي الخروصي، من شعراء عمان في القرن الثاني عشر الهجري.

[١٣١] انظر: سعيد بن محمد بن راشد بن بشير الخليلي الخروصي، **ديوان الغشري**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة: د.ط، د.ت).

[١٣٢] انظر: المصدر نفسه، ص٣٧-٣٦.

في هذا المقطع الشعري ذكر الشاعر **حمد الله** عزّ وجلّ، وهو تركيب ورد كثيرًا في القرآن الكريم، سواء في فواتح السّور كسورة الفاتحة أو الكهف وغيرها، أو في متن السّور كسورة فاطر ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١٣٣]، وسورة الزّمر ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٣٤]، وغيرها... وهي صفة من صفات المسلم، فهو يحمد الله في كلّ أموره، وقد جاء الشاعر باللفظ مقرونًا بمعنى من معاني الحمد، ألا وهو حمد الله –عزّ وجلّ– على قضائه وقدره، وهذا من الألفاظ التي استعارها الشاعر من القرآن الكريم.

وجاء بلفظة المقادر مخفّفة من المقادير، كما ذكر لفظ (**الجنّة**)، وأراد به الجنّة التي ذكرها القرآن الكريم، وهي دار المؤمنين الذين يفوزون بها عند الله بعد الحساب، وما يدلّل على ذلك ذكره التقسيم: (**يومًا يفوز بجنّة قوم وقوم للشقاء**) فقد قسم البشر قسمين، أحدهما في الجنة والآخر قوم الشقاء الذين لن يكن لهم نصيب فيها، وبذلك فهو قد استخدم لفظًا من ألفاظ القرآن الكريم الموقوفة على مصطلحات بعينها، حيث استقى ذلك من قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

ويقول أيضًا:

وَأُكِّدَتْ الْمَظَالِمُ وَالْخَبَايَا وَقَدْ ظَهَرَ الْمُسَتَّرُ بِالْغِطَاءِ

وبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَاهَا وَصَارَ الظَّالِمُونَ عَلَى شَفَاءِ[١٣٥]

في هذا المقطع الشعري الذي يتحدّث عن المظالم وتحقيق العدل في اليوم الآخر استخدم الشاعر لفظًا صريحًا خاصًا بالقرآن الكريم، ألا وهو لفظ (**الجحيم**) مقرونة بما ردفها في القرآن الكريم (**وبرزّت الجحيم**)، وهذا ما جاء في قوله تعالى من سورة النازعات: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ

---

[١٣٣] فاطر، الآية ٣٤.

[١٣٤] الزمر، الآية ٢٩.

[١٣٥] انظر: الخروصي، **ديوان الغشري**، ص٣٩.

لِمَنْ يَرَى﴾[١٣٦]، فقد بدت الجحيم تنتظر الظالمين، وتتغيّظ لهم، وقد تأثّر الشاعر بمشاهد يوم الحساب التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، فقد اختصر عاقبة الظالمين في هذا المشهد.

يقول الشاعر في مناجاة له:

إِلَهِي إِلَهِي خَائِفٌ تَسْتَبِيحُنِي جُنُود الْعِدَا أَوْ تَسْتَبِيحُ حِمَائِي

فَإِبْلِيسُ وَنَفْسِي وَالدُّنْيَا وَالْهَوَى فَأَنْتَ إِلَهِي نُصْرَتِي وَرَجَائِي

فَيَا مُنْتَهَى الْآمَالِ يَا غَايَةَ الرَّجَاءِ فَأَنْتَ سُؤْلِي ، مَقْصِدِي وَمُنَائِي

وَإِنَّ ذُنُوبِي صَيَّرَتنِي عَلَى شَفَا فَجُدْ بِخَلَاص عَاجِلٍ وَشِفَاءِ[١٣٧]

يناجي الشاعر ربّه، وهو قابع في كهف خوفه، تراوده طيوف الأعداء، ويحيط به إبليس والدنيا ونفسه والهوى، وهذه كلّها أعداء قد تودي بالمرء إلى التهلكة، وقصد بالحماء الوطن، والمناء أي: المنقذ؛ لذا يطلب من الله –عزّ وجلّ– أن ينصره على كلّ هؤلاء، فهو منتهى الآمال، والمقصد الذي لا يخيب؛ لذا، فهو يرجو من الله الخلاص إذا ما الذنوب ألقت به على شفا الهاوية، وقد ذكر الشاعر لفظ (**إبليس**)، وهو من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم، وقد جاءت مرارًا تروي قصة كبر إبليس ومعصيته لأمر الله، ومن ذلك ما ورد في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[١٣٨]، وفي سورة الحجر ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[١٣٩]، لقد أعلن إبليسُ العداوة للبشر بعد أن لعنه الله إذ لم يسجد لأبيهم، وعزم على التربُّص بهم إلى يوم فَنائهم، واختار التزيين سبيلًا لإغوائهم، ومَن لم يعرف عدوَّه حقَّ المعرفة لم ينتصر عليه. وهذا التأثر اللفظي ناتج عن التأثر الروحي، فالإيمان بما يقوله القرآن الكريم عن وسوسة إبليس، وإعلان عداوته للبشر هو الذي جعل الشاعر يربط مخاوفه بهذه الوسوسات، ويستعيذ بالله منها، ويطلب النصر من الله على كلّ أعدائه.

---

[١٣٦] النازعات، الآية ٣٦.

[١٣٧] انظر: الخروصي، **ديوان الغشري**، ص٤١.

[١٣٨] البقرة، الآية ٣٤.

[١٣٩] الحجر، الآية ٣٩.

ويقول مُتحدّثًا عن أحوال الناس في نصح:

إِلَيْكَ مِنِّي جَوَابًا بَيْنَ أَسْطُرِهِ صِرَاط عَدْلٍ تَرَاهُ السَّادَةُ النُّجُبُ

إِذَا تَعَامَى عَلَيْكَ الْأَمْرُ فِي سَبَبٍ وَصِرْتَ مُلْتَمِسًا لِلْحَقِّ يَا أَرِبُ

انْظُرْ إِلَى مَا عَلَيْهِ النَّاسُ أَغْلَب أَوْ مَالُوا إِلَيْهِ فَفِيهِ الزَّيْغُ وَالْعَطَبُ.[١٤٠]

ينصح الشاعر بالأخذ بكلام السادة النّجب، الذين تُلمح بين ثنايا حديثهم الحكمة، لا يجورون على أحد، ويدعو الذين تشتبه عليهم الأمور، مريدي الحقّ أن ينظروا إلى ما عليه أغلب الناس، ليتبيّنوا حقيقة ميل الهوى، وقد استخدم الشاعر في نصحه الشعري ألفاظ القرآن الكريم واضحة (**صراط**)، وقد ذُكر الصراط في القرآن الكريم في مواضع شتّى، والصراط يشير إلى الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ويشير إلى طريق الحقّ والهداية، ومن هذه المواضع ما جاء في سورة آل عمران: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١٤١]، وسورة مريم: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[١٤٢]، وبذا فقد قصد الشاعر بصراط عدل طريق حقّ لا يميل إلى هوى، وهو أحد المعاني التي أشار إليها القرآن الكريم.

ويقول الشاعر في خطاب للراحلين:

إِلَى سَاكِنِي جَنَّاتِ دَارِ نَعِيمِنَا سَلَام وَتَسْلِيم وَأَلفُ تَحِيَّةِ

وَرَوحٌ وَرَيْحَان مِنْ اللَّهِ دَائِمٌ وَخَضْرَاءُ مِدْرَارٌ بِأَغْزَر دِجْلَة

وَأَسْأَلُ رَبِّي بَعْدَ هَذَا يَخُصُّكُمْ بِجَنَّاتِ خُلْدٍ فِي قُصُورٍ وَنِعْمَةٍ[١٤٣]

يوجّه الشاعر تحيّة للراحلين الذين يحسبهم عند الله من الأصفياء الذين سكنوا جنّات الخلد، يرسل إليهم تحايا من روح وريحان، يانعة الخضرة، وكأنّها تنبت على ضفاف نهر دجلة،

---

[١٤٠] انظر: المصدر نفسه، ص٥٥.

[١٤١] آل عمران، الآية ١٠١.

[١٤٢] مريم، الآية ٣٦.

[١٤٣] انظر: الخروصي، **ديوان الغشري**، ص٧٢.

ويسأل الله –عزّ وجلّ– أن يخصّهم بجنّات الخلد التي أعدّت للمتقين، ذات القصور والنعيم، وقد نهل الشاعر من معين القاموس القرآني، فاستخدم ألفاظه وتراكيبه مثل: **(جنّات دار نعيمنا)** و**(روح وريحان)** و**(جنّات الخلد)** وجنّات وردت في مواضع كثيرة في القرآن الكريم باختلاف اقتراناتها، فمرّات جاءت مقرونة بالوصف للجنة، ومرّات أخرى لوصف أهل الجنّة مثل: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١٤٤]، أو وصف الجنّة مثل: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[١٤٥]، واقترنت لفظة الجنات بالخلد في سورة الفرقان: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾[١٤٦]، وجنّات الخلد هي مأوى المؤمنين بعد الحساب، وقد ذكر الشاعر الروح والرّيحان متأثرًا بسورة الواقعة: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[١٤٧]، والروح والريحان الطمأنينة والراحة التي لا تعب بعدها، واللذة التي ليس بعدها لذة، وقد قرنت بالجنّة هنا، وهو ما يتماشى مع ما ذكره الشاعر قبلها في النصّ الشعري.

ويقول في المسؤولية:

ألا كُلُّنَا رَاعٍ وَمَسْؤولُ فَاعْلَمَنْ أَلَا فَتَفَقَّد لِلْوَرَى بِالرِّعَايَةِ
فَكُلُّ بنِي الدُّنْيَا جَمِيعًا مُنَافِس عَلَى مَا رَعَيْنَا بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ
فَمَهْمَا أَقَمْتُمْ بِالْكِتَابِ وَحِكْمَةٍ وَسُنَّةِ مَبْعُوثٍ أَتَى مِنْ تُهَامَة[١٤٨]

يتحدّث الشاعر عن المسؤولية وكيفية القيام بها، فيدعو إلى تفقّد أحوال الراعي لرعيّته، فالدنيا سوق للمنافسة للأجود أداءً في هذا الأمر، وسيجزى الفائز يوم القيامة، ومهما قصَّر المرء في التمسّك بالكتاب والسّنة، ولم يؤدِ ما عليه من المسؤوليات فسيُسأل عن مسؤولياته التي

---

[١٤٤] البقرة، الآية ٢٥.

[١٤٥] آل عمران، الآية ١٣٦.

[١٤٦] الفرقان، الآية ١٥.

[١٤٧] الواقعة، الآية ٨٩.

[١٤٨] انظر: الخروصي، **ديوان الغشري**، ص٧٧.

لم يؤدها على خير وجه، وقد تناول الشاعر بعض مفردات القرآن مثل: **(يوم القيامة، الكتاب)** وهذه مفردات قرآنية خالصة، فيوم القيامة هو اليوم الآخر، وقد ورد في مواضع كثيرة في القرآن منها: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[١٤٩]. أمّا ذكر الكتاب بقصد ذكر القرآن الكريم فقد جاء في مواضع متعدّدة، منها ما جاء في سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[١٥٠]، وبهذا استقى الشاعر بعض ألفاظه من ألفاظ القرآن الخاصّة.

ويقول الشاعر في حديث النفس:

وَمَتَى هَذِهِ النَّفْسُ الدَّنِيَّة تَتَّقِي هَوَاهَا وَفِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ تَرْسَخُ

وَتُقْلِعُ عَنْ كَسْبِ الذُّنُوبِ بِتَوْبَةٍ تُمَحِّصُ كُلَّ السَّيِّئَاتِ وَتَنْسَخُ

وَتَرْغَبُ فِي الْأُخْرَى تُقًى وَتَكَرُّمًا وَتَعْزُبُ عَنْ دَارِ الْغُرُورِ وَتَشْمَخُ[١٥١]

يناجي الشاعر نفسه متسائلًا عن ميعاد هدايتها، عن ثباتها على علم الشريعة، وإقلاعها عن الذنوب بتوبة نصوح تمسح السيئات بها، وتتقرّب للآخرة بها، تاركة شهوات دار الغرور، الحياة الدنيا، وقد استلهم بعض ألفاظ القرآن الكريم، منها: **(تمحصّ كلّ السيئات، دار الغرور)** وقد ذكر التمحيص وهو من الألفاظ التي جاءت في القرآن الكريم، وقد وردت في سورة آل عمران: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[١٥٢]، كما قصد بلفظ الأخرى الحياة الآخرة، لكنّه لم يصرّح باللفظ، وصرّح بـ (دار الغرور) وقصد الدنيا التي ورد فيها لفظ (متاع الغرور) في القرآن الكريم، منها ما جاء في سورة الحديد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ

---

[١٤٩] النساء، الآية ٨٧.

[١٥٠] البقرة، الآية ٢.

[١٥١] انظر: الخروصي، **ديوان الغشري**، ص٩٧.

[١٥٢] آل عمران، الآية ١٥٤.

وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[١٥٣]، فهي تغرّ الإنسان بشهواتها، وما هي إلا مرحلة مؤقتة، والدوام عند الله في الآخرة.

ويقول في النصح:

وَمَا مِنْ مَفَرٍّ وَلَا مَحِيص وَمَلْجَأٍ وَمُلْتَحَدٍ أَوْ مَعْقِلٍ لَا وَلَا وَزَر

فَسَلِّم لِمَوْلَاكَ الْأُمُور جَمِيعَهَا وَاصْبِرْ فَقَدْ فَازَ الصَّبُورُ وَقَدْ ظَفِر[١٥٤]

يوجّه الشاعر كلامه للقارئ مستنصحًا إياه بأنّ الملجأ إلى الله، لا مفرّ من ذلك، وعلى المرء أن يُسلّم أموره كلّها لله، وأن يصبر على بلاء الدنيا، فالفوز فيها للصبور، وقد عشّق الشاعر كلمات نصحه بألفاظ قرآنية بصيغها المباشرة مثل: (**لا وزر**) أو غير المباشرة، وقد جاء التركيب في القرآن مرارًا بأشكال متعدّدة، وجاءت بالهيئة ذاتها في سورة القيامة: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢)﴾[١٥٥]، وهي هنا بمعنى لا ملجأ ولا حصن، وقد وردت في الأبيات الشعرية بعد ذكر المحيص والملجأ التي جاءت مخفّفة من الهمزة والمعقل، وبذا فهو أراد اللفظ مصحوبًا بقريناته اللفظية المرادفة للمعاني القرآنية الواردة في النصّ القرآني السابق للآية التي حوت التركيب.

وقد برز تأثير القرآن على المعاني المستخدمة في شعر الغشري، ومن ذلك قوله:

وَكَذَا اللَّبِيب فَلَا يُرَجِّي أَرْبَعًا رَدَّ الْقَضَا وَنَصِيحَةَ الْأَعْدَاءِ

أَوْ أَنْ يُغَيِّرَ طَبْعَ مَخْلُوقٍ وَأَنْ يُرْضِي الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ بِعَطَاءِ[١٥٦]

استعار الغشري معاني القرآن الكريم في أبياته السابقة، فهو يشير إلى **استحالة ردّ قضاء الله –عزّ وجلّ–** فهذا من شأن الإله، الذي يقول للشيء كن فيكون، وكذا نصيحة الأعداء؛

---

[١٥٣] الحديد، الآية ٢٠.

[١٥٤] انظر: الخروصي، **ديوان الغشري**، ص١٩٤.

[١٥٥] القيامة، الآية ١٠-١١-١٢.

[١٥٦] انظر: المصدر نفسه، ص٣٩.

لأنّ العدو لا يتقبّل النصح، إضافة إلى أنّ المرء بالغالب لا ينصح عدوه، واستحالة تغيير طباع الخلق التي شبّوا عليها وإرضاءهم جميعًا. في معنى استحالة ردّ القضاء ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك في مواضع عدّة، منها ما جاء في سورة الأعراف في الحديث عن الموت: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[١٥٧]، فليس للإنسان أن يردّ قضاء جاءه، فالأمور كلّها بيد الرحمن، يتحكّم بالأقدار كيف شاء.

ويقول في الحساب:

إِنْ يَمْنَعِ الرَّحْمَنُ عَبْدًا حَاجَةً فَقِيلَ هَذَا مِنْ فُلَانِ الْأَبْلَس

كُلٌّ يَرَى أَعْمَالَهُ مَحْضُورَة مِنْ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا الْمُحَبَّسِ

شَاهِدَةٌ جُلُودُهُمْ بِمَا جَنَوْا مِنْ كُلِّ مَنْطِقٍ وَكُلِّ أَخْرَسَ[١٥٨]

يتحدّث الشاعر عن الذين **ينسبون المنع والعطاء إلى غير الله تعالى**، وفي هذا تعدٍّ على موقوفات الخالق-عزّ وجلّ- وإنما المنع والعطاء بيد الله وحده فقط، وليس للإنسان يد فيه، حيث استعار ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[١٥٩]، ويقول كذلك: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾[١٦٠]، فالآيتان كما نرى تحملان في طيّاتهما الحكمة من هذا المنح والسلب، أو العطاء والمنع، فالآية الأولى أوضحت أن السبب في ذلك هو الابتلاء والاختبار للعبد، فمن شكر الله على نعمه وعطائه، فهو خيرٌ له، ومن صبر على المنع والسلب فهو خيرٌ له، أما من كفر فقد باء بغضب من الله، وأما الآية الثانية فأوضحت أن تفاوت الناس في العطايا والمنح إنما ليكون كلٌّ منهم مسخرًا لخدمة الآخر، يقضي حاجته، ويقوم على أمره، فتنتظم حركة الحياة.

---

[١٥٧] الأعراف، الآية ٣٤.

[١٥٨] انظر: الخروصي، **ديوان الغشري**، ص٢١٥.

[١٥٩] الأنعام، الآية ١٦٠

[١٦٠] الزخرف، الآية ٣٢

ثمّ ينتقل بعد ذلك إلى بعض تفاصيل الحساب يوم القيامة، فيشير إلى حال الناس؛ حيث يرى كلّ منهم أعماله شاخصة أمام ناظريه، حتى ما خبّأه من الشّر في نفسه، وقد ورد ذكر المعنى في القرآن الكريم، وإن استدعاها بغير تفصيلاتها الأصلية؛ فقد أورد القرآن **حال من يقذفون المحصنات يوم القيامة**، وكيف تشهد عليهم أعضاؤهم، وقد استخدم الشاعر المعنى ذاته، وقد استخدم الشاعر لفظًا مغايرًا، لكنّه سار على نهج السياق ذاته الذي أوردته الآية الكريمة في سورة النّور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)﴾[١٦١]، فالآية الكريمة أوردت شهادة الألسن والأيدي والأرجل، لكنه أورد شهادة الجلود، وبهذا فقد استوحى معناه الشعري من قاموس المعاني القرآنية.

ويقول في قصيدة السعادة في ثلاث:

عَنْ الْهَادِي أَتَاكَ لَهُ مَقَالٌ عَلَيْهِ صَلِّ مَا لَاحَ الضِّيَاءُ

إِلَهٌ مَالِكٌ كُلَّ الْبَرَايَا أَتَتْهُ الْأَرْضُ طَوْعًا وَالسَّمَاءُ[١٦٢]

وفي مدح الحبيب المصطفى؛ حيث إنّه يشير إلى الدعوة إلى **الصلاة على النبي** التي أوردها الله تعالى في كتابه العزيز في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١٦٣]. يضيف الشاعر للمعنى السابق معنى آخر، فيشير إلى خالق البرايا الذي أتته الأرض والسماء طوعًا، وقد استقى جزءًا من المعنى القرآني الوارد في سورة آل عمران: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[١٦٤]، فالآية الكريمة تنكر على الكافرين ما يقترفونه، وقد خضعت السماوات والأرض طوعًا وكرهًا له، وقد اكتفى الشاعر بذكر طواعية الأرض، وقد جاء بالمضاف إليه وحذف المضاف، وهو مخلوقات الأرض.

---

[١٦١] النور، الآية ٢٣-٢٤.

[١٦٢] انظر: المصدر نفسه، ص٣٨.

[١٦٣] الأحزاب، الآية ٥٦.

[١٦٤] آل عمران، الآية ٨٣.

وفي المواعظ يقول:

فَعَنْ وَهَبٍ أَتَى خَبَرٌ صَحِيحٌ سَلِيلٌ مُنْبِهٌ رَبُّ الْحَجَاء

يَقُولَ إِذَا الْقِيَامَةُ فَهِيَ قَامَتْ وَصُيِّرَتْ الشَّوَامِخُ كَالْهَبَاءِ[١٦٥]

يشير الشاعر إلى **التنبيه بخبر القيامة**، ولا يستهدي لحقيقة الأمر إلا صاحب العقل، فالقيامة إن قامت غيّرت معالم الأرض، فتنسف الجبال نسفًا، ولم يأت الشاعر بهذا المعنى من خياله، فهي حقيقة قرآنية من أمور الغيب التي تحدّث عنها الله تعالى في كتابه العزيز في سورة القارعة: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[١٦٦]، فقد استعار الشاعر المعنى القرآني الذي يتحدّث عن هيئة الجبال وحالها في يوم القيامة، فهي تصبح كالصوف المتناثر، تعصف به الرياح، وهذا دليل على عظمة أهوال يوم القيامة، وفي استدعاء أحوال هذا اليوم إشارة إلى التفكّر والتدبّر في الغاية التي خلق لها الإنسان.

ويقول أيضًا:

هُنَاكَ الْحُكْمُ بِالْقِسْطَاسِ عَدْلاً وَلَا مَال يُخَلِّصُ بِالْفِدَاءِ

وَعَضَّ عَلَى يَدَيْهِ فَتَى ظَلُومِ فَوَا حَسَرَاتُهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ

مُصِيبَة لَا تُمَاثِلُهَا الرَّوَايَا خُلُود فِي الْجَحِيمِ بِلَا اِنْقِضَاءِ

تَمَنَّوْا أَهْلُهَا فِيهَا الْمَنَايَا فَلَا يُسْخَىْ عَلَيْهِمْ بِالْفَنَاءِ

فَلَا زَالُوا بِتَعْذِيبٍ وَخِزْيٍ جُلُودُهُمُ تُجَدَّدُ لِلشَّقَاءِ

تَضَرَّع لِلْإِلَهِ بِكُلِّ حِينِ أَخِي وامْزُجْ دُعَاءَكَ بِالْبُكَاءِ

وَقَيِّدَ بِالتُّقَى نَفَسًا جَمُوحًا وَكُنْ بَيْنَ الْمَخَافَةِ وَالرَّجَاءِ

وَبَادرَ بِالْمَتَابِ لَعَلَّ تَنْجُو وَتَحْظَى بِالنَّعِيمِ بِلَا انْتِهَاءِ

---

[١٦٥] انظر: الخروصي، **ديوان الغشري**، ص٣٨.

[١٦٦] القارعة، الآية ٤-٥.

وَصَابِرْ وَاحْتَسِب زَمَنًا قَلِيلاً لِتُخْلَدَ فِي الْجِنَانِ عَلَى رَخَاءِ

فَعَانِقْ كُلَّ حَوْرَاءٍ لَعُوب تَفُوقُ عَلَى الْغَزَالَةِ بِالضِّيَاءِ[١٦٧]

في المقطوعة السابقة تتجلّى براعة الشاعر في سرد المعاني القرآنية بتتابع سلس، يفتح للقارئ نافذة التخييل والاستدعاء، فهو يستدعي الآيات القرآنية كما يتخيّل المشاهد المعروضة في النص القرآني والسرد الشعري معًا؛ إذ تتلاقى معاني النص الشعري مع المعاني القرآنية، ومن هذا حديثه عن (**العدل في يوم القيامة**) كلّ حسب عمله، وهذا ما جاء في سورة الزلزلة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه (٨)﴾[١٦٨]. في هذا اليوم لا ينفع المرء إلا عمله، فلن يفتديه من عذابه لا أهله ولا ماله، وهذا ما عبّر عنه الشاعر في قوله (ولا مال يخلّص بالفداء) وهو معنى مستمدّ من المعاني القرآنية، وإن كان قد استعار المعنى دون استعارة اللفظ، ومن هذا ما جاء في سورة عبس: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾[١٦٩]، فإن كان المرء يفرّ من أخيه وأمه وأبيه وأهله جميعًا؛ فمن سيفتديه!! ويؤكد القرآن على هذا المعنى -أيضًا- في سورة الكهف: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[١٧٠]، فالقرآن يؤكد على أنّ المال والأبناء مجرّد زينة في الحياة الدنيا ليس إلا، وأن ما يبقى للمرء عمله الصالح فقط، وهذا يدلّ على ألّا منفعة من المال والبنين يوم القيامة إن كان المرء جاحدًا.

وما جاء في سورة الشعراء: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾[١٧١] فلا المال ولا الأبناء يستطيعون حماية المرء من العذاب، فقط ما قدم إلى ربّه بعمله الصالح. كما جاء هذا المعنى في سورة لقمان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ

---

[١٦٧] انظر: الخروصي، **ديوان الغشري**، ص٣٩.

[١٦٨] الزلزلة، الآية ٦-٧-٨.

[١٦٩] عبس، الآية ٣٤-٣٥-٣٦-٣٧.

[١٧٠] الكهف، الآية ٤٦.

[١٧١] الشعراء، الآية ٨٨-٨٩.

الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[١٧٢]، فلا يغني الوالد عن ولده وكذا المولود عن والده، وبذلك تؤكد كلّ المعاني القرآنية بهذا الشأن على قضية حساب المرء على فعله، واستحالة فدائه بأيّ شيء.

يقف الشاعر في النص السابق عند مشهد من ظلم نفسه حين يعضّ على يديه يوم القيامة، وقد استعار المعنى مع اللفظ، إذ إنّ هذا المعنى لم يُعرف قبل ذلك، إذ أُخبر عنه في القرآن الكريم في سورة الفرقان: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[١٧٣]، لا حسرة تنفع، ولا ندم يجدي، فالمصير خلود في النار، وفي هذا الموقف يتمنى الكافر أن يموت؛ كي لا يشعر بالعذاب: (تمنوا أهلها فيها المنايا ... فلا يُسخى عليهم بالفناء) وفي هذا المعنى، يستحضر المعنى القرآني: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾[١٧٤]، فهذا حال الكافر يوم القيامة.

ويقف الشاعر عند أحوال الكفار، وطريقة عقابهم، فيقول: (فلا زالوا بتعذيب وخزي جلودهم تجدّد للشقاء) فهو يصف حالهم عند العذاب وتجدّد جلودهم كلما احترقت، فيتجدد ألمهم، وقد استحضر المعنى القرآني في سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[١٧٥]، وقد مزج بين استعارة اللفظ واستعارة المعنى، فقد جاء بالألفاظ المستخدمة في المعنى ذاته والسياقات ذاتها. يدعو الشاعر إلى التضرع إلى الله، وبالصبر والاحتساب، والتوبة والاستغفار لنيل مرضاته ـعزّ وجلـ والفوز بالجنة حيث النعيم المقيم، ويغري القارئ بذكر الحوريات التي سيحظى بها المؤمن: (فعانق كلّ حوراء لعوب تفوق على الغزالة بالضياء) وقد ورد ذكر الحور العين في مواضع عدّة من القرآن الكريم، ومن هذا ما جاء في سورة الرحمن: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[١٧٦]، والمعنى الذي أراده الشاعر هو فوز المؤمن بالحوراء

---

[١٧٢] لقمان، الآية ٣٣.

[١٧٣] الفرقان، الآية ٢٧.

[١٧٤] النبأ، الآية ٤٠.

[١٧٥] النساء، الآية ٥٦.

[١٧٦] الرحمن، الآية ٥٦.

التي يفوق جمالها الغزالة البيضاء. لقد رصّع الشاعر مقطوعته بالمعاني القرآنية، فبدت كحلّة إيمانية بهيئة قصيدة، فيها من الزخم الإيماني ما فيها. وبهذا فإن الشاعر عارف بالقرآن ومعانيه.

وفي الصبر على القضاء يقول:

لَا تَعْتبَنَّ عَلَى الْقَضَاءِ وَاسْتَقْبِلَنْهُ بِالرِّضَا هَذَا فَكُلُّ مُصِيبَةٍ بِبَعْضِ ذَنْبٍ قَدْ مَضَى

هَذَا وَكُلُّ شَدِيدَةٍ فَإِلَى زَوَالٍ وَانْقِضَا أَبْشِرْ فَسَوْفَ تَرَى إِلَهَكَ بِالْمَخَافَةِ عَوَّضًا[١٧٧]

يدعو الشاعر الناس إلى التسليم **و(الرضا بقضاء الله)**، ويوضّح لهم أنّ الذنب يجرّ العقاب، وهذا ما يتلاقى مع المعنى القرآني في سورة الشورى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[١٧٨]. كما يدعو الشاعر الناس إلى التمسك باليقين بالله، فكلّ شدّة إلى زوال، وقد اقتبس المعنى من سورة الشرح: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)﴾[١٧٩]، فلن يغلب عسر يسرين، وهذا بإخبار الله عزّ وجل.

في نهاية هذا المبحث يُلاحظ على الشاعر تناوله للألفاظ القرآنية، وترصيع أبياته بهذه الألفاظ؛ إمّا لجماليّة البيان أو لتشابك المعنى، أو استحضار قدسية القرآن، وبذلك يضفي على نصوصه الشعرية نوعًا من الهيبة والجلال، إضافة لاستخدامه المعاني القرآنية بغزارة، خاصة في موضوع الفتاوى، ومعاني الوحدانية الإلهية، والنصح والإرشاد في مواضيع الأخلاق التي دعا إليها ديننا الحنيف، الأمر الذي يكشف النقاب عن تديّن الشاعر، وانتمائه العميق للإسلام.

المبحث الخامس: أثر القرآن الكريم في شعر محمد بن عبد الله المعولي (حي:١١١٢هـ /١٧٠٠م).

خلد في شعره ومدائحه مجد شعبه، وعظّم حكّامه، وانتصارات ملوكه وأئمته الخالدين. يملك موهبة شعرية قوية وملكة لغوية قادرة على التعبير عن عواطفه ومشاعره وكلّ ما يجيش به صدره من انفعالات وتجارب شعرية حافلة، وقد ألمّ بتراث العرب الشعري، ووعى مختلف الثقافات

---

[١٧٧] انظر: الخروصي، **ديوان الغشري**، ص٤١.

[١٧٨] الشورى، الآية ٣٠.

[١٧٩] الشرح، الآية ٥-٦.

الإسلامية والعربية، ممّا جعله شاعرًا كبيرًا"[١٨٠]. وقد تأثّر المعولي بثقافته الدينية الإسلامية، فانعكس هذا على ألفاظ شعره كما انعكس على المعاني المتناولة فيه.

بدا نتاج المعولي من الشعر متأثّرًا بألفاظ القرآن الكريم، فقد بسطت ألفاظ القرآن الكريم جناحها على نصوصه الشعرية، وسيقف الباحث في هذا الركن على بعض النماذج التي توضّح هذا الأثر، ومنها:

قول الشاعر المعولي مادحاً الإمام بلعرب:

إِلَى مَلِكٍ زَانَتْ بِطَلْعَةِ وَجْهِهِ أَمَاكِن مَا مَرَّتْ عَلَيْهَا ذَكَاءُ

وَمَنْ مَالُهُ مَالِي وَمَالِي مَالُهُ وَمَنْ مَدْحُهُ بَعْدَ اَلصَّلَاةِ دُعَاءُ

هُوَ الْمَلِكُ الْقَرْمُ الْجَوَادُ بِلْعَرَبْ لَهُ الْحَمْدُ وَالْمَدْحُ اللُّبَابُ جَزَاءُ[١٨١]

يمدح الشاعر في هذه الأبيات إمامهم (بلعرب)، وكأنّه يوجّه إليه رسالة، فقد ازدانت بطلعته الأماكن التي لم تطلع عليها الشمس، والذكاء هي الشمس، وفي ذلك دلالة على أنّ الخليفة بثّ النور في جوانح تلك الأماكن، وأخرجها من ظلماتها، وهذا الملك الذي ينفق من ماله على الرعيّة، وكأنّ ماله للرعية وليس له. يدعو له بعد كلّ صلاة، فهو الملك القدير المبجّل، الذي تحمد فعاله، وجزاؤه عليها المدح والثناء، وقد استخدم الشاعر ألفاظ القرآن ك (**الصلاة، دعاء، الحمد**) وقد وردت هذه الألفاظ في مواضع عدّة في القرآن الكريم منها في ذكر الصلاة ما جاء في سورة العنكبوت: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[١٨٢]، وما جاء في لفظ الدعاء مجتمعًا بلفظ الحمد والصلاة ما جاء في سورة إبراهيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩)

---

[١٨٠] انظر: محمد بن عيد الله بن سالم المعولي، **ديوان المعولي**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (د.م: د.ن، د.ط، ١٩٨٤م)، ص/المقدمة.

[١٨١] انظر: المصدر نفسه، ص٢٦.

[١٨٢] العنكبوت، الآية ٤٥.

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠)﴾[١٨٣]، فقد بدأت الآيات السابقة بالحمد، أي: الثناء على الله لاستجابته الدعاء، ثمّ الرجاء من الله أن يكون ممّن يقيمون الصلاة، وسؤال الله تعالى قبول الدعاء، وبهذا اجتمعت الألفاظ بمعناها في النص الشعري بالألفاظ ومعناها في النص القرآني.

وقال في حال الغريب:

يَنْسَى الْغَرِيبُ عِيَالَهُ فَكَأَنَّهُ جَنَّاتُ عَدْنٍ مَا بِهِنَّ غَرِيبُ

هُوَ رَائِقُ الْآفَاقِ تَجْرِي تَحْتَهُ الْأَنْهَارُ وَهُوَ بِسَاكِنِيهِ حَبِيبُ[١٨٤]

يتحدّث الشاعر عن الغريب حين يترك خلفه كلّ شيء، فيشبّهه بجنّات عدن التي يتشابه سكانها، فلا غريب بينهم؛ إذ إنّهم جميعًا ممّن رضي الله عنهم، وغفر لهم، وهي فئة المؤمنين، فجنّات النعيم من نصيبهم، وكأنّ الغريب حين يترك خلفه الأشياء كلّها يتخلّى عن منغصات الفكر، فيصفو ذهنه، وهو يعيش حياته الجديدة؛ كأنّ الأنهار تجري من تحته، وهو حبيب أحبّته الذين يسكنون خاطره، وقد استعار الشاعر بعض ألفاظ القرآن الكريم في نصّه الشعري؛ ليضفي على صورته الشعرية نوعًا من الغرابة في التصوير، فاستعار تركيب (**جنّات عدن، تجري تحتها الأنهار**) وكأنّه أراد التركيب الإضافي (جنّات عدن) في سياق معناه القرآني الوصفي (تجري تحتها الأنهار)، وقد وردت هذه الألفاظ المركبة مقترنة ببعضها في معظم المواضع القرآنية التي جاءت فيها، ومن ذلك ما جاء في سورة النحل: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾[١٨٥]، وفي سورة الكهف: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[١٨٦]، وبعض المواضع القرآنية أتت على ذكر (جنات عدن) دون إقرانها بـ (تجري من تحتها الأنهار)

---

[١٨٣] إبراهيم، الآية ٣٩-٤٠.

[١٨٤] انظر: المعولي، **ديوان المعولي**، ص٣١.

[١٨٥] النحل، الآية ٣١.

[١٨٦] الكهف، الآية ٣١.

مثلما جاء في سورة الرعد: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾[١٨٧]، ومواضع أخرى، وفي كلّ المواضع جاءت هذه الألفاظ في وصف حال المؤمنين، وذلك حين يصف الشاعر الغريبَ حال المؤمنين، فهو يشير إلى فوائد سفره وترحاله.

وقال في التوبة والتقوى:

فَلَعَلَّ رَبَّ اَلْعَرْشِ يقبـــــــــــل تَوْبَةَ الْعَدْلِ الْمُوَاظِبْ

فَهُوَ الرَّحِيمُ بِخَلْقِهِ وَلِخَلْقِهِ جَم الْمَوَاهِبْ

وَعَلَيْكَ بِالتَّقْوَى فَتَقْوَى اللَّهَ مِنْ خَيْرِ الْمَكَاسِبِ

وَتَعَلَّمِ الْقُرْآنَ وَادْرُسْهُ وَأَكْرِمهُ وَوَاظِبْ

فَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَدَرْسُهُ خَيْرُ الْمَآدِبْ[١٨٨]

في المقطع الشعري السابق نهل الشاعر من معين اللفظ القرآني في مواضع عدّة، حين تحدّث عن التوبة ومغفرة الله تعالى للتائب، وإشارته للتقوى والتمسك بها، والدعوة إلى تعلّم القرآن ودراسته؛ لأنّه الصراط المستقيم الذي لا خلل فيه، وبذلك وقف على ألفاظ قرآنية متعدّدة، مثل: (**التوبة، الله، القرآن، الصراط المستقيم**)، وقد وردت هذه الألفاظ على مدار مدّ النص القرآني مرّات عديدة، منها ما جاء في ذكر التوبة في سورة التحريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[١٨٩]، وقد سمّيت سورة في القرآن الكريم بهذا اللفظ، وهي سورة التوبة، كما استخدم الشاعر لفظ الجلالة (**الله**) الذي أبان عنه القرآن الكريم، فهو الربّ المعبود الذي لا شريك له، وورد اللفظ في مواضع كثيرة، منها ما جاء في سورة فصّلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ

---

[١٨٧] الرعد، الآية ٢٣.

[١٨٨] انظر: المعولي، **ديوان المعولي**، ص٥٧.

[١٨٩] التحريم، الآية ٨.

تُوعَدُونَ﴾.[١٩٠]، أمّا استخدامه (**لفظ القرآن**) الذي هو كتاب الله تعالى، فقد ورد في الكتاب العزيز في مواضع متعدّدة، منها ما جاء في سورة البروج: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾[١٩١]، وفي ذكر (**الصراط المستقيم**) ما جاء في سورة الأنعام: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١٩٢]. من الواضح أنَ النصّ الشعري اتّسم بغزارة اللفظ القرآني هنا، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على اطلاع ودراية الشاعر بالقرآن الكريم.

وقال في النصح:

ثَلَاثٌ فَسَادُ الدِّينِ عِنْدَ اتِّبَاعِهَا وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْمُذَمَّمُ صَاحِبًا

فَطَاعَةِ إِبْلِيسٍ وَنَفْسٍ وَزَوْجَةٍ فَلَا تَكُ إِذًا لِلثَّلَاثِ مُصَاحِبًا[١٩٣]

يتحدّث الشاعر عن بعض الأمور التي تفسد الدين عند اتباعها، ولا يقوم بها إلا المذموم، وهي: (طاعة إبليس، وطاعة النفس، وطاعة الزوجة)، ينهى الشاعر عن مصاحبة هذه الأمور الثلاث؛ كي لا يفسد دين المرء، وقد استعار لفظ (إبليس) من قاموس الألفاظ القرآنية، وقد ورد ذكره في مواضع كثيرة بصيغة مباشرة، منها ما جاء في سورة طه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾[١٩٤]، وإبليس كما ورد في القرآن الكريم هو أول من تكبّر، فوقع في المعصية، أو بصيغة غير مباشرة، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[١٩٥] حيث يخاطب الله سبحانه وتعالى إبليس بقوله: هذا طريق مستقيم معتدل موصل إليَّ وإلى دار كرامتي. إن عبادي الذين أخلصوا لي لا أجعل لك سلطانًا على قلوبهم تضلُّهم به عن الصراط المستقيم، لكن سلطانك على مَنِ اتبعك

---

[١٩٠] فصلت، الآية ٣٠.

[١٩١] البروج، الآية ٢٢.

[١٩٢] الأنعام، الآية ٣٩.

[١٩٣] انظر: المعولي، **ديوان المعولي**، ص٥٨.

[١٩٤] طه، الآية ١١٦.

[١٩٥] الحجر، الآية ٤٢.

مِنَ الضالين المشركين الذين رضوا بولايتك وطاعتك بدلًا من طاعتي، وهذا مما يتوافق مع ما جاء به الشاعر في أبياته السابقة.

أما عن النفس فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي.. ﴾[١٩٦]، أما بالنسبة للزوجة فمن الأمور التي حذر منها القرآن الكريم كما جاء ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١٩٧]، هذا تحذير من الله للمؤمنين، من الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم يريدون أن يصدوكم عن سبيل الله، ويثبطونكم عن طاعته، فكونوا منهم على حذر، ولا تطيعوهم، وهذا هو المعنى الذي أراد الشاعر أن يوصله لنا.

كما قال في الترغيب في الطاعة:

فَإِذَا أَطَعْتِ أَقَمْتِ فِي جَنَّاتْ عَدَن خَالِدَة
تَجْنِيْنَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا مِنْ يَانِعٍ أَوْ جَامِدَة
فِيهَا نَعِيمٌ دَائِمٌ تَحْتَ الظِّلَالِ الْبَارِدَة
مَعَ حُورِ عيْنٍ خُرَّدٍ بِيضٍ حِسانٍ نَاهِدَة
كَاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُون فِي سَرْدٍ تُرَى مُتَسَانِدَة
فَكُلِي هَنِيئًا وَاشْرَبِي مِنْ أَنْهُرٍ مُتَطَارِدَة
وَالطَّلْحُ وَالرُّمَّانُ فِي أَغْصَانِهَا مُتَنَاضِدَة
وَإِذَا عَصَيْتِ هَوَيتِ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ الْوَاقِدَة
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَحَ الْعُهُونَ الرَّاقِدَة[١٩٨]

---

[١٩٦] يوسف، الآية ٥٣

[١٩٧] النساء، الآية ٣٤

[١٩٨] انظر: المعولي، **ديوان المعولي**، ص١٠٢.

يصف الشاعر جنّات الخلد ليرغّب القارئ في العمل الصالح الذي جزاؤه هذا النعيم الموصوف، فيقول: إنّ الطاعة جزاؤها النعيم في جنّات عدن بما فيها من كلّ أنواع الثمار، والظلال الباردة، والحور العين، البيض الحسان كاللؤلؤ المكنون، والطلح والرمان على الأغصان ليأكل منها الفائز بالجنان هنيئًا مريئًا. النص الشعري فيه من زخم اللفظ القرآني الكثير، ومن هذا ما أورده الشاعر: (**جنّات عدن، تجنين من ثمراتها، فيها نعيم دائم، حور عين، بيض حسان، كاللؤلؤ المكنون، الطلح والرمان ومتناضدة، فكلي هنيئًا واشربي، قعر جهنّم، الحمد لله**) وفي ذكر (**جنّات عدن**) التي أوردها الشاعر في نصوصه مرارًا ما ورد في القرآن الكريم في أحوال المؤمنين يوم القيامة، فقد وردت في القرآن بكثرة للترغيب في جزاء الآخرة، مقابلها ذكر الترهيب من العقاب في قعر جهنّم، ومن المواضع التي وردت فيها ما ذكرناه آنفًا إضافة إلى مواضع أخرى، منها ما جاء في سورة التوبة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١٩٩]، وفي معنى اللفظ وليس اللفظ ذاته (**تجنين من ثمراتها**) ما ورد في سورة محمد: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[٢٠٠]؛ إذ إنّه عبّر عن اللفظ القرآني (**لهم فيها من كلّ الثمرات**) بلفظ (تجنين من ثمراتها) بذكر الثمرات واستبدال الجار والمجرور (لهم) بالفعل (تجنين) مخاطبًا النفس الطائعة. أمّا عن ذكره (**النعيم الدائم**) فقد استوحى اللفظ مع وصفه من القاموس اللفظي القرآني، بدليل ما جاء في سورة التوبة عن تفاصيل الجنّة وأحوال المؤمنين فيها: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾[٢٠١]؛ حيث استحضر لفظ (نعيم) مع الاستعانة بلفظ (دائم) بدلًا من (مقيم)، وبهذا استوحى لفظته من اللفظة الأساسية في القرآن، والتي تشير إلى خلود النعيم. وبذكره (**الحور العين**) فهو يغري القارئ بما ينتظره من النعيم، وهذا اللفظ من ألفاظ القرآن الخاصة، حيث لا وجود للحور العين

---

[١٩٩] التوبة، الآية ٧٢.

[٢٠٠] محمد، الآية ١٥.

[٢٠١] التوبة، الآية ٢١.

إلا في الجنّة التي أخبر عنها ربنا –عزّ وجلّ– في القرآن الكريم في مواضع عدّة منه، منها ما جاء في سورة الواقعة التي جمعت بين هذا اللفظ ولفظ (**اللؤلؤ المكنون**) الذي استخدمه الشاعر في النصّ ذاته: ﴿وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣)﴾[٢٠٢]، وبهذا فالحور العين يضاهين اللؤلؤ المستور عن الأعين، في بياضه وصفائه وبهائه. أمّا ذكره للطلح والرمان باشتراك الوصف (**متناضدة**) فقد استعار اللفظ القرآني (**طلح منضود**) من سورة الواقعة أيضًا: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾[٢٠٣]، والطلح هو الموز، وطلح منضود، أي: متراكم الثمار، تصطفّ ثماره بترتيب، وبذلك فقد استوحى الشاعر معظم ألفاظه من سورة الواقعة، وقد جاء بلفظ (**الرمان**) وهي فاكهة معروفة، ورد ذكرها في سورة الرحمن: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[٢٠٤]، وقد أشرك اللفظين (الرمان، الطلح) في الصفة ذاتها (متناضدة) مستخدمًا لفظ (منضود) بتغيير بنيته اللفظية في المعنى ذاته.

أمّا عن استخدامه الجملة الفعلية (**فكلي هنيئًا واشربي**) فقد استوحى ألفاظها ومعانيها من القرآن الكريم من سورة مريم: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾[٢٠٥]، وقد استخدم الفعلين (كلي، اشربي) وعبّر عن الفعل (قرّي عينًا) بالحال (هنيئًا) وهي نتيجة الطمأنينة، فالهناء لا يكون إلا بالطمأنينة، وبذلك فقد غرف الشاعر من نهر الألفاظ القرآنية، وما يدلّ على ذلك وفرة اللفظ القرآني في نصّه الشعري. استخدم الشاعر لفظ (**قعر جهنّم**) وقد ورد بغزارة في القرآن الكريم، وجهنّم هي دار الكافرين، وقد ورد ذكرها في مواضع متعدّدة، منها ما جاء في سورة آل عمران: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٢٠٦]، أمّا استخدامه لصيغة (**الحمد لله**) فقد تكرّرت مرارًا كما تكرّرت في القرآن الكريم مرارًا، وقد ذكرنا آنفًا الكثير من المواضع التي ذكرت فيها فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[٢٠٧]،

---

[٢٠٢] الواقعة، الآية ٢٢–٢٣.

[٢٠٣] الواقعة، الآية ٢٩.

[٢٠٤] الرحمن، الآية ٦٨.

[٢٠٥] مريم، الآية ٢٦.

[٢٠٦] آل عمران، الآية ١٦٢.

[٢٠٧] الأنعام، الآية ١

ويكفي أنّ المسلم يتلفظ بالحمد خمس مرّات في اليوم، وهذا دلالة على أهمية الحمد والشكر لله، وربّما هذا يفسر تكراره في القرآن الكريم في مواضع كثيرة كما يفسر ميل الشاعر لاستخدامه بوفرة في أشعاره.

يتّضح ممّا سبق؛ تأثر الشاعر (المعولي) بالقرآن الكريم وألفاظه، خاصّة ما يتعلّق بألفاظ يوم القيامة، إضافة إلى لفظ الحمد الذي يتكرّر في مواضع عدّة، وهذا يدل على البعد الإيماني والعقائدي للشاعر.

ومن المعاني التي استعارها (المعولي) من القرآن الكريم، فهي كثيرة ومتعدّة، وسيورد الباحث بعضًا منها في هذا الموضع على سبيل المثال لا الحصر، منها:

ما قاله المعولي في النصح:

أُوصِيكُمُوا يَا أَيُّهَا الْعُقَلَاءُ بِوَصِيَّةٍ تَعْفُو لَهَا الْحُكَمَاءُ

فَتُدَبَّرُوا آيَاتِهَا وَتَفَكَّرُوا فَهِيَ الدَّوَاءُ وَلِلْقُلُوبِ جَلَاءُ[٢٠٨]

لقد استلهم (المعولي) معنى التدبّر والتفكّر من معاني القرآن؛ إذ إنّه ربطها بلفظة الآيات، وهو بذلك يستحضر المعنى القرآني، فهو يوجّه وصيّة للعقلاء، يقدّرها الحكماء الذين يعرفون الحكمة منها، ويدعوهم ليتدبّروا آياتها؛ لأنّها الدواء الذي يجلو همّ القلوب، وقد ورد هذا المعنى مع الألفاظ ذاتها في القرآن الكريم في سورة ص: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٢٠٩]، وبذلك فهو استعار معنى التدبر لآيات القرآن والتفكّر فيها لمعناه الشعري، الذي أراده في الوصية والنصيحة التي وجّهها للناس.

وقال في النصح أيضًا:

يَا نَفْس تُوبِي وَارْجِعِي لَا تُدْبِرِي مُتَبَاعِدَة

كَوْنِي مَعِي فِي كُلِّ مَا يُرْضِي الْإِلَهَ مُجَاهِدَة

---

[٢٠٨] انظر: المعولي، **ديوان المعولي**، ص١٣.

[٢٠٩] ص، الآية ٢٩.

وَاسْتأنِسِي ثُمَّ اصْبِرِي فَالصَّبْرُ فِيهِ فَائِدَة.[٢١٠]

يدعو الشاعر النفس إلى التوبة والرجوع إلى مايرضاه الله، وينصحها بعدم الإدبار عن التوبة النصوح، كما يدعو نفسه إلى أن تكون معه فيما يرضي الله عزّ وجلّ، ويطلبها للاستئناس بالصبر؛ لأنّ في الصبر كثير الفوائد، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في مواضع عدّة منها ما جاء في سورة هود: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِير﴾[٢١١]، فالصابرون ينالون المغفرة والأجر، وهو المعنى الذي يتوافق مع المعنى الشعري في حق الصبر، فأعظم فوائد الصبر الأجر والمغفرة من الله عزّ وجلّ.

وقال في التذكير:

قَالَ الْإِلَهُ مَقَالَةً لِنَبِيّهِ شَاوِرْهُمُ فِي الْأَمْرِ لِلْآبَاءِ

وَهُوَ الَّذِي أَعْلَى الْوَرَى عَقْلاً وَلَمْ يَأْنَفْ وَشَاوَرَهُمْ بِغَيْرِ مِرَاءِ[٢١٢]

وقف الشاعر هنا؛ على المعنى القرآني الذي يشير إلى أهميّة المشاورة، والأخذ برأي الآخرين، مستشهدًا على هذا المعنى باقتباس من الآية الكريمة من سورة آل عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٢١٣]، والواضح أنّه استعان باللفظ القرآني أيضًا دعمًا لرأيه، فهو يوجّه القارئ للأخذ بالمشورة، فقد أمر الله تعالى نبيّه بهذا، حين قال له: شاورهم في الأمر، وهو النبيّ الأعلى شأنًا بين الخلق، ولم يعترض، ويخبر أنّ المشورة تكون دون نفاق ورياء.

وقال في القناعة:

وَمِنْ الْمُحَالِ رِضَى الْجَمِيعِ فَإِنَّهُ دَاءٌ عُضَالٌ صَارَ فِي الْإِعْيَاءِ[٢١٤]

---

[٢١٠] انظر: المصدر نفسه، ص١٠١.

[٢١١] هود، الآية ١١.

[٢١٢] انظر: المعولي، **ديوان المعولي**، ص١٨.

[٢١٣] آل عمران، الآية ١٥٩.

[٢١٤] انظر: المصدر نفسه، ص١٩.

يقول الشاعر إنّ من المحال إرضاء الجميع، بل هذا الأمر بمثابة المرض العضال الذي لا علاج له، فلا تسعَ إليه، ويلتقي هذا المعنى مع المعنى القرآني في سورة البقرة: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[٢١٥]، وقد وقف القرآن الكريم عند عدم رضا اليهود والنصارى عن النبي والمؤمنين حتى يتبعوا ملّتهم، ولكن لن يتوقف الأمر عند هذا، فما دامت هذه الغاية –وهي موافقتهم في كلّ شيء– فهذا مؤشر الاستحالة، وكذا الناس، إن وافقتهم في أمر سيطالبونك موافقتهم في آخر، وهكذا، وبذا لن تحتمل أن توافقهم طيلة الوقت؛ لأنّ الأمر غير منطقي، فسنّة الاختلاف موجودة بين البشر مذ وجد الكون.

وقال الشاعر المعولي أيضًا في النصح:

وَسَلِّم إِلَى رَبِّ الْعِبَادِ عَلَيْهِ وَصَاحِبْ خَيْرَ خِلٍّ مُصَاحِبِ
وَلَا تَطْلُبَنْ إِلَّا مِنْ اللَّهِ حَاجَةً وَلَا شَك أَنَّ اللَّهَ مَعْ كُلِّ طَالِبِ
وَلَا تَتْرُكَنَّ الْبَحْثَ عَنْهُ فَإِنَّهُ لِكُلِّ فَتًى تَحْوِيهُ خَيْرُ الْمَكَاسِبِ[٢١٦]

يتحدّث الشاعر عن التسليم لله، ومصاحبة الخلّ الوفيّ، وعدم اللجوء لأحد إلا للمولى عزّ وجلّ، فالله لا يخيّب من لجأ إليه، وطلبه، ولا يجب أن تملّ من البحث عن طريق الله، فهو المكسب الحقيقي للمرء، وقد تلاقت بعض معاني النصّ الشعري مع المعاني القرآنية، فالتّسليم إلى الله يلتقي مع ما جاء في سورة الطلاق: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٢١٧]، فالتوكّل على الله هو التسليم لله بالكليّة، أمّا الطلب من الله والإجابة، فيتقاطع مع المعنى القرآني الوارد في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٢١٨]، والآية الكريمة تؤكّد على معنى الدعاء والإجابة، والدعاء هنا طلب، حيث تدعو الآية إلى دعاء الله؛ لأنّه قريب، يجيب الدعوات، وهذا ما دار في فلكه المعنى الشعري بالأبيات السابقة.

---

[٢١٥] البقرة، الآية ١٢٠.

[٢١٦] انظر: المعولي، **ديوان المعولي**، ص٣٣.

[٢١٧] الطلاق، الآية ٣.

[٢١٨] البقرة، الآية ١٨٦.

وقال أيضًا في التقوى:

إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَذَا فِطْنَةٍ أَوْ كُنْتَ فِي الْتُّقَى ترْغَبُ

فَاسْتَرْزِقِ الرَّحْمَنَ مِنْ فَضْلِهِ وَاتْرُكْ سُؤَالَ النَّاسِ يَا مُعْجَبُ[٢١٩]

يشير الشاعر المعولي في هذه الأبيات إلى أن كلّ ذي عقل، فطن، يرغب بالتقوى؛ يطلب الرزق من الله، ويترك سؤال النّاس، فالرزق بيد ربّ الناس، فهو الذي يعطي أو يمنع، وهذا ما يتماشى مع المعنى القرآني في سورة الطلاق: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾[٢٢٠]، فقد جاء الرزق كنتيجة طبيعية لتقوى الرحمن، ثمّ تبع التقوى معنى التوكّل على الله، وهذا المعنى يتضمن معنى ترك سؤال الناس، والتسليم لله عزّ وجل، وسؤاله لا سؤال النّاس، والاستعانة به لا بغيره، وبذلك فهو يلتقي مع المعنى الشعري الذي جاء في الأبيات السابقة.

وقال في معنى الحذر من النفس، كذلك:

وَحَاذِرْ مِنْ الزَّلَّاتِ فِي النُّطْقِ غَيْبَةً فَإِنَّكَ مَأْخُوذٌ بِمَا كُنْتَ تَكْسِبُ[٢٢١]

يحذّر الشاعر من زلّات اللسان والغيبة، فالمرء محاسب على كلّ أفعاله وذنوبه، وفي هذا المعنى ما جاء في سورة المدّثّر: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٢٢٢]، فكلّ نفس تُحاسب عن أفعالها وأقوالها، وقد استلهم الشاعر معناه (فإنك مأخوذ بما كنت تكسب) من قاموس المعاني القرآنية.

وقال في المدح أيضًا:

لَا يَسْتَطِيعُ لِدَفْعِ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ دَفْعِ الْمَصَايبْ

لَا عَمَّ يَنْفَعُهُ وَلَا خَالٌ وَلَاخِلٌ مُصَاحِبْ

---

[٢١٩] انظر: المصدر نفسه، ص٤٢.

[٢٢٠] الطلاق، الآية ٢-٣.

[٢٢١] انظر: المعولي، **ديوان المعولي**، ص٤١.

[٢٢٢] المدثر، الآية ٣٨.

أَنْتَ الْمُعَظَّمُ لَمْ تَزَلْ تَسْمُو بِهِ فَرْقَ الثَّوَاقِبْ

لَا يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ أَبَدًا يُشَاوِرُ فِي النَّوَائِبْ

فَمِنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ لَا زَالَ يَأْتِي بِالْعَجَائِبْ[٢٢٣]

يقول الشاعر: إنّ المرء لا يستطيع دفع المصائب عن نفسه، وقد جاءت لفظة (المصايب) مخفّفة من الهمزة، فلا ينفعه عمّ ولا خال ولا صاحب عند مصابه، ويشير لممدوحه بأنّه سامٍ عالي المجد، وكأنّ ثواقب النجوم تسمو به وبمجده، ويزيد في مدحه للإمام بأنّه لا يستبدّ برأيه، وقد اعتاد على مشاورة قومه عند كلّ نائبة، ويشير الشاعر لمن يستبدّ برأيه فهو الذي يأتي بالعجب، ولا يستطيع نيل الصواب باستبداده، وقد التقت هذه المعاني الشعرية عند الشاعر مع معان شعرية في القرآن الكريم، أوّلها عدم قدرة المرء عن دفع المصائب عن نفسه، فلا عمّ ولا خال ولا صاحب، وهو المعنى الذي ورد في القرآن الكريم عن المرء في حسابه يوم القيامة، وورد هذا المعنى في سورة عبس: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦)﴾[٢٢٤]، والمعنى هنا: أنّه لا أحد يدفع عن أحد ما هو فيه من المصائب، حتى أقرب الناس إليك. أمّا معنى المشاورة فقد ورد معنا قبل قليل، وقد ورد في سورة آل عمران، في خطاب الله تعالى إلى نبيّه الكريم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٢٢٥].

وفي اللطف قال المعولي أيضًا:

ثَلَاثٌ تَقُودُ الصَّعْبَ وَهِيَ حَمِيدَةٌ فَلَا حِيلَةٌ مِنْ بَعْدِهَا لِلْمطَالِبِ

لُيُونَةُ طَبْعٍ بِالْوَثِيقَةِ بعْدَهُ كَلَامٌ لَطِيفٌ وَابْتِذَالُ الرَّغَائِبِ[٢٢٦]

---

[٢٢٣] انظر: المصدر نفسه، ص٥٥-٥٦.

[٢٢٤] عبس، الآية ٣٤-٣٥-٣٦.

[٢٢٥] آل عمران، الآية ١٥٩.

[٢٢٦] انظر: المعولي، **ديوان المعولي**، ص٦٠.

يشير الشاعر إلى ثلاثة أمور تُيسّر صعاب الأمور، وهي من الأخلاق الحميدة، إن ملكها الشخص لا يمكنه أن يطلب أكثر منها لتيسير أموره في التعامل، ألا وهي: الطبع الليّن، والكلام اللطيف، وعدم طاعة الرغبات، وهذا المعنى أشار الله تعالى إليه في حديثه عن صفات نبيّه الكريم محمد في معاملته لقومه، وقد أورده في سورة آل عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٢٢٧]، فاللّين واللطف مفتاح القلوب، فباللطف قد تكسب عدوك، وديننا الحنيف دائمًا يدعو إلى مكارم الأخلاق، وقد سبق في الدعوة إلى اللطف، وأخبر عن لطف محمد صلوات الله عليه، فبلطفه استطاع كسب قلوب القوم، ولو كان عنيفًا فظًّا لما استطاع جمع القلوب حوله. وقوله تعالى أيضًا: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم﴾[٢٢٨]

وجاء في هذا المعنى أيضًا، قوله تعالى من سورة فصلت: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم﴾.[٢٢٩]

وفي معنى تجديد العذاب يقول الشاعر في الهوى:

كُلَّمَا أَخْلَقَ اَلْهَوَى جَدَّدُوهُ بِمُنَىً أَحْدَثُوا لَهَا تَجْدِيدًا

مِثْل هَذَا اَلْعَذَاب إِنْ أُخْلَقُوا جِلْدًا مِنْ النَّارِ أَحْدَثُوا جُلُودًا[٢٣٠]

يتحدّث الشاعر عن العشق والهوى، وكأنه كلّما قارب أن يخفت في قلبه، يتجدّد بأمنية كان المعشوق سببها، وهذا العذاب الذي يعيشه العاشق يشبه عذاب من يتعذّب في النار، كلما احترق جلده نبت له جلد جديد؛ ليتجدّد العذاب مرّة أخرى، وهو الصورة التي حدّث عنها القرآن الكريم في سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٢٣١]، واستحضر

---

[٢٢٧] آل عمران، الآية ١٥٩.

[٢٢٨] القلم، الآية ٤.

[٢٢٩] فصلت، الآية ٣٤.

[٢٣٠] انظر: المعولي، **ديوان المعولي**، ص١٢٥.

[٢٣١] النساء، الآية ٥٦.

الشاعر هذا المعنى ليكسب معناه قوة وبلاغة، وإذ أراد وصف تجدّد الشوق والعذاب عند العاشق، فلم يجد أبلغ من هذا المعنى القرآني ليوصل الصورة للقارئ.

وفي مدح العائلة الحاكمة يقول:

وَحِمَاكُمْ مُجَلَّلاً وَنَدَاكُمْ مُسْتَفِيضًا وَضِدُّكُمْ مَطْرُودًا

وِيدَاكَمْ مَبْسُوطَةٌ وَعَدَاكُمْ فِي سَمُومٍ وَجَاهُكُمْ مَمْدُودًا[٢٣٢]

يصف الشاعر الممدوح بأنّ حماه محميّة، وعطاؤه فيّاض، وعدوّه مطرود مدبر، ويداه مبسوطة، وهي كناية عن الكرم اللامتناهي والعطاء الزائد، وعدوه في عذاب، وجاهه ومجده ممتدّ للأجيال القادمة، وفي معنى الكرم ما جاء في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[٢٣٣]، وجاء البسط بمعنى الإنفاق، وأراد الشاعر به سخاء الإنفاق والعطاء.

ويقول أيضًا في القضاء والقدر:

أَمَّا فَرَرْتَ مِنْ الْعِدَى أَيْنَ الْفِرَارُ مِنْ الرَّدَى ؟

وَإِذَا سَلِمْتَ الْيَوْمَ مِنْهُ يَأْتِي الْقَضَاءُ بِهِ غَدًا[٢٣٤]

يقول الشاعر: إن استطعت أن تفرّ من عدوّك هذا لا يعني قدرتك الفرار من الموت، فالموت يأتيك في موعده، يأتيك أينما كنت، لكن في موعده المحدّد، وهذا المعنى الذي أشار إليه القرآن الكريم في سورة النساء: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[٢٣٥]، فالموت يخترق الزمان والمكان؛ لأنّه حقيقة لا يمكن الفرار منها.

في نهاية هذا المبحث، يلاحظ الباحث تمسّك الشاعر بالمعاني القرآنية، خاصّة المعنى الإيماني في التسليم بالقضاء والقدر، فقد تكرّر في أكثر من موضع، إضافة إلى تركيزه على معنى

---

[٢٣٢] انظر: المصدر نفسه، ص١٢٦.

[٢٣٣] الإسراء، الآية ٢٩.

[٢٣٤] انظر: المعولي، **ديوان المعولي**، ص١٢٧.

[٢٣٥] النساء، الآية ٧٨.

المشاورة، وقد أورد الكثير من المعاني القرآنية التي أراد بها المعنى القرآني ذاته، أو أراده لدعم فكرة ما عنده؛ كقضية تجدّد الجلود لتجدّد العذاب في قضية العشق، وبذلك فالشاعر لديه ثقافة إسلامية، تطرح نفسها من خلال النصوص الشعرية التي تكشف عن تأثره العميق بمعاني القرآن، كما تكشف عن تشرّبه هذه المعاني.

الفصل الرابع
أثر القرآن الكريم في نثر اليعاربة

اتّسم النثر العماني في عصر اليعاربة بألوان جديدة وسمات جديدة، فامتاز بالوضوح، والنصاعة، والبعد عن التكلف، والتأثر بالتعبير القرآني. حيث تأثر الأديب بما حوله من أحداث وأحوال وملابسات وزمان ومكان، وقد قيل: «الأدب ابن بيئته»؛ فالأديب يستمد أدبه من حياة المجتمع، ويتأثر بالحياة الخارجية السائدة، وهنا تأتي العبارة المأخوذةّ عن «دي بونا» والتي تقول: «إن الأدب تعبير عن المجتمع»، والأديب حين يتأثر بالمجتمع إنما يعكس فهمه لهذا المجتمع، والأدب تصوير لهذا الفهم ونقل له.[1]

فالاقتباس من القرآن الكريم سمة اتّسم بها النثر العماني في عصر اليعاربة في بناء القطع النثرية ورسائلهم، ويلاحظ أن هذه الظاهرة تكاد تغطي جميع الموضوعات النثرية التي عالجها الكتّاب آنذاك، بما فيها من موضوعات الرسائل والوصايا والمقامات وغيرها.

حيث ترسبت العناصر القرآنية في كتابات اليعاربة، فكشفت عن خفايا الإبداع الفكري والفني لدي اليعاربة الذين سعوا جاهدين للوصول إلى سر الجمال الفني في رسائلهم، لهذا وجهوا عنايتهم إلى إبراز القدرة الفنية والإبداع التصويري، والأداء التعبيري في الكتاب الذي سيظل معجزة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وعمدوا إلى توظيفها في رسائلهم بأسلوب يعبّر عن قدرات إبداعية.

يستمد النثر الفني في العصر الإسلامي معانيه من منهلين عذبين، من أدب القرآن الكريم وأدب النبوة، لأنهما وجّها النثر نحو التخلّق بالأخلاق الفاضلة الكريمة، والتحلّي بالأخوة الإنسانية النبيلة. أصبحت معاني النثر في هذا العصر منظمة منسقة، والأفكار مرتبة، وذلك لأن الإسلام يتطلب من معتقديه التنسيق والترتيب والتنظيم في كل أمر من الأمور، سواء الذي يتعلق بالحياة وشؤونها أم بالأفكار وإنتاجها. إن هذا النثر الذي جاء إلينا كان موثوق الرواية

[1] الجامع في تاريخ الأدب العربي، **الأدب القديم**، ص ٢٥-٢٧.

ثبتًا، ثم إنه كان شديد التأثر في أغراضه وأساليبه بالقرآن الكريم من وجهتين: كان في الوجهة الأولى أفصح ألفاظًا، وأسهل تركيبًا، وأعذب تعبيرًا، أما من الجهة الثانية؛ فقد كان أمتن سبكًا، وأبرع دلالةً، وآنق ديباجة، لأن الناثرين كانوا قد تأثروا ببلاغة القرآن الكريم التي كانت تجري في أساليب متعددة بتعدد الأغراض من ترغيب وترهيب، ومن وعد ووعيد، ومن سرد وقصص، ومن وصف وتشريع، ثم إن العرب كانوا قد جعلوا النثر ميدان براعتهم في التعبير عن المقاصد والمعاني، بعد أن كانوا قد انصرفوا عن الشعر كثيرًا أو قليلًا.[٢]

وسيقف الباحث في هذا الفصل مع أدباء من عصر اليعاربة تنوعت كتاباتهم الأدبية بين رسائل وعهود، إلى ولاتهم، مثل الإمام ناصر بن مرشد اليعربي(ت:١٦٤٩م)، والإمام سلطان بن سيف اليعربي(ت:١٦٧٩م)، وبين نصيحة الإمام الخراسيني(حي:١٠٤٠هـ) إلى أحد الأئمة، وبين إحدى المقامات الأدبية لدى الشيخ سعيد بن راشد بن بشير الخروصي، وبين إحدى الكتابات العلمية لدى الشيخ خميس بن سعيد الشقصي(حي:١٠٧٠هـ-١٦٦٠م)، وسيحلّل الباحث بعض المقاطع من تلك الكتابات ويبان أثر القرآن الكريم فيها من جانبي اللفظ والمعنى.

المبحث الأول: الإمام ناصر بن مرشد اليعربي(ت:١٦٤٩م)[٣]

لقد بدا تأثّر الإمام ناصر بن مرشد اليعربي بالقرآن الكريم واضحًا في عهوده ورسائله، فقد انعكست ثقافته الدينية على كتاباته، فظهر هذا باستخدامه ألفاظ القرآن تارة، وباستخدامه معانيه تارة أخرى، وسيقف الباحث على هذا الأثر من جهتين: جهة اللفظ وجهة المعنى.

تجلّى الكثير من ألفاظ القرآن الكريم في رسائل الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، ومن نماذج هذه الرسائل:

رسالة من ناصر بن مرشد إلى ابن عمه وخليفته على الأمر من بعده سلطان بن سيف بن مالك اليعربى، حيث أراد أن يستعمله على بعض الأمور، فاعتذر له ابن العّم، فرّد الإمام

---

[٢] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص٢٥٤-٢٥٥.

[٣] الإمام ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب اليعربي، ينتمي إلى قبيلة يعرب، إحدى القبائل اليمانية التي هاجرت إلى عمان. نشأ على حب الخير والاستقامة، والتقوى والنزاهة، والالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية، ولتلك الصفات جاء اختياره للإمامة.

على اعتذاره بما يأتي: " .... سلّم الأمور ولدي لخالق الأرض والسماء وما فيهن وما تحت الثرى، واصبر وما صبرك إلا بالله، وتوكل عليه وفوض أمرك إليه، واتقه؛ ليجعل لك من جميع أمورك المخارج

فالله الله ولدي في سياسة الملوك، لا تكن غافلًا ولا مهملًا لأمورك؛ فإنك ركبت الخطر العظيم والهول الفظيع الجسيم، فلا تلتفت ولدي إلى الدنيا ونعيمها وغضارتها؛ فإنها لعب ولهو وزينة وتفاخر لا توازن عند الله جناح بعوضة ....."[٤].

في هذا المقطع من عهد الإمام ناصر بن مرشد إلى الوالي سلطان بن سيف بن مالك اليعربي يبيّن الإمام أهمية تسليم الأمور لخالق الأرض والسماء؛ مع الاتصاف بصفة الصبر والتوكل على الله سبحانه وتعالى؛ لتستقيم سياسة الدولة، ويجعل له التيسير وتسهيل الصعاب في المهام الصعبة الموكلة إليه، حاثًا إياه أن يجعل تقوى الله سبحانه وتعالى أمام عينيه، خاصة في سياسة الملوك بعدم الغفلة عن أوامر الله واجتناب نواهيه، كما يتضح في هذا المقطع تأثر الإمام ناصر بألفاظ القرآن الكريم عند ذكره (**واصبر وما صبرك إلا بالله**) حيث استقى الإمام هذه الألفاظ من قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[٥] حين أمر الله سبحانه وتعالى الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- على الصبر على ما يصيبه من أذى من المشركين، كما أمره بعدم الحزن على إعراض الكفار عنه، ولا يضيق صدره بسبب ما يقومون به من مكر وكيد، وما توفيقه إلا بالله.

"..... فاطرح ولدي حب الدنيا ومطامعها من قلبك، واجتهد في طاعة ربك، وخذ حذرك، وقوِّ عزمك وصبرك، وكن مثل الأسد في ذلك الغار، ولا يكن نظرك في راحتك اليوم، فإنك اليوم لدينا مكين أمين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه الأمي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"

في هذا المقطع يواصل الإمام رسم خط سير الوالي سلطان بن سيف بن مالك اليعربي في سياسة حكمه وولايته، حاثًّا إياه على تجنب حب الدنيا ومطامعها وانتزاعها من قلبه،

---

[٤] سالم بن محمد بن سالم الرواحي، **الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة**، (مطبعة الألوان الحديثة، ط١، ٢٠٠٣م)، ص١٤٦.

[٥] النحل، الآية ١٢٧.

وإعمال جهده في طاعة ربه مستعملًا كل مكامن القوى لديه من أخذ الحيطة والحذر، وتقوية العزيمة لديه في تحقيق أهدافه، والاتّصاف بالصبر، مشجعًا إيّاه بأن يكون كالأسد في سياسته الحكيمة، مبعدًا نفسه عن الركون إلى الراحة والنوم، ملهمًا إيّاه القوة والرسوخ والأمانة. وقد تأثر الإمام بألفاظ القرآن من خلال قوله **(فإنك لدينا مكين أمين)** أي إنك اليوم أصبحت لك مكانةٌ وقدرٌ كبير عندنا، حيث استوحى الكاتب هذه الألفاظ من سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[٦] عندما قال الملك الحاكم لـ "مصر" حين بلغته براءة يوسف: جيؤوني به أجعله من خلصائي وأهل مشورتي، فلما جاء يوسف وكلّمه الملك، وعرف براءته، وعظيم أمانته، وحسن خلقه، قال له: إنك اليوم عندنا عظيم المكانة، ومؤتمن على كل شيء، وهذا مما يتوافق مع المعنى الذي أراد الكاتب أن يوصله للوالي.

من عهد الإمام ناصر بن مرشد إلى الوالي بلعرب بن مانع بن علي الإسماعيلي واليه على (سمد الشأن)

"... وأن تأمر فيهم بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتوالي في الله وتعادي عليه، ولا تخف في الله لومة لائم، وأن تخلط الشدّة باللين، وأن تخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، وأن تعرف لكل أمر حقه، وتنزله منزلته، وتوفيه حقه، وتنكر المنكرات بغير تجاوز إلى غير واجب، أوجبه الله بالجد والتشهير، وترك التهوين، والتقصير..."[٧]

في هذا العهد يحث الإمام ناصر بن مرشد واليه على (سمد الشأن) بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تكون موالاته للناس في اتخاذ المقرّبين من يخاف الله ويتقيه ويتبع أوامره ويجتنب نواهيه، ويعادي كل من يصرّ على معصية الله، وأن لا يخاف اللّوم من أحد في تطبيق شريعة الله على من يعمل على إثارة الفتن والتفرقة بين الناس، وتطبيق العقوبة المناسبة للفعل المرتكب، وأن يضع الحد للمنكرات، وعدم التهاون مع المنكرين والمخالفين لشرع الله تعالى.

---

[٦] يوسف، الآية ٥٤.

[٧] سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي، **مصادر التاريخ العماني الحديث والمعاصر: دراسة مسحية وصفية**، (دمشق: دار الفرقد، ط١، ٢٠١٧م)، ص٨٦.

ويظهر تأثر الإمام بألفاظ القرآن الكريم من خلال ذكره لبعض الألفاظ التي استقاها من مثل ذلك **(ولا تخف في الله لومة لائم)** متأثرًا بقول الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٨]

حيث يخاطب الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المؤمنين يا أيها الذين آمنوا، من يرجع منكم عن دينه إلى الكفر فسوف يأتي الله بقوم بدلًا منهم، يحبهم ويحبونه لاستقامتهم، رحماء بالمؤمنين أشداء على الكافرين، يجاهدون بأموالهم وأنفسهم لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يخشون تعنيف من يعنفهم، لتقديم رضى الله على رضى المخلوقين، ذلك من عطاء الله الذي يعطيه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل والإحسان، عليم بمن يستحق فضله فيمنحه إياه، ومن لا يستحقه فيحرمه، وهذا مما يتوافق مع المقصد المطلوب فيما يسعى إليه الكتاب.

كما يظهر تأثر الإمام بألفاظ القرآن الكريم في هذا المقطع من العهد بذكره " وأن تخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين " حيث استقى الإمام تلك الألفاظ من سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٩]، حيث يخاطب الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم آمرًا إيّاه بلين الجانب قولًا وفعلًا لمن اتبعه من المؤمنين رحمة بهم ورفقًا.

من عهد الإمام ناصر بن مرشد اليعربي إلى وآليه صالح بن سعيد المعمري السعالي واليه على صور وإبراء: "....وعلى أن تجتهد في إصلاح أهل ولايتك، وإصلاح بينهم، وعمارة مساجدهم، والرأفة بهم، والتجاوز عن مسيئهم، وحسن السياسة لأمورهم، والصبر في نفسك من أذاهم ما وسعك من ذلك، وإياك يا أبا سعيد والعجلة في أمورك، وكن حذرًا وقورًا، صابرًا شاكرًا على العطاء، ساترًا عيوب من أخطأ، غافرًا زلة من غفر، رؤوفًا بمن أناب واستغفر، قابلًا لمن رجع إليك واعتذر، مدمدمًا على من أصرَّ واستكبر، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، هينًا

٨. المائدة، الآية ٥٤.

٩. الشعراء، الآية ٢١٥.

لينًا لمن آخيته من جميع البشر، لا بفظ ولا غليظ، واصبر وما صبرك إلا بالله، وتوكل على الله حق التوكل، واجتهد في كل ذلك، ولا تكن من الغافلين.[١٠]

في هذا المقطع من العهد الذي عهد به الإمام ناصر بن مرشد لواليه عند تولّيه منصب الوالي، على (صور، وإبراء)، حيث يقدم الإمام للوالي مجموعة من الوصايا التي يرسم من خلالها نهج سياسته وإدارته للبلاد، ويذكر الوالي بالقواعد الأساسية للعمل الذي يحقق الاستقرار والأمن وينشر العدل بين الناس متبعًا في ذلك الشريعة الإسلامية، والنهج النبوي الشريف، مستمدًا في ذلك الألفاظ القرآنية في مواضعها المختلفة من ذلك قوله: (**وكن حذرًا**) منبهًا ومحذرًا الوالي من أن يؤثروا فيه، وأن يتجاوز عن زلاّتهم ويعرض عنها ويسترها عليهم، حيث ورد هذا اللفظ في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾[١١]، بمعنى: وأن احكم بينهم – أيها الرسول– بما أنزل الله إليك، ولا تتبع آراءهم النابعة من اتباع الهوى، واحذرهم أن يضلوك عن بعض ما أنزل الله عليك، فلن يألوا جهدًا في سبيل ذلك، فإن أعرضوا عن قبول الحكم بما أنزل الله إليك فاعلم أنما يريد الله أن يعاقبهم ببعض ذنوبهم عقوبة دنيوية، ويعاقبهم على جميعها في الآخرة، وأن كثيرًا من الناس لخارجون عن طاعة الله. وهذا اللفظ بالمعنى ذاته استقاه الكاتب من القرآن الكريم.

كما يظهر تأثر الإمام بألفاظ القرآن الكريم في قوله: (**غافرًا زلة من أخطأ**) مطبقًا مقولة العفو عن المقدرة، وقد جاء هذا اللفظ في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[١٢]، حيث تشير الآية الكريمة إلى أن الله غافر ذنوب المذنبين، قابل توبة من تاب إليه من عباده، شديد العقاب لمن لم يتب من ذنوبه، ذو الإحسان والفضل، وهذا مما ينصح به الكاتب الوالي.

كما يظهر تأثره بألفاظ القرآن في هذا المقطع في قوله:(**رؤوفًا بمن أناب واستغفر**) حاثًّا إياه بالرأفة بمن اتبع طريق الله، مستغفرًا عن ذنبه وعمًا بدر منه، حيث استوحى الإمام

---

١٠ انظر: الهاشمي، **مصادر التاريخ العماني الحديث والمعاصر: دراسة مسحية وصفية**، ص٨١.

١١ المائدة، الآية ٤٩

١٢ غافر، الآية ٣.

لفظة **"أناب"** من سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١٣]، أي: وإن بذل الوالدان جهدًا ليَحْمِلاك على أن تشرك بالله غيره تحكُّمًا منهما، فلا تطعهما في ذلك؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وصاحبهما في الدنيا بالبرّ والصلة والإحسان، واتبع طريق من أناب إليّ بالتوحيد والطاعة، ثم إليّ وحدي يوم القيامة مرجعكم جميعًا، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من عمل، وأجازيكم عليه.

ومن الألفاظ القرآنية التي تأثر بها الإمام في هذا المقطع، قوله:(**مدمدمًا على من أصرَّ واستكبر**) حاثًّا إياه على تطبيق العقوبة الشديدة على من استمرّ على ما هو عليه من الشرك، ومخالفة النظام والقوانين، وقد استمد الإمام كلمة (**مدمدمًا**) من القاموس القرآني، حيث وردت هذه اللفظة في سورة الشمس في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[١٤]، حيث تشير الآية إلى قوم صالح عندما قال لهم نبي الله صالح عليه السلام: اتركوا ناقة الله وشربها في يومها فلا تتعرضوا لها بسوء، فكذبوا رسولهم في شأنها، فقتلوها مع رضا الجميع بذلك، فكانوا شركاء في الإثم، فأطبق عليهم الله سبحانه وتعالى عذابه فأهلكهم بصيحة ذنوبهم، وهكذا يحث الكاتب الوالي إلى عدم التهاون في إنزال أشد أنواع العقوبة على من أصر على مخالفة النظام والقوانين.

كما يتضح تأثره بالقرآن الكريم في قوله: (**من أصرَّ واستكبر**) حيث يكون تطبيق العقوبة على من يستمر على ما هو عليه من الشرك، حيث وردت هذه الألفاظ في سورة نوح في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[١٥]،حيث تشير الآية إلى استكبار العتاة المعاندين في عنادهم وجحودهم، واستمرارهم على ما هم عليه من الشرك، وهذا مما يجعل الألفاظ الواردة في الرسالة متوافقة مع الألفاظ القرآنية.

---

[١٣] لقمان، الآية ١٥.

[١٤] الشمس، الآية ١٤.

[١٥] نوح، الآية ٧.

من عهد الإمام ناصر بن مرشد إلى الوالي علي بن أحمد بن عثمان النزوي واليًا على (لوى):

"....وأوصيك ونفسي وجميع المسلمين بتقوى الله، واللّزوم على طاعته، فأقول: يا أبا الحسن إني قد وليتك على قرية لوى، من الباطنة، وما حولها، وما اشتمل عليها من بلدان الباطنة، وحتى، وديار الحدان، والجو، وناجران، ودما، وما تشتمل عليه هذه القرى والبلدان، وما فيهن وما بينهن من المزارع والأطوى وجميع الأماكن، أن تأمر في هذه القرى والبلدان، باديهم وحاضرهم، وعبدهم وحرهم وصغيرهم وكبيرهم، وغنيهم وفقيرهم، بالعدل والمعروف، وتنهاهم عن المنكر والمخوف، وأن تعمل بكتاب الله المستبين، وتحيي فيهم سنة النبي الأمين وآثار الأئمة المهتدين، وسيرة القادة المخلصين، الذين جعلهم الله منار الهدى، وقادة الناس إلى التقوى، وأورثهم الكتاب والسنة، يدعون إلى طريق الجنة، وأن توالي في الله وتعادي في الله، ....."[١٦].

في المقطع السابق من خطاب الإمام ناصر بن مرشد إلى الوالي؛ أبي الحسن علي بن أحمد بن عثمان النزوي عند تعيينه واليًا على لوى والمناطق المجاورة لها، قدم الإمام مجموعة من الوصايا، بدأها بحثّ نفسه وجميع المسلمين بتقوى الله، ولزوم طاعته لكل مسلم، ثم بيّن له المناطق التي قد ولّاه عليها وتكون تحت حكمه وولايته، ثم بيَّن له قواعد الحكم التي يسير عليها في منصبه هذا، ومن بينها: إقامة العدل بين الرعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يتبع المنهج القرآني والسنة النبوية، وآثار أئمة الهدى من العلماء، والاقتداء بسير القادة المخلصين، وأن يوالي في الله ويعادي في الله .

في هذا المقطع يتضح لنا تأثر الإمام بالمعاني القرآنية، حيث اشتمل عهده هذا على الكثير من المعاني التي يمكن ربطها بالمعاني القرآنية التي حث عليها ديننا الحنيف، والتي بدأها **(بتقوى الله)** حيث بدأ هذا الأمر قبل أوامره لواليه؛ ليكون حافزًا له على امتثال ما يأمر به، كما في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١٧]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[١٨]، بل يقص

---

[١٦] انظر: الهاشمي، **مصادر التاريخ العماني الحديث والمعاصر: دراسة مسحية وصفية**، ص٧٨،٧٧

[١٧] المائدة، الآية ٣٥.

[١٨] الأحزاب، الآية ٧٠.

علينا القرآن أن الرسل جميعًا دعوا أقوامهم إلى تقوى الله، حيث يقول كل منهم لقومه﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١٩]؛ ولهذا جعل القرآن الكريم وصية الله للأولين والآخرين هي التقوى، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[٢٠].

ومن وصاياه كذلك(لزوم طاعة الله) حيث أوصى الإمام نفسه أولًا، ثم جميع المسلمين بما فيهم الوالي على لزوم طاعة الله تعالى في كل شؤون الحياة، حيث جاء هذا الأمر في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، نذكر منها على سبيل النمذجة لا الحصر، مثل، قوله تعالى:" ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[٢١]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٢٢]، ومن الملاحظ أن القرآن الكريم ربط طاعة الله سبحانه وتعالى بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يدل على أهمية طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع أوامره واجتناب نواهيه؛ حتى ينال المسلم رضوان الله واكتساب ثوابه وشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ومن بين وصايا الإمام في هذا العهد (**الأمر بالعدل**) حيث جاء الأمر بالعدل في القرآن الكريم والمتمثل في سورة النحل، دعوة لافتة إلى العدل المطلق، حيث يأمر الله تعالى بتحقيق العدل في قوله تعالى: ﴿﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢٣]، من هذه الانطلاقة القرآنية وبما رسمه الإمام لواليه، يتجسد العدل بمفهومه الواسع، وينطلق المسلم المؤمن بهذا النداء الآمر ليحققه في ربوع الحياة، ويقيمه بين الناس على نفسه.

---

[١٩] الشعراء، الآية ١٠٩، ١١٠، ١٢٦، ١٣١، ١٤٤، ١٥٠، ١٦٣، ١٧٩، آل عمرآن، الآية ٥٠

[٢٠] النساء، الآية ١٣١.

[٢١] آل عمران، الآية ٣٢.

[٢٢] المائدة، الآية ٩٢.

[٢٣] النحل، الآية ٩٠.

من عهد الإمام ناصر بن مرشد إلى الوالي أبا الحسن علي بن أحمد بن عثمان النزوي واليًا على لوى: (...فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأوصيك ونفسي وجميع المسلمين بتقوى الله، واللزوم على طاعته ....)[٢٤]

في هذا المقطع من عهد الإمام إلى واليه على (لوى)، يوصي الوالي ثم نفسه ثم جميع المسلمين بتقوى الله سبحانه وتعالى، حيث جاءت هذه الوصية قبل أوامره ونواهيه لتكون حافزًا له على امتثال ما يؤمر به ودافعًا للانتهاء عنها، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢٥]، أي: يا أيها الناس صدّقوا الله ورسوله واعملوا بشرعه، خافوا الله، وتَقَرَّبوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وجاهدوا في سبيله؛ كي تفوزوا بجناته.

ولم يكتف القرآن أمر المؤمنين بمجرّد التقوى، بل قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٢٦]، فقد حثهم على بذل الجهد، في تقواه عزّ وجلّ، وفي حدود حق الطاعة والإيمان به، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢٧]، وليست هذه الآيةُ ناسخةً للآية الأخرى، بل مبينةً لها: أنّ تقوى الله حق تقاته إنّما تُطْلَبُ في إطار المقدور للمكلّف، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وقد حث الإمام واليه على لزوم طاعة الله سبحانه وتعالى، حيث استقى ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التي حثت وأمرت بطاعة الله سبحانه وتعالى نذكر بعض منها، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[٢٨]، أي: يخاطب الله الناس بقوله: أطيعوا الله باتباع كتابه، وأطيعوا الرسول باتباع سنته في حياته وبعد مماته، فإن هم أعرضوا عنك، وأصّروا على ما هم عليه مِن كفر وضلال، فليسوا أهلًا لمحبة الله؛ فإن الله لا يحب الكافرين.

---

[٢٤] السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، ص٢٦.

[٢٥] المائدة، الآية ٣٥.

[٢٦] آل عمران، الآية ١٠٢.

[٢٧] التغابن، الآية ١٦.

[٢٨] آل عمران، الآية ٣٢.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢٩]، أي: وأطيعوا الله- أيها المؤمنون – فيما أمركم به من الطاعات وفيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الأشياء، وأطيعوا الرسول؛ لترحموا، فلا تعذَّبوا.. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾[٣٠]، ولا ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة إذا حكم الله ورسوله فيهم حُكمًا أن يخالفوه، بأن يختاروا غير الذي قضى فيهم. ومن يعص الله ورسوله فقد بَعُدَ عن طريق الصواب بُعْدًا ظاهرًا..

(...وقد جعلت لك إطعام الضيف النازل على قدر ما تراه عدلًا، من آثار المسلمين، ولا تأتمن على ما ائتمنتك عليه من أمانتي التي أنا أمين لله فيها؛ إلا من هو حقيق بذلك في دين المسلمين، وقد جعلت لك حماية البلاد والذب عن الحريم والعباد، وألزمت جميع أهل القرى طاعتك، وحجرت عليهم معصيتك، ما أطعت الله ورسوله فيهم، وقمت بما شرطته عليك في عهدي هذا إليك، .....)[٣١].

وقد بيّن الإمام لواليه في هذا العهد من الأمور التي يجب تذكير الوالي بها أثناء ولايته، التي تعدّ من الأسس الرئيسة للوالي في إدارة البلاد، وهي : إكرام الضيف إكرامًا يليق به وعدلًا في ضيافته، فاستقبال الضيوف واستضافتهم، عمل كريم محبب للمسلم الصادق، ودليل واضح على قوة إيمانه، إن إكرام الضيف من مكارم الأخلاق، وجميل الخصال التي تحلَّى بها الأنبياء، وحثَّ عليها المرسلون واتصف بها الأجواد كرام النفوس، فمَنْ عُرِفَ بالضيافة عُرِف بشرف المنزلة، وعُلُوِّ المكانة، وانقاد له قومُه، فما ساد أحد في الجاهلية ولا في الإسلام، إلا كان من كمال سُؤدده إطعام الطعام، وإكرام الضيَّف، وإكرام الضيف في طلاقة الوجه، وطيب الكلام، وهذه المعاني قد استخرجت من تعاليم النبي الذي حثّنا على إكرام الضيف، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[٣٢]،كما أنّ سرعة الضيافة جزء أصيل من إكرام الضيف، وتأخرها دليل على

---

[٢٩] آل عمران، الآية ١٣٢.

[٣٠]. الأحزاب، الآية ٣٦.

[٣١] السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، ص٢٨.

[٣٢] هود، الآية ٦٩.

الإهمال والتقصير، لذلك وجدنا ابراهيم الخليل مسارعًا في تقديم الضيافة لزائريه حتى قبل التحقق من هويتهم؛ فمن أدب المضيف أن يخفي أمره، وأن يبادر بالقِرى من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يكفه. قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ. فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ﴾[٣٣]،وفي قوله ألا تأكلون؛ حثٌّ للضيف على أن يأكل دون حرج، فلربما امتنع من الشبع مظنة الحياء، فإن وجد طلاقة المضيف استمر حتى يأخذ حاجته

كما بيّن له أهمية تحقيق الأمن والأمان، والاستقرار في البلاد، والذود عنه، وعن مكتسباته، كما إنه بيّن للوالي إلزام جميع أهل القرى الطاعة وعدم معصيته، بشرط طاعة الله والرسول أولًا، ثم تنفيذ أوامر الإمام، وما تعاهدا عليه من شروط.

جاءت نصوص القرآن حافلة بتعظيم شأن الأمْن، وتنوّعت أساليب الدلالة على أهميته في حياة الإنسان، فقد اختصرها الإمام بقوله:(جعلت لك حماية البلاد والذب عن الحريم والعباد)، والتي استمد معانيها من هذه النصوص، ومن **ذلك امتنانه تعالى على المسلمين بنعمة الأمن في البلد الحرام:** ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾[٣٤]؛ أي يأمن به كل أحد، حتّى الوحوش، وحتى الجمادات كالأشجار، وامتنّ على قريش بهذه النِّعمة، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[٣٥]؛ أي يأمن فيه ساكنه من الغارة، والقتل، والسبي، والنهب، فصاروا في سلامة وعافية مما صار فيه غيرهم من العرب، ومن ذلك أمْنُ الطّرقات، والسّير فيها ليلًا من غير خوف حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[٣٦]؛ أي لا تخافون عدوًّا ولا جوعًا ولا عطشًا. وكذلك أمْنُ المعَاش كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[٣٧]، وهذه القرية هي: مكّة المشرفة التي كانت آمنة

---

[٣٣] الذاريات، الآيات ٢٤-٢٧.

[٣٤] البقرة، الآية ١٢٥.

[٣٥] العنكبوت، الآية ٦٧.

[٣٦] سبا، الآية ١٨

[٣٧] النحل، الآية ١١٢

مطمئنة لا يهاج فيها أحد... وكانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسّر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، وتعدّ نعمة الأمن التي هي من أعظم النعم، ولا يتذوق طعم النِّعم الأخرى إلا بها.

ومن المعاني القرآنية التي تأثر بها الإمام في عهده هذا **إلزام الناس طاعة ولي الأمر** وعدم عصيانه، المشروط بطاعة الله ورسوله، وتنفيذ ما أمر به في هذا العهد، كما جاء ذلك في الكتاب العزيز، حيث أمر الله بوجوب طاعة ولي الأمر بعد طاعته وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٣٨]؛ أي بطاعة ذَوِي أمرنا، كان معلومًا أن الذين أمرَ بطاعتهم تعالى؛ ذكرهم من ذوي أمرنا، وهم الأئمة، أو من ولَّاهم المسلمون، دون غيرهم من الناس، وإن كان فرضًا القبول من كل من أَمر بترك معصية الله ودعا إلى طاعة الله، وأنه لا طاعة تجب لأحد فيما أمر ونهى فيما لم تقم حجة وجوبه، إلا للأئمة الذين ألزم الله عباده طاعتهم فيما أمروا به رعيتهم مما هو مصلحةٌ لعامة الرعيّة، فإنّ على من أمروه بذلك طاعتهم، وكذلك في كل ما لم يكن لله معصية فيه.

كتب الإمام ناصر بن مرشد إلى أحد ولاته كتابًا يقول له فيه:"...وعلى أن تجتهد في أهل ولايتك، وإصلاح دينهم، وعمارة مساجدهم، والرأفة بهم، والتجاوز عن مسيئهم، وحسن السياسة لأمورهم، والصبر في نفسك على أذاهم ما وسعك من ذلك، وإياك – أبا سعيد– والعجلة في أمورك، وكن حذرًا وقورًا صابرًا شاكرًا على العطاء ...."[٣٩].

في هذه الرسالة يحث الأمام ناصر بن مرشد أحد ولاته إلى الرفق بالرعية، والعمل على إصلاح أمور دينهم، وعمارة مساجدهم، فالله عز وجل أمر ببناء المساجد، ورفعها بالذكر، وأمر بعمارتها وتطهيرها من الدنس واللّغو، والأفعال والأقوال التي لا تليق إلا بها.

---

[٣٨] النساء، الآية ٥٩

[٣٩] السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، ص٣٠.

واستدل على كلامه بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[٤٠].

وأرشد الإمام أحد ولاته إلى الرأفة بالرعية، والتجاوز عن المسيء، وإقالة عثرته؛ حتى يعود إلى جادة الصواب، ويندمج في المجتمع من جديد، والراحمون يرحمهم الرحمن.

ودعاه إلى حسن السياسة، وحسن إدارة شؤون الرعيَّة، ويتطلب ذلك التحلّي بالحلم والصفح والأناة والوقار واليقظة والشكر لأهل الفضل، والصبر الجميل، وغير ذلك من الصفات الحميدة التي ينبغي أن يتحلّى بها من ابتلي بخدمة الناس، ورعاية شؤونهم [٤١].

فالهدف من هذه الرسالة هي إعزاز دين الله، وإعلاء كلمته، وإحياء سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولا يتأتى ذلك إلا بالتقوي، والخشية من الله، وينبغي على الوالي أن يتحلى بذلك كله، كما ينبغي عليه أن يصبر أمام الأنواء والتحديات والمغرضين، وقد استشهد له بآية من القرآن الكريم، وهذا دليل تعلّقه بكتاب ربه، واحتكامه إليه.

فقد استقى الإمام في المقطع السابق الكثير من المعاني القرآنية، ومن بينها على سبيل الأمثلة لا الحصر: الاجتهاد في أهل الولاية، وإصلاح الدين في الرعية، الرأفة بهم، والتجاوز عن المسيء منهم، والصبر في النفس على أذاهم، والشكر على العطاء.

حيث استقى معنى قوله:(**الاجتهاد في أهل الولاية**) من قوله تعالى﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٤٢]، بمعنى : إن الله يأمركم أن توصلوا كل ما ائتمنتم عليه إلى أصحابه، ويأمركم إذا قضيتم بين الناس أن تقسطوا ولا تميلوا وتجوروا في الحكم، إن الله نعمّا يذكركم به ويرشدكم إليه في كل أحوالكم، إن الله كان سميعًا لأقوالكم، بصيرًا بأفعالكم. وهذا مما يتطابق مع المعنى الذي أراد الشاعر أن يوصله من خلال رسالته.

كما استقى من القرآن الكريم معنى قوله: (**إصلاح الدين**) من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ

---

[٤٠] التوبة، الآية ١٨.

[٤١] خير النّاس، **أئمة اليعاربة حياة من أجل الدعوة**، ص٥٠.

[٤٢] النساء، الآية ٥٨.

رَّحِيمٌ﴾[٤٣]، بمعنى إن ربك للذين فعلوا المعاصي في حال جهلهم لعاقبتها وإيجابها لسخط الله – فكل عاص لله مخطئًا أو متعمدًا فهو جاهل بهذا الاعتبار؛ وإن كان عالمًا بالتحريم–، ثم رجعوا إلى الله عمَّا كانوا عليه من الذنوب، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم، إن ربك – مِن بعد توبتهم وإصلاحهم– لَغفور لهم، رحيم بهم.

وقد استقى الإمام قوله:(**الرأفة بهم)** من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾[٤٤]، فهذه الآية من الآيات القرآنية العديدة التي تحث على الرأفة بالرعية، وتعني: ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قَتْلها إلا بالحق الشرعي؛ كالقصاص أو رجم الزاني المحصن أو قتل المرتد. ومن قُتِل بغير حق شرعي فقد جعلنا لولي أمره مِن وارث أو حاكم حجة في طلب قَتْل قاتله أو الدّية، ولا يصح لولي أمر المقتول أن يجاوز حدَّ الله في القصاص؛ كأن يقتل بالواحد اثنين أو جماعة، أو يُمَثِّل بالقاتل، إن الله معينٌ وليَّ المقتول على القاتل حتى يتمكن مِن قَتْله قصاصًا.

ومن المعاني القرآنية التي استقاها الإمام في هذا المقطع (**التجاوز عن المسيء)**، فقد استقاه من قوله تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعدَ ظُلمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾[٤٥]، وجزاء سيئة المسيء عقوبته بسيئة مثلها من غير زيادة، فمن عفا عن المسيء، وترك عقابه، وأصلح الودَّ بينه وبين المعفو عنه ابتغاء وجه الله، فأَجْرُ عفوه ذلك على الله. إن الله لا يحب الظالمين الذين يبدؤون بالعدوان على الناس، ويسيئون إليهم، ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه له فأولئك ما عليهم من مؤاخذة.

كما استقى الإمام معنى قوله: **(حسن السياسة لأمورهم)** من قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٤٦]، وتعني: إن الله تعالى يأمركم بأداء مختلف الأمانات،

---

[٤٣] النحل، الآية ١١٩.

[٤٤] الإسراء، الآية ٣٣.

[٤٥] الشورى، الآية ٤٠-٤١.

[٤٦] النساء، الآية ٥٨.

التي اؤتمنتم عليها إلى أصحابها، فلا تفرطوا فيها، ويأمركم بالقضاء بين الناس بالعدل والقسط، إذا قضيتم بينهم، ونِعْمَ ما يعظكم الله به ويهديكم إليه. إن الله تعالى كان سميعًا لأقوالكم، مُطَّلعًا على سائر أعمالكم، بصيرًا بها.

كما استقى قوله: **(الصبر في النفس على آذاهم)**، من قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٤٧]، بمعنى: أن هؤلاء المتواضعين الخاشعين مِن صفاتهم أنهم إذا ذُكِر الله وحده خافوا عقابه، وحَذِروا مخالفته، وإذا أصابهم بأس وشدة؛ صبروا على ذلك مؤملين الثواب من الله عز وجل، وأدَّوْا الصلاة تامة، وهم مع ذلك ينفقون مما رزقهم الله في الواجب عليهم مِن زكاة ونفقة عيال، ومَن وَجَبَتْ عليهم نفقته، وفي سبيل الله، والنفقات المستحبة.

كما استقى قوله: (الشكر على العطاء) من قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[٤٨]، بمعنى وقال المؤمنون: الحمد لله الذي صدَقنا وعده الذي وعدَنا إياه على ألسنة رسله، وأورثَنا أرض الجنة نَنْزِل منها في أيِّ مكان شئنا، فنِعم ثواب المحسنين الذين اجتهدوا في طاعة ربهم.

يرى الباحث أن المتأمل في كتابات الإمام ناصر، وما تتضمنه من أوامر ونواهٍ، والتي استقى ألفاظها ومعانيها من القرآن الكريم هي بمثابة منهج حياة للإنسان في مختلف جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، يسعى إلى امتثالها وتطبيقها في حياته لكي يسعد في الدارين.

---

[٤٧] الحج، الآية ٣٥.

[٤٨] الزمر، الآية ٧٤.

المبحث الثاني: الإمام سلطان بن سيف اليعربي(ت:١٦٧٩م)[٤٩]

لقد بدا تأثّر الإمام سلطان بن سيف اليعربي بالقرآن الكريم واضحًا في مراسلاته وعهوده، فقد انعكست ثقافته الدينية على كتاباته، فظهر هذا باستخدامه ألفاظ القرآن تارة، وباستخدامه معانيه تارة أخرى، وسيقف الباحث على هذا الأثر من جانبين: جانب اللفظ وجانب المعنى. رسالة الإمام سلطان الأول لأحد عُمَّاله: " بسم الله الرحمن الرحيم: من إمام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك إلى الوالي فلان بن فلان الفلاني، جنَّبه الله الموبقات والمهالك.

أما بعد: يا فلان إني لك من المنذرين وعليك من المحذرين؛ ألا تأخذ شيئًا من مال المسلمين الذي هو قوام كل فقير ومسكين، وبه تدفع قارعة الغاشمين والمعتدين بتدليس شراء هو أقل قيمة وأبخس ثمنًا من قيمته المعروفة في البلاد وسنته الجارية بين العباد، فإنه وإن خفي علينا وعدم علمه بين يدينا؛ فلن يخفى على من يعلم دبيب الذرة العجماء على الصفاة الملساء في الليلة الظلماء، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وهو المطلع على كل مخفي ومستور، وإن كنت قد قارفت شيئًا من ذلك، وجعلته بذلك السبب الخفي إلى مالك، فاثْنِ إلى ساحة قراره زمام عنسه، واغتنم برد قمره قبل أن ينفحك حرّ شمسه، فما الأمر إن عقلت بهيّن وما قولي لو وعيت بميّن"..[٥٠]

في هذا المقطع؛ خطاب من عهد الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي لأحد عماله، يوجه الإمام إنذاره وتحذيره لواليه من أن يأخذ شيئًا من مال المسلمين، الذي يعدّ لهم قوام الحياة، ويدفع عن الفقراء والمساكين من استغلال الغاشمين والمعتدين لهم، بشراء البضائع منهم بأثمان بخسة وقليلة من قيمتها الأساسية المتعارف عليها بين الناس والعباد، ويذكّره بإحاطة الله سبحانه وتعالى على ما خفي وستر عليه، ويأمره إن كان وحدث له مثل ذلك وضمه إلى

---

[٤٩] هو ابن عمّ الإمام ناصر بن مرشد، بويع له في اليوم الّذي مات فيه الإمام ناصر بن مرشد سنة ١٠٥٩ هـ، كانت له مكانة كبيرة عند الإمام ناصر بن مرشد، يعتمد عليه في تسيير أمور البلاد، وتدبير شؤون الحكم؛ لأهليّته، وحسن تدبيره، وبعد نظره، وهو عنده بمنزلة الابن، واعتمرت عمان في دولته، واستراحت الرعية، وزهرت البلاد بحسن السيرة، ورخص الأسعار، وصلحت الأثمار، وكان متواضعًا لرعيته، ولم يكن محتجبًا عنهم، وكان يخرج في الطرق بغير عسكر، ويجلس مع الناس، ويحدثهم، ويسلم على الكبير والصغير والحرّ والعبد. توفى الإمام سلطان بن سيف رحمه الله يوم الجمعة وقت الضحى السادس عشر من ذي القعدة ١٠٧٩هـ-١٦٧٩م.

[٥٠] السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، ص٢٧٦.

أمواله بالعودة عن قراره، وإرجاع الأموال إلى أصحابها قبل فوات الأوان وإحلال العقاب، فإنه ليس بهين، وستجد أنّ قولي هذا ليس بالكذب لو تفكرت به ووعيت ما قلته لك.

وفي هذا المقطع استوحي الإمام الكثير من الألفاظ من المعجم القرآني؛ مما يشير إلى التأثر العميق للإمام بهذا الكتاب العزيز، ومن بينها لفظ (**المنذرين**) حيث جاءت في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، وكلها تحمل صيغة اسم الفاعل، حيث تدلّ على الإنذار، ومن قام بهذا الإنذار، ومنه ما جاء في سورة الشعراء، في قوله تعالى: ﴿ علَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[٥١]، وتعني الآية؛ نزل به على قلبك_ أيها الرسول_ لتكون من الرسل الذين ينذرون الناس، ويخوفونهم من عذاب الله، ومنه قوله تعالى:﴿ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾[٥٢]، حيث تشير الآية إلى ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أن يتلو القرآن على الناس، فمن اهتدى بهديه وعمل بما فيه؛ فنفع هدايته لنفسه، ومن ضل وانحرف عما فيه وأنكره، ولم يعمل بما فيه، فقل: إنما أنا من المنذرين، أنذركم من عذاب الله، وليس بيدي هدايتكم، ومنه قوله تعالى:﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٥٣]، يقول سبحانه وتعالى في هذه الآية: وما نرسل من رسلنا؛ إلا لإخبار أهل الإيمان والطاعة بما يسرّهم من النعيم المقيم الذي لا ينفد ولا ينقطع، وتخويف أهل الكفر والعصيان من عذابنا الشديد، فمن آمن بالرسل، وأصلح عمله، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه في آخرتهم، ولا هم يحزنون ويتحسرون على ما فاتهم من الحظوظ الدنيوية.

ومن الألفاظ التي استقاها الإمام من المعجم القرآني لفظ(**القارعة**)حيث جاءت في سورة الرعد بنفس المعنى الذي خاطب به الإمام واليه، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[٥٤]، وتعني لو كان من

---

[٥١] الشعراء، الآية ١٩٤.

[٥٢] النمل، الآية ٩٢.

[٥٣] الأنعام، الآية ٤٨.

[٥٤] الرعد، الآية ٣١.

صفات كتاب من الكتب الإلهية؛ أن تزال به الجبال عن أماكنها، أو تشقق به الأرض فتسيل أنهارًا وعيونًا، أو يُقرأ على الموتى فيصيرون أحياءً، لكان هذا القرآن واضح البرهان، عظيم التأثير؛ لو أنهم كانوا أتقياء القلوب، لكنهم جاحدون. بل لله الأمر كله في إنزال المعجزات وغيرها، أفلم يعلم المؤمنون بالله أنه لو يشاء الله هداية الناس جميعًا دون إنزال آيات لهداهم جميعًا دونها؟ لكنه لم يشأ ذلك، ولا يزال الذين كفروا بالله تصيبهم بما عملوا من الكفر والمعاصي داهية شديدة تقرعهم، أو تنزل تلك الداهية قريبًا من دارهم، حتى يأتي وعد الله بنزول العذاب المتصل، إن الله لا يترك إنجاز ما وعد به إذا جاء وقته المحدّد له.

ومن ألفاظ القرآن الكريم التي تأثر بها الإمام في عهده هذا لفظ (**المعتدين**) حيث ينهى الوالي عن التعدي على الآخرين من غير وجه حق، حيث جاء ذلك النهي بذات اللفظ في قوله تعالى :﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[٥٥]، والاعتداء هو إلحاق الضرر بالآخرين من غير وجه حق، أو هو تجاوز الحد المقرّر في أخذ الحق، وهو نوع من أنواع الظلم.

جاءت في رسالة الإمام سلطان أيضًا لفظة (المنذرين) وهو نوع من الأخبار التي تحمل طابع التخويف حيث جاءت في القرآن الكريم، ويريد بها الله تعالى تخويف المسلمين وتبشيرهم بمجموعة من الأخبار التي تحمل في طيات القرآن، حيث جاء ذلك في قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾[٥٦]، وقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾[٥٧].

ومن هذه الألفاظ المشتقة من القرآن الكريم (**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**)، حيث اشتق الإمام هذه الألفاظ لينبه الوالي ويذكره مراقبة الله سبحانه وتعالى في السر والعلن، حيث إنه لا تخفى عليه خافية، وهذا الاشتقاق لهذه الألفاظ تزيد المعنى قوة وفصاحة، ويكون لها التأثير القوي لدى القاري، حيث اشتقها من قوله تعالى في سورة غافر الآية التاسعة عشرة،

---

[٥٥] المائدة، الآية ٨٧.

[٥٦] يونس، الآية ٧٣

[٥٧] الشعراء، الآية ١٧٣

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾٥٨، إن الله يعلم ما تختلسه أعين الناظرين خفية، ويعلم ما تكتمه الصدور، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

مقطع من رسالة الإمام سلطان لأحد عماله: "هذا وقد بلغني أن شقشقة تهدر بهذيان كان لا يليق بمثالك، ولا يجمل لو دريت بحالك، فلا تكن ممن سيماه سيماء العلماء ونطقه نطق السفهاء، واسمع إلى ما قال ربك المجيد (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) وانظر وقوفك غدًا في موقف يخرس فيه الفصيح ويندم الطير الذي يصيح، فأصغ لك الخير إلى قول الفصيح، واجنح إلى اغتنام المتجر الربيح، وإلا ندمت حين لا تنفعك الندامة، وتهورت حيث لا ترجى لك السلامة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".٥٩

وفي هذه الرسالة التي كتبها وبعثها الإمام سلطان الأول لأحد عُماله، نجده قد اشتق منها مجموعة من الألفاظ التي ذكرت في القرآن الكريم، والتي اشتقها الإمام للاستفادة منها في توصيل الرسالة المرغوبة. فنجد في الرسالة لفظ (**السفهاء**) وهي صفة أطلقها الله تعالى على كل ما يخالف مقتضي العقل أو الشرع فيما لا مصلحة له فيه، حيث جاء في قوله تعالى: ﴿ ۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾٦٠،حيث تشير الآية الكريمة إلى ما سيقوله الجهال خفاف العقول من اليهود، ومن على شاكلتهم من المنافقين: ما صرف المسلمين عن قبلة بيت المقدس التي كانت قبلتهم من قبل؟ قل_ أيها النبي_ مجيبًا إيّاهم: لله وحده ملك المشرق والمغرب وغيرهما من الجهات، يوجه من شاء من عباده إلى أي جهة شاء، وهو سبحانه يهدي من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف.

وباعثه خفة تعتري الإنسان من الفرح والغضب، فتحمله على الإنفاق من غير ملاحظة النفع الدنيوي والديني، كما جاء ذلك في قوله تعالى:﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾٦١، حيث تنهى هذ الآية الكريمة

---

٥٨ غافر، الآية ١٩.

٥٩ السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، ص٢٧٦.

٦٠ البقرة، الآية ١٤٢.

٦١ النساء، الآية ٥.

أولياء الأمور عن إعطاء الأموال للذين لا يحسنون التصرف، فهذه الأموال جعلها الله سببًا تقوم به مصالح العباد، وأمور معاشهم، وهؤلاء ليسوا أهلًا للقيام على الأموال وحفظها، وأنفقوا عليهم واكسوهم منها، وقولوا لهم قولًا طيبًا، وعِدُوهم وعدًا حسنًا، بأن تعطوهم مالهم إذا بلغوا الرشد وحسن التصرف.

رسالة الإمام سلطان الأول إلى عماله وأوليائه

وهذا عهد من الإمام سلطان إلى جميع عماله، كتبه إليهم ليعلموا بما فيه قال: "بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله العزيز، عزّ أن تعوم بحور صفاته جواري الفكر، وأن تروم نظر كواكب تكيفه بصائر أولي البصر، أو أن يشاهده بمخارق العيان والنظر، العالم بدبيب النملة والذر في الليالي المدلهمّات عمّن أبصروا سقوط أوراق الشجر؛ الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا في ظلمات البر والبحر، الجليل قدره عن مشاكلة صفات البشر، أو أن يدرك الأشياء بالسماع والخبر، أو أن تجري عليه أحداث القضاء والقدر، أحمده على ما صبب برياض قلوبنا سلسال العبر، وحسم عنا أوصاب الكدر، وأشكره على ما خوّلنا من يانع نعمه، وقدر وسقانا من عصير كرم كرمه، وقدر وعز وتكبر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدّها جنة ليوم المحشر؛ يوم لا ملجأ لنا من الله ولا وزر، حتى شددت بها عضد الإحسان لمن آمن بالله واستغفر وجلبت بها ربارب البراهين لمن طسم حجج الله وستر، وفصلت بها رفاق الرأفة لمن حمد الله وشكر، وأودعت نار الأشجان الفرق بقلب من أعرض وكفر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، دعا إلى الله وأنذر وقاد الناس إلى الخيرات، وبشر ونصب أنموذج الهداية لمن خاف الله من ذات نفسه وفكر، وصدر مدافع الذنب عن دين العزيز الأكبر حتى تسلسل سلسال سروره بسراير أسرته، وتهلل سنا نبراسه بضمائر ذويه وعترته، وهدم أركان شرائع شنآنه وعسرته، ودمتم على من مدّ راحته لمحاربة محبيه وخيرته صلى الله تعالى عليه وعلى آله الفقهاء الكرام الأجلاء العظام؛ ما سحبت سحائب ذيول الودق على رؤوس الأكمام، وجرت أنهار تحت صوافح النخل ذات الأكمام".[٦٢]

[٦٢] السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، ص٢٧١.

يتحدّث الإمام سلطان الأول في المقطع السابق عن أهمية الحفاظ على أحوال الرعية، والتركيز من قبل الولاة والعمال على التدقيق في الأمور، واختيار قراراتهم وأهدافهم وفقًا للرعية وإصلاح شؤونهم.

ومن هذه الألفاظ التي اشتقت من القرآن الكريم ووظفها الإمام في رسالته لتخدم المعنى وتقويه (**أولي البصر، مثقال ذرة، ظلمات البر، وملجأ**) وهي جميعها ألفاظ جاءت في مواضع مختلفة من آيات القرآن الكريم، وتحمل دلالات مختلفة.

فمن تلك المواضع لفظة "**أولي البصر**" حيث وردت في القرآن الكريم في مواضع مختلفة بدلالات متعددة، والذي جاء في سياق الدلالة القريبة من الدلالة التي استعمالها الإمام في عهده هذا، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[٦٣]، حيث تشير الآية الكريمة أنه قد كان لكم دلالة وعبرة في فرقتين التقتا للقتال، إحداهما فرقة مؤمنة تقاتل في سبيل الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، والأخرى فرقة كافرة؛ وهم كفار مكة الذين خرجوا فخرًا ورياء وعصبية، فنصر الله أولياءه، والله يؤيد بنصره من يشاء، إن في ذلك لعبرة وعظة لأصحاب البصائر، ليعلموا أن النصر لأهل الإيمان، وإن قل عددهم وأن الهزيمة لأهل الباطل وإن كثر عددهم.

ومن ذلك لفظ" **مثقال ذرة**" حيث قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٦٤]،وهنا يُبيّن الله عز وجل أن من يعمل خير ولو بوزن ذرّة فإنّه سيلقى الأجر والثواب في الآخرة، ويُقابله من يعمل وزن ذرة من الشر فسينال الجزاء والعقاب، وفي ذلك حث للناس لعمل الخير وطاعة الله تعالى، والبعد عن حدوده ومعصيته.

وقد جاء لفظ" **ظلمات البر**" من التنزيل الحكم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[٦٥]، وتعني

---

[٦٣] آل عمران، الآية ١٣.

[٦٤] الزلزلة، الآية ٧– ٨.

[٦٥] الأنعام، الآية ٦٣.

هذه الآية: قل لهؤلاء المشركين: من ينقذكم ويسلمكم من المهالك التي تلقونها في ظلمات البر والبحر؟ تدعونه وحده متذللين مستكينين في السر والعلن، لئن سلَّمنا ربنا من هذه المهالك لنكونن من الشاكرين لنعمه علينا بألّا نعبد غيره.

وورد لفظ" **ملجأ**" في قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[٦٦]، وتعني: لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ من حصن يحفظون فيه أنفسهم، أو يجدون كهوفًا في الجبال يختبئون فيها، أو يجدون نفقًا يدخلون فيه، لالتجؤوا إليه، ودخلوا فيه مسرعين.

وقد يستعير الأديب المعنى القرآني، فهو يقصده كما ورد، أو كما يريد، لدعم معنى يريده، فليس بالضرورة أن يأتي بالمعنى القرآني بإرادة في التفسير، فقد يستعير المعنى لرسالة ما، وقد يستعير المعنى بجزء من هيئته اللفظية القرآنية، وقد يريد المعنى دون الاستعانة ببعض ما جاء من قرينة لفظية معه، وقد استعار الإمام معاني عدّة من القرآن الكريم، منها على سبيل المثال لا الحصر: إن الإمام سلطان بن سيف بعث برسالة إلى الولاة والحكام على القرى والبلدان والمنازل والأوطان؛ يحثهم فيها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال فيها: "..... أن تأمروا من في هذه القري والبلدان، حضرهم وبدوهم، وعبدهم وحرهم، وصغيرهم وكبيرهم، وقويهم وضعيفهم؛ بالمعروف والإحسان، وتنهوا عن المناكر"[٦٧].

(**فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**) وسيلتان من وسائل الدعوة إلى الله تعالى تعملان من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية، إذ بهما تُجلب المصالح وتُدفع المضار.

فنجد أن الإمام سلطان استمد معاني رسالته هذه من القرآن الكريم، حيث يأمرهم بما أمر به الله تعالى من الإحسان بالمعروف والنهي عن المنكر، واحترام الكبير والصغير، والتواضع وعدم الكبر، والعمل على إصلاح ومصالح الرعية. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهمّ الفرائض الإسلامية، التي تهدف إلى إصلاح المجتمع الإنساني والحفاظ على الشريعة الإسلامية من التمزيق والتبديل، فالنهي عن المنكر يُحصّن الفرد والمجتمع والأُمّة من الانحرافات السلوكية والروحية، والأمر

---

[٦٦] التوبة، الآية ٥٧.

[٦٧] السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، ج٢، ص٤٩.

بالمعروف يُكسب الفرد والمجتمع والأُمّة الفضائل السلوكية والروحية. وهو ضمانة بقاء تعاليم الدِّين وقيمه حيّة، فبه انتشر الدِّين الإسلامي في أصقاع الأرض، وبه أُقيمت أركان الدِّين وفروعه. وهذا ما يؤكِّده كثير من الآيات القرآنية التي حث عليها سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٦٨]، أي: ولتكن منكم-أيها المؤمنون- جماعة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وأولئك هم الفائزون بجنات النعيم.وقوله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٦٩]، أنتم - يا أمة محمد - خير الأمم وأنفع الناس للناس، تأمرون بالمعروف، وهو ما عُرف حسنه شرعًا وعقلًا، وتنهون عن المنكر، وهو ما عُرف قبحه شرعًا وعقلًا، وتصدقون بالله تصديقًا جازمًا يؤيده العمل. ولو آمن أهل الكتاب من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند الله كما آمنتم، لكان خيرًا لهم في الدنيا والآخرة، منهم المؤمنون المصدقون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، العاملون بها وهم قليل، وأكثرهم الخارجون عن دين الله وطاعته.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٧٠]، أي؛ أن المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله بعضهم أنصار بعض، يأمرون الناس بالإيمان والعمل الصالح، وينهونهم عن الكفر والمعاصي، ويؤدّون الصلاة، ويعطون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، وينتهون عما نُهوا عنه، أولئك سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تشريعاته وأحكامه.

رسالة الإمام سلطان الأول إلى ملك صنعاء اليمن

---

[٦٨] آل عمران، الآية ١٠٤.

[٦٩] آل عمرآن، الآية ١١٠.

[٧٠] التوبة، الآية ٧١.

"بسم الله الرحمن الرحيم: من إمام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك رأس العرب اليعربي العماني إلى عالي ذروة الجناب المعظم الهمام المكرم؛ إسماعيل بن القاسم القرشي العربي.

أما بعد: فإنا نحمد الله على آلائه وجميل صنعه وبلائه، ونسترشده إلى سلوك سبيل رضاه، ونستزيده من خزائن مواهبه وعطاه؛ إنه بيده مفاتيح كل خير وكفاية كل بؤس وضير، وإن سألت أيها المحب عنا ورمت كيفية الحال منا؛ فإنا نحمد الله في حال يسرّ به الودود، ويساء به الحسود.

ثم لتعلم أيها الملك إنه قد وصل إلينا في مدة أيام قد تصرمت وشهور قد تخرمت رجل من جنابكم؛ يزعم أنكم أرسلتم بيده طروساً بها درر من رائق لفظكم وخطابكم؛ غير أنه يقول إن المركب الذي أقبل فيه عابه الانكسار فغرق في اليم، فأدرك الطروس المسطرة حكم التلف، ثم بيد أنه قد أفاه إلينا من نتائج لسانه، واتضح لنا من واضح نطقه وبيانه أنكم علينا عاتبون ومنا واجدون؛ لأجل قطع خدامنا في العام الماضي مراكب رقاب المشركين على بابكم، وأخذهم لسفنهم الواردة لجنابكم، ولعمري إنا لندري أن العتاب بين الأخلاء عنوان المودة الخالصة والصفاء، وزائد محض المودة الصادقة والوفاء؛ غير أنه يجب عند اقتراف الجرائم وانتهاك المحارم، فإنا نحن لم نقصد إلى انتهاك ذلك سبيلًا، ولا نجد لك على إلزام فعل ذلك دليلًا، إذ كنا لم نجهز مراكبنا ونتخذ مخالبنا ليسارة رعيتك، ولا استباحة دم أهل حكمك وقضيتك، ولكن جهزنا الجيوش والعساكر، وأعددنا اللهاذمش والبواتر لتدمير عبدة الأوثان وأعداء الملك الديان؛ تعرضًا منا لرضاء رب العالمين، وإحياء لسنة نبيه الأمين، ورغبة في إدراك أجر الصابرين المجاهدين، وحاشى لمثلك أن يغضب لقتال عبدة الأصنام وأعداء الله والإسلام، ألست من سلالة علي بن أبي طالب الساقي للمشركين وبالمشارب، وأنت تدري بما جرى بيننا وإياهم من قبل في سواحل عمان وفي سائر الأماكن والبلدان من سفك الدماء وكثرة الصيام، وتناهب الأملاك والأموال، وإنا لنأخذهم في كل موضع تحل به مراكبهم وتغشاه حتى من كنج وجيرون بندرى الشاه، ولم يظهر لنا من أجل ذلك عقاب ولا نكير، وإن كنت في شك من ذلك فاسأل به خبيرًا، أولا نذكرك أيها الملك، والذكرى تنفع المؤمنين، وإنا لك من المنذرين وعليك من المحذرين.

إنا لما ملكنا تلك الأيام بلدة ظفار، وهي عنا نازحة في الفيافي والقفار لم نر في ملكها صلاحًا لشيء أوجبه منا النظر، وحاكته الأذهان والفكر، فتركناها لا من خوف قوة قاهرة، ولا كلمة علينا ظاهرة، ولا يد غالبة ولا كف سالبة، وحين ما خرج عنها عاملنا خلف بها شيئًا من مدافع المسلمين لغفلة جرت عن حملها في ذلك الحين، ولما ملكتم أنتم زمام عيسها واجتلبتم ضوء بدرها وشمسها لم تدفعوا لنا تلك المدافع، كأن لم يكن وراءها ذائد ولا دافع.

فاعلم أيها الملك أن البعل غيور والليث هصور، والحرّ على غير الإهانة صبور، ومن أنذر فقد أعذر، وما غدر من حذّر، على أنّا في اصطلاح ذات بيننا وبينكم راغبون طالبون، وفي استبقاء صحبتك راغبون، ولإطفاء الفتن وإخماد المحن بيننا وإياك مؤثرون، فإن كنت راغبًا في الذي فيه رغبنا، وطالبًا لما له طلبنا، فادفع لنا إيّاها، ولا تحتسِ بسرعة الاعتداء حُمَيَّاها، وإن أبيت إلى الميل إلى اغتنامها والجزم على خبط ظلامها، ففي الاستعانة بالله على من اعتدى وسعة، ومن كان مع الله كان الله معه، وحسبنا الله ونعم الوكيل والسلام عليك ورحمة الله وبركاته"[٧١].

لا يمكننا دراسة الأدب وعلومه ولغته بعيدًا عن القرآن الكريم وآدابه؛ فهو أصل اللغة، وتاج هذه العلوم وآدابها. حيث يتحدّث الإمام سلطان الأول في المقطع السابق عن (**حق الجهاد**) وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى، فقد استنبط الإمام وجوب الجهاد في سبيل الله من قوله تعالى: ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٧٢]، وتعني سيروا- أيها المؤمنون- للجهاد في سبيل الله، في اليسر والعسر، شبابًا وشيوخًا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، فإن ذلك الخروج والجهاد بالأموال والأنفس، هو أكثر نفعًا في الحياة الدنيا والآخرة من القعود والتعلق بسلامة الأموال والأنفس، إن كنتم تعلمون ذلك فاحرصوا عليه.

للجهاد في سبيل الله أهمية كبيرة، هناك سبعون آية تتحدث عن الجهاد في سبيل الله في القرآن الكريم، بثلاث ألفاظ مختلفة، وهي؛ اللفظ الأول: (الجهاد) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿

---

[71] http://alyarobi.blogspot.com/2011/04/blog-post_2629.html.

[٧٢] التوبة، الآية ٤١.

فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[٧٣]، أي: ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا، يدعوهم إلى الله عز وجل، وينذرهم عذابه، ولكنا جعلناك- أيها الرسول - مبعوثًا إلى جميع أهل الأرض، وأمرناك أن تبلغهم هذا القرآن، فلا تطع الكافرين في ترك شيء مما أرسلتَ به، بل ابذل جهدك في تبليغ الرسالة، وجاهد الكافرين بهذا القرآن جهادًا كبيرًا، لا يخالطه فتور.

واللفظ الثاني؛ (القتال) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٧٤].كان المسلمون في أول أمرهم ممنوعين من قتال الكفار، مأمورين بالصبر على أذاهم، فلما بلغ أذى المشركين مداه، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من "مكة" مهاجرًا إلى "المدينة"، وأصبح للإسلام قوة؛ أَذِنَ الله للمسلمين في القتال؛ بسبب ما وقع عليهم من الظلم والعدوان، وإن الله تعالى قادر على نصرهم وإذلال عدوّهم.

اللفظ الثالث: (النفير) ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾[٧٥]، يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم بالاستعداد لعدوكم، فاخرجوا لملاقاته جماعة بعد جماعة أو مجتمعين.

ومن ذلك نجد أن رسالة الإمام سلطان الأول، تتضمن مجموعة من معاني القرآن الكريم ومنها: **(الاسترشاد بسلوك ونهج الصالحين)** لإرضاء الله تعالى، حيث قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٧٦]، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

وقال سبحانه في وصفهم أيضًا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[٧٧]، ولقد آتينا موسى وهارون حجة ونصرًا على عدوهما، وكتابًا - وهو التوراة - فَرَّقْنا به بين الحق والباطل، ونورًا يهتدي به المتقون الذين يخافون عقاب ربهم، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة خائفون وجلون.

---

[٧٣] الفرقان، الآية ٥٢.

[٧٤] الحج، الآية ٣٩.

[٧٥] النساء، الآية ٧١.

[٧٦] يونس، الآية ٦٢.

[٧٧] الأنبياء، الآية ٤٨-٤٩.

ممّا يؤكّد أنّ خطّ التقوى واحدٌ متّصلٌ موصولٌ في عهود جميع الأنبياء، وأنّ صفاتهم مشتركة، ومن تلك الصِّفات قول الحقّ عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[٧٨]، إنّ أولياء الله الصالحين قلوبهم معلّقة بالله –عز وجل–، وخير أيامهم يوم يلقونه وهو راضٍ عنهم، بعد أن رضوا بقضائه وقدره في الدنيا، فلا يبالون بالذم والمدح والفقر والغنى، وتعاملوا مع نعم الله –عز وجل– على أنها وسيلة تعينهم على الطاعة والعبادة، لا تشغلهم عنها.

ومن المعاني القرآنية التي تضمنتها رسالة الإمام سلطان الأول الفنية (**مفاتيح الغيب في يد الله تعالى**)، حيث قال سبحاته وتعالى:﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[٧٩]، وتعني إن الله وحده عنده خزائن الغيب، لا يعلمها غيره، ويعلم كل ما في البرّ من مخلوقات من حيوان أو نبات أو جماد، وما تسقط من ورقة في أي مكان، ولا توجد حبة مخبوءة في الأرض، ولا يوجد رطب ولا يابس، إلا كان مثبتًا في كتاب واضح؛ هو اللوح المحفوظ.

وهي خمسة مفاتيح قد ذكرت في سورة لقمان في قوله سبحانه:﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٨٠]، أي: إن الله– وحده لا غيره– يعلم متى تقوم الساعة؟ وهو الذي ينزل المطر من السحاب، لا يقدر على ذلك أحد غيره، ويعلم ما في أرحام الإناث، ويعلم ما تكسبه كل نفس في غدها، وما تعلم نفس بأيّ أرض تموت. بل الله تعالى هو المختص بعلم ذلك جميعه. إن الله عليم خبير محيط بالظواهر والبواطن، ولا يخفى عليه شيء منها.

---

[٧٨] الذاريات، الآية ١٥–١٩.

[٧٩] الأنعام، الآية ٥٩.

[٨٠] لقمان، الآية ٣٤.

يرى الباحث أن هذه المعاني كلها مستنبطة ومستوحاة من آيات القرآن الكريم، وهذا يدل على مدى إيمان الإمام سلطان الأول وتمسكه بالدين، وتقواه وورعه.

المبحث الثالث: الشيخ سعيد بن أحمد الخراسيني[٨١]

لقد بدا تأثّر الشيخ سعيد بن أحمد الخراسيني بالقرآن الكريم واضحًا في أشعاره، فقد انعكست ثقافته الدينية على شعره، فظهر هذا باستخدامه ألفاظ القرآن تارة، وباستخدامه معانيه تارة أخرى، وسيقف الباحث في هذا الموضع من رسالته على هذا الأثر من جهتين: جهة اللفظ، وجهة المعنى.

يروي السالمي في تحفة الأعيان، نصيحة موجهة من الشيخ سعيد بن أحمد بن محمد الخراسيني إلى الإمام ناصر بن مرشد أو سلطان بن سيف (لم يعرف الناقل لأيهما) قال رحمة الله:

" بسم الله الرحمن الرحيم" الذي أيد هذه الأمة برحمته ونصره، ومنَّ عليها بمن ارتضاه من أبناء دهره وعصره، وملّكه الشطر من ملكه وقهره، وأطاع لهم من خلقه بما يقوى به على نهيه وأمره.....أما بعد، إمام المسلمين: إنا وإياك ركاب سفينة تجري بنا في بحر لجي عميق، تلعب بها الرياح فنضطرب بها مرة وتسكن أخرى، فاعتصم بالله وتوكل عليه، واسأله السلامة لك ومن معك فيها بدعاء وتضرع وخوف ووجل، ونية صادقة خالصة من دنس المعاتب، ودرن الذنوب، فإنا وإياك ناجون بها أو غرقي بمن فيها، فإنا في أمر عظيم على خطر عظيم، ولكنها قلوب غافلة وأفئدة موعاة غير واعية، وإنا وإياك عما قليل أموات، لأننا أبناء أموات.....

فإذا وردت لك هدية رحمك الله من نصائح أحد من إخوان؛ فاعرضها على عقلك، فإنه حكم عدل، فإن قبل ذلك من الناصح مع موافقة آثار المسلمين؛ فاقبله فإنه من الله على لسان أخيك، واقبل الحكمة ممن جاءك بها من الناس، فإن الحكمة ضالة المؤمن، أخذها حيث

---

[٨١] الشيخ العالم الفقيه سعيد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن قاسم الخراسيني النزوي؛ من علماء القرن الحادي عشر، كان إلى أيام الإمام ناصر بن مرشد، والإمام سلطان بن سيف، ومن في عصرهما، له سيرة في ذكر علماء عمان، كما أن له سيرة موجهه لأحد الإمامين ناصر بن مرشد أو سلطان بن سيف بهدف النصح، هذا بالإضافة إلى رسالته التي وجهها لمشايخ القوم من أهل القبلة، احتوت على مسائل في العقيدة، ورأيه في تلك المسائل.

وجدها من حبيب أو بغيض، من عالم أو ضعيف، فإنك أصبحت في أمر عظيم على خطر عظيم".[٨٢]

وهذا كتاب من الشيخ الخراسيني لأحد الإمامين ناصر بن مرشد أو سلطان بن سيف الأول، ينصحه فيه ويذكر له معالم الحكم والتعامل مع الرعية، وأهمية النصيحة والكلمة الطيبة واتخاذ الحزم، مازجًا بين النصح والموعظة والتذكر والثناء، ومما ورد من مضامين ومعالم هذه الرسالة يمكن تلخيصها فيما يلي:

ضرورة قبول النصيحة، وصفات الناصحين المخلصين، وكيفية التعامل مع النصيحة بعرضها على العقل ثم الشرع وآثار المسلمين، وقبول الحكمة بغض النظر عن قائلها، وألّا يهمل العيون، وعدم إهمال الناس بضرورة إنزالهم منازلهم، وكيفية التعامل مع السفلة ومن يستغني عنه من عماله، وعليه بالصبر واحتمال الأذى من الرعية، وضرورة أن يكون الإمام أكثر الناس طاعة وشكرًا لله، وأن يطلب راحة الرعية، والتذكير بالحساب بين يدي الله.

أثّر القرآن الكريم في نثر الشيخ سعيد بن أحمد الخراسيني تأثيراً كبيراً، من جهة ألفاظه ومعانيه وأساليبه وموضوعاته وأغراضه، فقد بدا تأثره بالقرآن الكريم واضحًا في كتاباته، ولعلّ أبرز مظاهر هذا التأثر يبدو واضحًا في اقتباس الشيخ الخراسيني من القرآن الكريم تعابير قرآنية، ومعاني تساعده في وصول رسالته، فالقرآن الكريم قام بنقل النثر من الجمل المسجوعة المفككة إلى جمل متناسقة متطابقة، مختارة الألفاظ، رائعة التصوير، منطقية العرض، تنفذ إلى العقل والقلب.

فنجد واضحًا في رسالة الشيخ سعيد بن أحمد الخراسيني بعض الألفاظ الصريحة التي ساقها منها:

(رحمة، ونصره، أوامره، ونهيه، بحر لجي، توكل عليه، الذنوب، أمر عظيم، ظلمًا وزورًا، قهره) فهي مجموعة من الألفاظ التي تم اقتباسها من القرآن الكريم.

وتأتي **(الرحمة)** صفة من صفات الله تعالى، تثبت له كما يليق بجلاله سبحانه، وقد وردت في مواضع مختلفة بدلالات ومعاني متعددة في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ

[٨٢] السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، ج٢، ص٥٨.

مَوْئِلًا﴾.[٨٣]، وهنا أخبر تعالى عن سعة مغفرته ورحمته، وأنه يغفر الذنوب، ويتوب على من يتوب، فيتغمده برحمته، ويشمله بإحسانه، وأنه لو آخذ العباد على ما قدّمت أيديهم من الذنوب، لعجَّل لهم العذاب، ولكنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة، بل يمهل ولا يهمل، والذنوب لا بد من وقوع آثارها، وإن تأخرت عنها مدة طويلة، ولهذا قال: بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا أي: لهم موعد، يجازون فيه بأعمالهم، لا بد لهم منه، ولا مندوحة لهم عنه، ولا ملجأ، ولا محيد عنه، وهذه سنته في الأولين والآخرين، أن لا يعاجلهم بالعقاب، بل يستدعيهم إلى التوبة والإنابة، فإن تابوا وأنابوا، غفر لهم ورحمهم، وأزال عنهم العقاب، وإلا؛ فإن استمروا على ظلمهم وعنادهم، وجاء الوقت الذي جعله موعدًا لهم، أنزل بهم بأسه.

وتأتي (**الرحمة**) أيضًا بمعنى الجنة، ونمثل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[٨٤]، هذه الأعمال الثلاثة، هي عنوان السعادة وقطب رحى العبودية، وبها يعرف ما مع الإنسان، من الربح والخسران، الإيمان، والهجرة في سبيل الله، والجهاد، فمن قام بهذه الأعمال الثلاثة على لأوائها ومشقتها كان لغيرها أشد قيامًا به وتكميلًا. وفي قوله: "أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ" إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها، ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه. ولهذا قال: وَاللَّهُ غَفُورٌ – أي :لمن تاب توبة نصوحًا، رَحِيمٌ وسعت رحمته كل شيء، وعمَّ جوده وإحسانه كل حي.

تأتي (**الرحمة**) بمعني أيضًا النبوّة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٨٥]، وعد الكافرين بالعذاب المؤلم الموجع، وأخبر عن عداوة اليهود والمشركين للمؤمنين، أنهم ما يودون أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ – أي :لا قليلًا ولا كثيرًا مِنْ رَبِّكُمْ؛ حسدًا منهم، وبغضًا لكم أن يختصكم بفضله، فإنه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، ومن فضله عليكم إنزال الكتاب

---

[٨٣] الكهف، الآية ٥٨.

[٨٤] البقرة، الآية ٢١٨.

[٨٥] البقرة، الآية ١٠٥.

على رسولكم، ليزكّيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، فله الحمد والمنّة.

تأتي (الرحمة) بمعنى القرآن الكريم، ومن ذلك ما ورد في الآية: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٨٦]، حيث أمر تعالى بالفرح بذلك فقال: قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ والقرآن، الذي هو أعظم نعمة ومنة، وفضلٌ تفضل الله به على عباده، وَبِرَحْمَتِهِ الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته؛ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ من متاع الدنيا ولذّاتها، فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها، وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب، وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته، لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما.

وتأتي (**الرحمة**) بمعنى الرزق والنعمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾[٨٧]، قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي التي لا تنفد ولا تبيد؛ إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ أي: خشية أن ينفد ما تنفقون منه، مع أنه من المحال أن تنفد خزائن الله، ولكن الإنسان مطبوع على الشح والبخل.

وتأتي (الرحمة) أيضًا بمعنى المغفرة والعفو، وذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٨٨]؛ أي: وإذا جاءك المؤمنون، فحَيِّهم ورحِّب بهم ولَقِّهم منك تحية وسلامًا، وبشّرهم بما ينشط عزائمهم وهممهم، من رحمة الله، وسَعة جوده وإحسانه، وحثّهم على كل سبب وطريق يوصل لذلك.

ورَهِّبْهم من الإقامة على الذنوب، ومُرْهُم بالتوبة من المعاصي، لينالوا مغفرة ربهم وجوده، ولهذا قال: كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ أي: فلا بد مع ترك الذنوب والإقلاع، والندم عليها، من إصلاح العمل، وأداء ما

---

[٨٦] يونس، الآية ٥٨.

[٨٧] الإسراء الآية ١٠٠.

[٨٨] الأنعام، الآية ٥٤.

أوجب الله، وإصلاح ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة. فإذا وجد ذلك كله فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ أي: صب عليهم من مغفرته ورحمته، بحسب ما قاموا به، مما أمرهم به.

بينما الشيخ الخراسيني لم يقيد معنى ودلالة لفظ الرحمة في رسالته ووصيته هذه بمعنى ودلالة واحدة، بل جعل معناها الواسع كما وردت في الكتاب العزيز.

فقد ورد لفظ(**نصره**) في الكتاب العزيز في مواضع كثيرة، من بينها قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٨٩]، وتعني واذكروا يا معشر المهاجرين إذ أنتم قليلوا العدد، مستضعفون في أرض مكة ، في ابتداء الإسلام ، يذهب بكم الناس إلى المدينة ، وقواكم يوم بدر بالأنصار والملائكة، ورزقكم من الغنائم، أحلّها لكم ولم يحلها لأحد قبلكم، لعلكم تشكرون.

كما استمد الشيخ الخراسيني لفظ " **أمره ونهيه** " بما تحمله من دلالة، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٩٠]، وتعني إن الله يأمر عباده بالعدل؛ بأن يؤدي العبد حقوق الله وحقوق العباد، وألا يفضل أحدًا على أحد في الحكم إلا بحق يوجب ذلك التفضيل، ويأمر بالإحسان؛ بأن يتفضل العبد بما لا يلزمه كالإنفاق تطوعًا، والعفو عن الظالم، ويأمر بإعطاء الأقرباء ما يحتاجون إليه، وينهى عن كل ما قبح قولًا؛ كفحش القول، أو فعلًا كالزّنى، وينهى عما ينكره الشرع، وهو كل المعاصي، وينهى عن الظلم والتكبر على الناس، يعظكم الله بما أمركم به، ونهاكم عنه في هذه الآية؛ رجاء أن تعتبروا بما وعظكم به.

كما جاء لفظ" **بحر لجّي**" للدلالة على ما قد يصادفه الإمام من اضطرابات وعواصف في مختلف المجالات؛ سواء اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، وسواء أكانت داخلية أو خارجية في قوله تعالى: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)[٩١].

---

[٨٩] الأنفال، الآية ٢٦

[٩٠] النحل، الآية ٦٠.

[٩١] النور، الآية: ٤٠.

وتعني الآية الكريمة: أو أعمالهم مثل ظلمات في بحر عميق، يعلوه موج من فوق ذلك الموج موج آخر، من فوقه سحاب يستر ما يهتدي به من النجوم، ظلمات متراكم بعضها فوق بعض، إذا أخرج من وقع في هذه الظلمات يده لم يكد يبصرها من هول الظلمة الشديدة، وهكذا الكافر، فقد تراكمت عليه ظلمات الجهل والشك والحيرة والطبع على قلبه، ومن لم يرزقه الله الهدى من الضلالة، وعلمًا بكتابه، فما له هدى يهتدي به، ولا كتاب يستنير به.

ولفظ "**التوكل على الله**" الذي جاء في رسالة الخراسيني، ويعني ثقة العبد الكاملة بالله تعالى، وتفويض الأمر إليه، والاعتماد عليه وحده في جلب النفع أو دفع الضر، والذي يعد نوعًا من أنواع التأثر بالقرآن الكريم، حيث ورد في الكتاب العزيز في مواضع كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٩٢].وتعني لله وحده علم ما غاب في السماوات، وما غاب في الأرض، لا يخفى عليه شيء منه، وإليه وحده يرجع الأمر جميعه يوم القيامة، فاعبده وحده، وتوكل عليه في كل أمورك، وليس ربك بغافل عما تعملون، بل هو عليم به، وسيجازي كلًّا بما عمل.

وردت لفظ " **الذنوب**" في القرآن الكريم في العديد من المواضع المختلفة، وفي كل موضع يشير لفظ ذنوب أو ذنب بمعاني مختلفة من موضع لآخر في القرآن الكريم، ويدل ذلك أن لفظ الذنوب يحمل معاني وأنواعًا متعددة، حيث كل لفظ يشير إلى أحجام الذنوب وأنواعها، حيث إن الذنوب تتقسم إلى قسمين؛ وهي الصغائر والكبائر. وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٩٣]. وتعني قل – أيها الرسول- لعبادي الذين تجاوزوا الحد على أنفسهم بالشرك بالله وارتكاب المعاصي: لا تيأسوا من رحمة الله ومن مغفرته لذنوبكم، إن الله يغفر الذنوب كلها لمن تاب إليه، إنه هو الغفور لذنوب التائبين، الرحيم بهم.

ومن الألفاظ التي اقتبسها الخراسيني من الكتاب العزيز لفظ" **ظلمًا وزورًا**" حيث جاء هذا اللفظ بمعنى عدم وضع الشيء في غير موضعه الحقيقي بالكذب والافتراء، وهذا ما أشارت

---

[٩٢] هود، الآية: ١٢٣.

[٩٣] الزمر، الآية: ٥٣.

عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾[٩٤] وتعني : وقال الذين كفروا بالله وبرسوله: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد فنسبه بهتانًا إلى الله، وأعانه على اختلاقه أناس آخرون، فقد افترى هؤلاء الكافرون قولًا باطلًا، فالقرآن كلام الله، لا يمكن أن يأتي البشر ولا الجن بمثله.

ولفظ" **قهره**" هي من أسماء الله الحسنى: القاهر والقهّار: وهو الّذى تجري قدرته وعلوّه وتفوّقه وغلبته على جميع خلقه، وهو حاكم مهيمن نافذ محيط، وليس من غيره من يكون قاهرًا على الإطلاق بلا حدّ ولا نهاية، فكلّ ما سواه مقهورون محكومون تحت حكمه وسلطانه وقهره، والقهّار صيغة مبالغة للفعل قهر.

فالعبد أن يتوجّه الى كونه مقهورًا دائمًا وفي جميع الحالات تحت سيطرة الربّ القاهر وتسخيره وحكمه، ولا يطغى بظهور قدرة ظاهرة فيه، أو غنى محدود ضعيف، ولا يغفل عن قدرة الربّ المحيط القيّوم الغالب القاهر.

وقد أشارت إلى ذلك الكثير من الآيات القرآنية، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، كما ورد في الكتاب العزيز:﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[٩٥]،وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ فلا يتصرف منهم متصرف، ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بمشيئته، وليس للملوك وغيرهم الخروج عن ملكه وسلطانه، بل هم مدبرون مقهورون، فإذا كان هو القاهر وغيره مقهورًا، كان هو المستحق للعبادة، وَهُوَ الْحَكِيمُ فيما أمر به ونهى، وأثاب، وعاقب، وفيما خلق وقدر.الْخَبِيرُ المطلع على السرائر والضمائر وخفايا الأمور، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٩٦]، أي: أرباب عاجزة ضعيفة لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي ولا تمنع، وهي متفرقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات، وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتخذها المشركون، أتلك خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الذي له صفات الكمال، الْوَاحِدُ في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من ذلك. الْقَهَّارُ الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ما من دابّة إلا هو آخذ

---

[٩٤] الفرقان، الآية: ٤.

[٩٥] الأنعام، الآية: ١٨.

[٩٦] يوسف، الآية: ٣٩.

بناصيتها. ومن المعلوم أن من هذا شأنه ووصفه خير من الآلهة المتفرقة التي هي مجرد أسماء، لا كمال لها ولا أفعال لديها.

وقد اشتملت رسالة الشيخ الخراسيني على الكثير من المعاني التي استقاها الشيخ من القرآن الكريم، ومن بينها: أهمية النصيحة في المجتمع الإسلامي، وكيفية التعامل مع الرعية بحفظ حقوقها وحسن رعايتها، وقبول الحكمة بغض النظر عن قائلها، والكلمة الطيبة وأثرها على الفرد والمجتمع، والحزم في التعامل مع المواقف، وأهمية الصبر واحتمال الأذى من الرعية، ..... وسيقف الباحث عند كل معنى من هذه المعاني.

(**النصيحة**) التي تعني الأمر الخالص، فالعسل إذا نصح أي صار خالصاً، وكذلك اللبن، فالنصيحة أن تصفي وتخلص من الشوائب ما تريد أن تقوله للمنصوح. إن النصح يلم شعث المسلم من قبل أخيه المسلم. إنها إرادة الخير للمنصوح، والنصيحة إحسان إلى المنصوح بصورة الرحمة له، والشفقة عليه، والغيرة له وعليه، فهو إحسان محض يصدر عن رحمة، ورقة، ومراد الناصح بها، وجه الله ورضاه، والإحسان إلى خلقه، وهذه ما يقدمه الشيخ الخراسيني في رسالته هذه للإمام.

فلقد تميز القرآن الكريم في حديثه عن النصيحة باستخدام اللفظ المباشر (نَصَح) وما اشتق منه مرات عديدة، وذلك في مجال النصيحة المحمودة القدوة على ألسنة الأنبياء والمرسلين، وفي مجال الدعوة والإصلاح والتغيير لعامة الناس.

فالنوع الأول من النصيحة جاء ذكره في الآيات التي تحدّثت عن إبلاغ الأنبياء (عليهم السلام) ومحاورتهم لأقوامهم، وذلك من قبيل الآيات التي اشتملت على خطابات كلّ منهم، ومن ذلك:

نبي الله نوح(عليه السلام) ،كقوله تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٩٧]، أُبلِّغكم ما أُرسلت به من ربي، وأنصح لكم محذرًا لكم من عذاب الله ومبشرًا بثوابه، وأعلم من شريعته ما لا تعلمون.

[٩٧] الأعراف، الآية: ٦٢.

كذلك نبي الله صالح (عليه السلام) ، كقوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[٩٨]، فأعرض صالح عليه السلام عن قومه –حين عقروا الناقة وحل بهم الهلاك– وقال لهم: يا قوم لقد أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغه من أمره ونهيه، وبَذَلْت لكم وسعي في الترغيب والترهيب والنصح، ولكنكم لا تحبّون الناصحين، فرددتم قولهم، وأطعتم كل شيطان رجيم.

والنبي شعيب (عليه السلام) ، كقوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[٩٩]، أعرض شعيب عنهم حينما أيقن بحلول العذاب بهم، وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم بالدخول في دين الله والإقلاع عما أنتم عليه، فلم تسمعوا ولم تطيعوا، فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسله؟

والنوع الثاني والذي جاء ذكره في بعض الآيات القرآنية وردت فيها النصيحة وصفاً لمجموعة من الأفراد، مثل: قوله تعالى: ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[١٠٠]، فالآية تذكر أنّ العمل الذي قامت به أُخت موسى(عليه السلام) هو لمصلحة آل فرعون؛ وذلك لأنّ(الأهل) الذين قالت: بأنّهم سوف يُرضعون موسى هم مخلصون يؤدّون العمل بأفضل صورة، فعملهم عمل خالص من الغشّ والفساد، ولا شائبة فيه، يقصدون فيه صلاح الرضيع وخيره.

وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[١٠١]، إذ تُبيّن الآية الكريمة حال مؤمن من آل فرعون وهو ينصح موسى(عليه السلام) بأن يترك مصر لوجود مؤامرة ضدّه، ومن الواضح أنّ فعل هذا الشخص ليس إلّا لسلامة موسى(عليه السلام) وصلاحه.

---

[٩٨] الأعراف، الآية: ٧٩.

[٩٩] الأعراف، الآية: ٩٣.

[١٠٠] القصص، الآية: ١٢.

[١٠١] القصص، الآية: ٢٠.

إنّ الغرض الذي يترتّب على النصيحة قرآنياً هو الهداية إلى الله تعالى، وإنّ عدم قبولها وعدم الالتزام بها هو الغواية والبُعد عنه(عز وجل) ، ففي قصّة النبي نوح(عليه السلام) . مثلاً. نجد أنّه يُخبرهم بعدم جدوى نصحه لهم؛ لأنّهم لا يهتدون، وقد جازاهم الله بكفرهم، وجعلهم من الغاوين، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾١٠٢، ولا ينفعكم نصحي واجتهادي في دعوتكم للإيمان، إن كان الله يريد أن يضلّكم ويهلككم، هو سبحانه مالككم، وإليه تُرجَعون في الآخرة للحساب والجزاء.

وعند تتبع المعني، نجد أن المعنى المراد توصيله هو؛ حث الإمام على (**حفظ الرعية وحسن الرعاية واتباع أوامر الدين ونواهيه**)، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾١٠٣، وتعني: يا داود، إنا صيّرناك خليفة في الأرض تنفذ الأحكام والقضايا الدينية والدنيوية، فاقض بين الناس بالعدل، ولا تتبع الهوى في حكمك بين الناس، بأن تميل مع أحد الخصمين لقرابة أو صداقة، أو تميل عنه لعداوة، فيضلك الهوى عن صراط الله المستقيم، إن الذين يضلون عن صراط الله المستقيم لهم عذاب قوي بسبب نسيانهم يوم الحساب؛ إذا لو كانوا يذكرونه ويخافون منه لما مالوا مع أهوائهم.

وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾١٠٤ وتعني: وواعد الله رسوله موسى لمناجاته ثلاثين ليلة، ثم أكملها الله بزيادة عشر، فصارت أربعين ليلة، وقال موسى لأخيه هارون لما أراد الذهاب لمناجاة ربه: يا هارون، كن خليفة لي في قومي، وأصلح أمرهم بحسن السياسة وارفق بهم، ولا تسلك طريق المفسدين بارتكاب المعاصي، ولا تكن معينًا للعصاة.

---

١٠٢ هود، الآية: ٣٤.

١٠٣ ص، الآية: ٢٦.

١٠٤ الأعراف، الآية: ١٤٢.

وهذا ما وصى به الشيخ الخراسيني الإمام في إصلاح أمر الرعية بحسن السياسة، والرّفق بهم في رعاية حقوقهم، والبعد عن طريق المفسدين.

ومن المعاني القرآنية الواردة في مضامين هذه الوصية كذلك" **أثر الكلمة الطيبة على الفرد والمجتمع**" فللكلمة الطيبة دور عظيم في حياة الانسان وبناء المجتمعات؛ بدليل أن الاسلام انتشر في شتى بقاع الأرض بسبب الكلمة الطيبة التي يعتبر الفرق بينها وبين الكلمة الخبيثة كبيرًا جدًّا، فهو كالفرق بين الحق والباطل والفضيلة والرذيلة، لأن الكلمة الطيبة تبني وتعمر وتطبع الحياة بالبياض النقي. وقد استقى الشيخ هذا الأثر من الآيات الكريمة التي صورت الكلمة الطيبة بشجرة طيبة والكلمة الخبيثة بشجرة خبيثة؛ دليل على قوة وثبات الكلمة الطيبة، بأنها تضرب في جذور السماء، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[١٠٥]، وتعني: إن الله سبحانه وتعالى يخاطب الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– قائلًا له: ألم تعلم –أيها الرسول– كيف ضرب الله مثلًا لكلمة التوحيد التي : لا إله إلا الله، حين مثلها بشجرة طيبة هي النخلة، جذعها ضارب في قرار الأرض تشرب الماء بعروقها الطيبة، وفرعها مرتفع إلى السماء، تعطي هذه الشجرة الطيبة ثمرها الطيب كل وقت بأمر ربها، ويضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال للناس رجاء أن يتذكروا.

ومن المعاني القرآنية التي تضمنتها هذه الوصية" **الحزم في التعامل مع المواقف**"، والحازم هو الذي جمع زمام نفسه بقوة مواقفه وزمام الآخرين لحزم قيادته، وإن القيادة الحازمة هي التي تحافظ على تفكير واضح ومنطقي رغم المتاعب، وتبحث عن الحقيقة وتمسك بها بكل إصرار مهما كلف الأمر، وتثبت في المأزق بكل صبر ولو انسحب الجميع من حولها، وتحكم بدون تحيّز لآرائها وتصرفاتها الشخصية، وتعترف بأخطائها بكل صدق وأمانة.

وتظهر هنا العلاقة بين القيادة الناجحة واتسامها بالحزم بوضوح؛ إذ أن من أهم معاني القيادة القدرة على امتلاك زمام الأمور، وهذا لا يتأتى للقيادة إلا بعد أمور كلها من معاني الحزم: أولها: القدرة على تسيير الأمور وقت الرخاء والشدة، فالرجل الضعيف المتخاذل لا

---

[١٠٥] إبراهيم، الآية: ٢٤–٢٥.

يستطيع أن يقود أفراده، ويوحد صفوفهم، ويشد أواصرهم وقت الرخاء، فكيف به وقت الشدة حيث تزداد الحاجة إلى الحزم والقوة.

ومن مواقف الحزم الواردة في الكتاب العزيز وتوضح معاني صفة الحزم في القيادة الناجحة؛ موقف نبينا موسى – عليه السلام – لما رجع من الطور بعد أن ناجى ربه، وعاد بالألواح وقد علم من الله بخبر عبادة قومه للعجل، وقد جاء ذلك في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾[١٠٦]، وأقبل على قومه فعنّفهم ووبّخهم وعاتب أخاه هارون، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[١٠٧]، ثم أقبل على السامري ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾[١٠٨]، توعده وأنذره ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾[١٠٩]، وهذا دعاء عليه بألا يمس أحداً، ثم توعده في الأخرى فقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ ﴾[١١٠]، وبعد ذلك عمد إلى العجل فحرقه وذراه في البحر ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [١١١].

والقرآن يصف الموقف بصورة حزم واضحة؛ إذ يشعر القارئ للقصة في كتاب الله سرعة اتخاذ الموقف والقضاء على الفتنة برمتها، وبحزم سريع يكاد يكون خاطفاً، فلم يتردد أو يتكاسل، بل إن الوضوح والإصرار كان ملازماً لتصرفاته في القضاء على الأمر، وهذا هو معنى الحزم الذي نتحدث عنه.

ومن المعاني القرآنية التي تضمنتها هذه الوصية أيضًا " **الصبر**" وقد وردت في القُرآن الكريم بخمسةِ معانٍ، وأكثر معانيها وروداً أنها تكون بمعنى الكفّ عن الجزع وتحمّل المصائب، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ

---

[١٠٦] البقرة، الآية: ٥١.

[١٠٧] طه، الآية:٩٢-٩٣.

[١٠٨] طه، الآية ٩٥.

[١٠٩] طه، الآية: ٩٧.

[١١٠] طه، الآية: ٩٧.

[١١١] طه، الآية: ٩٧.

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١١٢]، أي أن: هؤلاء المتواضعين الخاشعين مِن صفاتهم أنهم إذا ذُكِر الله وحده خافوا عقابه، وحَذِروا مخالفته، وإذا أصابهم بأس وشدة صبروا على ذلك مؤملين الثواب من الله عز وجل، وأدَّوْا الصلاة تامة، وهم مع ذلك ينفقون مما رزقهم الله في الواجب عليهم مِن زكاة ونفقة عيال، ومَن وَجَبَتْ عليهم نفقته، وفي سبيل الله، والنفقات المستحبة.

ويأتي (**الصبر بمعنى الثبات**)، قال تعالى: ﴿ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[١١٣]، وانطلق رؤساء القوم وكبراؤهم يحرِّضون قومهم على الاستمرار في الشرك، والصبر على تعدد الآلهة، ويقولون إن ما جاء به هذا الرسول شيء مدبَّر يقصد منه الرئاسة والسيادة، ما سمعنا بما يدعو إليه في دين آبائنا من قريش، ولا في النصرانية، ما هذا إلا كذب وافتراء.

كما يأتي (**الصبر بمعنى الرضا**)، قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[١١٤]، أي: واصبر- أيها الرسول -لحكم ربك وأمره فيما حَمَّلك من الرسالة، وعلى ما يلحقك من أذى قومك، فإنك بمرأى منا وحفظ واعتناء، وسبِّح بحمد ربك حين تقوم إلى الصلاة، وحين تقوم من نومك، ومن الليل فسبِّح بحمد ربك وعظِّمه، وصلِّ له، وافعل ذلك عند صلاة الصبح وقت إدبار النجوم، واللفظ ورد هنا بصيغة الجمع للتعظيم.

يرى الباحث أن الشيخ الخراسيني بث في وصيته هذه مجموعة من خلاصة تجاربه في الحياة، والتي استمد واستقى الكثير من ألفاظها ومعانيها من الكتاب العزيز، الذي يعد لنا منهج الحياة الأساسي الذي يسير عليه المسلم في حياته، وقدم ذلك في هذه الوصية حتى يفوز الموصي بها بالثواب العظيم في الدارين الدنيا والآخرة، ولتكون السند والقانون والقواعد الأساسية له في عمله ومنهج حياته يسير عليه؛ وليتجنب الوقوع في المحظورات الدنيوية والأخروية.

---

[١١٢] الحج، آية: ٣٥.

[١١٣] ص، آية: ٦.

[١١٤] الطور، آية: ٤٨.

المبحث الرابع: الشيخ سعيد بن راشد بن بشير الخروصي[١١٥]

سيقف الباحث على بعض المقاطع من المقامة السونية، لاستيضاح أثر القرآن الكريم في أعمال هذا الأديب من حيث اللفظ والمعنى.

"روى اليافث بن تمام، أنه: أجدبت أرضنا ذات سنة، حتى منع الطوى من السنة، وأقوت من الأقوات الربوع والمرابع، فلذا تجافينا عن المضاجع، وسكتت السماء عن الرجع، والأرض عن الصدع، ولم يبق وسنان يغط ولا بعير يؤط، وطالما استقينا فلم نسق ديمة، فحينئذ أزمعت الترحال إلى سوني القديمة، فلم أزل أنجد وأغور، وأغور وأقطع الدمث والوعور، والصحاري والصخور؛ إلى أن وافيت جنابها الرحيب، وروضها العشيب، وزهرها القشيب.

فما لبث إلا لمحة ناظر، أو كخطفة طائر حتى رأيت الجماعة ينقضون ولا انقضاض الشهب، ويوفضون ولا الوفوض إلى النصب، فبادرت مع الزمر لأعلم الخبر، فإذا بناد رحيب قد احتوى على الأحمق واللبيب، وأهل العرف والمعرفات، واجتمعوا ولا الجمع بعرفات، فإذا بوسط الدست كهل أعرج، متكئ على عصا أعوج، وقد اكتسى حلة الزهادة، وعليه سيماء العبادة، وقد تلثم بطرته وأظهر بعض غرته، وهو ينادي بلسان أصلق صهصلق.

أيها الناس ذهب الوفاء وغاض، وتفجر الغدر وفاض، وضرس الدهر بأنيابه على الكرام فعض، وأناخ عليهم بجرانه فرض، وقطع ريش جناحه فحص، وبعث منه الخوافي فخص، وعصفت عواصف الرمل فهبت، وغمضت عيون الذل فما هبت، وتوقدت نار الباطل فشبت، وتقاربت فئة الحق فما شبت، وأفقد الحياء فذهب، وحصن الرغيف فلا تحصين، ورفض الفقير ولا رفض الكنيف، وصعرت عنه الخدود ولا تصعير المحيف.

فهل من حر مغيث لأعرج مستغيث، قد غادره الدهر لقاء، بعد التمكين والارتقاء، والحجبة والحجب، والكتائب والكتب، والكنوز والبزة، والجوائز والعزة، والصوارم والصواهل، والذوابل والذلائل، والعلم والأقلام، والقلع والأعلام، واليعملات والعمال، والحمول والأحمال، والملح والملاحة، والصبوح والصباحة، والحلل والحلائل، والخوف والخلائل، والراحة والراح،

---

[١١٥] سعيد بن راشد بن بشير الخروصي الأزدي، من مشاهير علماء عمان، له شِعر في الوعظ ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وله عدة مقامات، منها هذه المقامة السونية نسبة إلى بلدة سوني، وهو الاسم القديم للعوابي

والأسرة والسماح، والحبور والمحابر، والصبر والصنابر، وكان جميع ذلك كخيال في هجعة، أو كسراب ببقعة."[١١٦]

تروي هذه المقامة قصة رجل شحاذ محتال هو (أبو عبيد الفلوجي) كان يجول في بلاد عمان، ويعمل في الظاهر خلاف ما يبطن، فيظهر للناس ورعه وتقواه، ويخفي شروره واقترابه من الشيطان، ويتفنن في أساليب الاحتيال؛ للحصول على المال الذي ينفقه في حياة اللّهو والترف والمجون.

من خلال قراءة هذه المقامة يتضح للباحث ملامح تأثر الكاتب بألفاظ القرآن الكريم في استخدام الأساليب الإنشائية والخبرية، وباستخدام الأسلوب المنمّق المزخرف المسجع في قالب قصصي مشوق، وعرض الحادثة بأسلوب مليء بالجمل والأمثال الرقيقة، والإكثار من أساليب الجناس والسجع والطباق والمقابلة.

ومن هذه الألفاظ القرآنية التي تأثر بها الكاتب في تعابيره: تجافينا عن المضاجع، السماء عن الرجع، الأرض عن الصدع، يوفضون، الزمر، الدهر، عواصف، الذل، توقدت، وصعرت عن الخدود، التمكين، الكنوز، الأحمال، الملاحة، الصبوح، الحلائل، الخوف، القلم، الملح، وسيقف الباحث عند هذه الألفاظ لبيان موضعها في القرآن الكريم، واستيضاح الارتباط بين الموضعين في المقامة والقرآن الكريم.

فقد استمد الكاتب قوله: " **تجافينا عن المضاجع**" من قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[١١٧] يعني تتباعد جنوبهم عن فرشهم التي كانوا عليها في نومهم يتركونها ويتوجهون إلى الله، يدعونه في صلاتهم وغيرها خوفًا من عذابه، وطمعًا في رحمته، ويبذلون الأموال التي أعطيناهم إياها في سبيل الله.

كما استمد الكاتب قوله:" **السماء عن الرجع، والأرض عن الصدع**" من قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢)﴾[١١٨] وتعني أقسم الله بالسماء ذات المطر؛ لأنه ينزل من جهتها مرة بعد مرة، وأقسم بالأرض التي تتشقق عما فيها من النباتات

---

[١١٦] البوسعيدي، **الجامع في الأدب العماني**، ص٧٧-٧٩.

[١١٧] السجدة، الآية ١٦.

[١١٨] الطارق، الآية ١١-١٢.

والثمر والشجر، وإشارة الكاتب إلى الصدع دلالة على الجفاف التي تعاني منه البلاد في ذلك الوقت.

كما استمد الكاتب قوله:" **يوفضون**" من قوله تعالى:﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣)﴾[١١٩]وتعني يوم يخرجون من القبور سراعًا كأنهم إلى علم يتسابقون، وإلى ذلك يشير الكاتب في استعمال هذا اللفظة للإشارة إلى المعنى نفسه الذي يشير إليه اللفظ القرآني، وهو تصوير سرعة الناس في تلك اللحظة الرهيبة .

كما استمد الكاتب لفظة " **الزمر**" وفي ذلك إشارة إلى إحدى سور القرآن الكريم التي تحمل اللفظ نفسه وهي سورة " الزمر"، ويعني بها الكاتب هنا الجماعة.

كما استمد الكاتب لفظ" **الدهر** " من القرآن الكريم حيث جاء هذا اللفظ في سورة الجاثية في قوله تعالى:"﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[١٢٠]، وتعني قول الكافرين المنكرين للبعث: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا هذه فقط، فلا حياة بعدها، تموت أجيال فلا تعود وتحيا أجيال، وما يميتنا إلا تعاقب الليل والنهار، وليس لهم على إنكارهم للبعث من علم، إن هم إلا يظنون، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا.

كما ورد هذا اللفظ في سورة الإنسان في قوله تعالى:﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾[١٢١]

وتعني قد مرّ على الإنسان دهر طويل كان فيه معدومًا لا ذكر فيه، فكلا اللفظين يشيران إلى ما أشار إليه الكاتب، وهو الفترة الزمنية التي يمرّ بها الإنسان.

كما استمد الكاتب لفظ" **عواصف**" من قوله تعالى: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾[١٢٢] وتعني هنا الرياح الشديدة الهبوب المهلكة، وهو مما يشير إليه الكاتب في مقامته. كما جاء

---

[١١٩] المعارج، الآية ٤٣.

[١٢٠] الجاثية، الآية ٢٤.

[١٢١] الإنسان الآية ١.

[١٢٢] المرسلات، الآية ٢.

اللفظ في سورة الفيل في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[١٢٣].وتعني بيان لآثار الفظيعة التي ترتبت على ما فعلته الحجارة التي أرسلتها الطيور عليهم بإذن الله-تبارك وتعالى.- والعصف: ورق الزرع الذي يبقى في الأرض بعد الحصاد، وتعصفه الرياح فتأكله الحيوانات.

وقد جاء هذا اللفظ في قوله تعالى:" و ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾[١٢٤]، تعني الأرض التي وضعها الله سبحانه وتعالى ومهَّدها؛ ليستقر عليها الخلق. فيها فاكهة النخل ذات الأوعية التي يكون منها الثمر، وفيها الحب ذو القشر؛ رزقًا لكم ولأنعامكم، وفيها كل نبت طيب الرائحة.

كما يتضح التأثير القرآني في هذه المقامة باستعمال لفظ " **الذل**" الذي ورد في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، من بينها كما جاء في سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾[١٢٥]

وتعني؛ وترى – أيها الرسول – هؤلاء الظالمين حين يُعْرَضون على النار وهم أذلاء وخزايا ينظرون إلى الناس خِلْسة من شدّة خوفهم منها، وقال الذين آمنوا بالله وبرسله: إن الخاسرين حقًّا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بسبب ما لاقوه من عذاب الله، ألا إن الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي في عذاب دائم لا ينقطع أبدًا.

كما تأثر باستعمال لفظ " **توقدت**" التي وردت في سورة يس بصيغة الجمع في قوله تعالى:" ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[١٢٦] وتعني: الذي جعل لكم – أيها الناس – من الشجر الأخضر الرطب نارًا تستخرجونها منه فإذا أنتم توقدون منه نارًا، فمن جمع بين ضدين – بين رطوبة ماء الشجر الأخضر، والنار المشتعلة فيه – قادر على إحياء الموتى.

---

[١٢٣] الفيل، الآية ٥.

[١٢٤] الرحمن، الآية ١٢.

[١٢٥] الشورى. الآية ٤٥.

[١٢٦] يس، الآية ٨٠.

ومن الألفاظ القرآنية التي تأثر بها الكاتب لفظ **"وصعرت عن الخدود"** حيث ورد لفظان التصعير والخد في سورة لقمان في قوله تعالى:﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَال فَخُور ﴾١٢٧وتعني؛ ولا تُعْرِض بوجهك عن الناس تكبرًا، ولا تمش فوق الأرض فرحًا معجبًا بنفسك، إن الله لا يحبّ كل مُخْتال في مشيته، فخور بما أوتي من نعم، يتكبر بها على الناس ولا يشكر الله عليها.

ومن الألفاظ كذلك، لفظ " **التمكين**" حيث ورد هذا اللفظ في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، من بينها سورة الأنعام حيث جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾١٢٨ وتعني ألم يعلم هؤلاء الكافرون سُنَّة الله في إهلاك الأمم الظالمة؟! فقد أهلك الله من قبلهم أممًا كثيرة أعطاهم من أسباب القوة والبقاء في الأرض ما لم يعط هؤلاء الكافرين، وأنزل عليهم الأمطار المتتابعة، وأجرى لهم الأنهار تجري من تحت مساكنهم، فعصوا الله؛ فأهلكهم بما ارتكبوه من المعاصي، وخلق من بعدهم أممًا أخرى.

ولفظ" **الكنوز**" الذي استعمله الشاعر في مقامته هذه، استمدّه الشاعر من قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ ١٢٩ وفي هذه الآية يخبر الله تعالى عن حالة قارون وما [فعل] وفُعِلَ به، ونُصِحَ ووُعِظَ، فقال: إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى أي: من بني إسرائيل، الذين فُضِّلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم، وامتنّ الله عليهم بما امتنّ به، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة، ولكنّ قارون هذا، بغى على قومه وطغى، بما أوتي من الأموال العظيمة المطغية، وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ أي: كنوز الأموال شيئًا كثيرًا، مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ؛ أي حتى أن مفاتيح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ ناصحين له محذرينه من طغيانه: لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

١٢٧ لقمان، الآية ١٨.

١٢٨ الأنعام، الآية ٦.

١٢٩ القصص، الآية ٧٦.

الْفَرِحِينَ أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المنكبين على محبتها.

وقد ورد لفظ "**كنز**" في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[١٣٠] ، ويقول الله تعالى في هذه الآية – مسلّيًا نبيّه محمدًا صلى الله عليه وسلم، عن تكذيب المكذبين–: فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أي: لا ينبغي هذا لمثلك، أنْ يؤثر قولهم فيك، ويصدك عما أنت عليه، فتترك بعض ما يوحى إليك، ويضيق صدرك لتعنتهم بقولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ؛ فإن هذا القول ناشئ من تعنّت، وظلم، وعناد، وضلال، وجهل بمواقع الحجج والأدلة، فامض على أمرك، ولا تصدك هذه الأقوال الركيكة التي لا تصدر إلا من سفيه، ولا يضيق لذلك صدرك. فهل أوردوا عليك حجة لا تستطيع حلّها؟ أم قدحوا ببعض ما جئت به قدحًا يؤثر فيه وينقص قدره، فيضيق صدرك لذلك؟!أم عليك حسابهم، ومطالب أنت بهدايتهم جبرًا؟ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ، فهو الوكيل عليهم، يحفظ أعمالهم، ويجازيهم بها أتم الجزاء.

ومن الألفاظ كذلك لفظ "**الأحمال**" فقد وردت في سورة الطلاق الآية الرابعة، قال تعالى: ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[١٣١]

[وقوله:] وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أي: عدتهن أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ، أي: جميع ما في بطونهن، من واحد، ومتعدد، ولا عبرة حينئذ بالأشهر ولا غيرها، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا أي: من اتقى الله تعالى؛ يسر له الأمور، وسهل عليه كل عسير.

ولفظ "**الخوف**" الذي ورد في القرآن الكريم في أربعة مواضع، ومن بينها قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[١٣٢] وتعني إن الله ضرب مثلًا بلدة "مكة"

---

[١٣٠] هود، الآية ١٢.

[١٣١] الطلاق، الآية ٤.

[١٣٢] النحل، الآية ١١٢.

كانت في أمان من الاعتداء، واطمئنان مِن ضيق العيش، يأتيها رزقها هنيئًا سهلًا من كل جهة، فجحد أهلُها نِعَمَ الله عليهم، وأشركوا به، ولم يشكروا له، فعاقبهم الله بالجوع، والخوف من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيوشه، التي كانت تخيفهم؛ وذلك بسبب كفرهم وصنيعهم الباطل .

وقد ورد لفظ "**القلم**" الذي استعمله الكاتب في سياق هذه المقامة، في القرآن الكريم في موضعين، وهما: سورة القلم الآية الأولى، وسورة العلق الآية الرابعة، ففي سورة القلم ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[١٣٣] يشير إلى أن للقلم أهمية في القرآن الكريم، فنزلت سورة باسم القلم، والله تعالى أقسم بالقلم "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ".

وعن الآية المباركة ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾[١٣٤] ، فقبل الآية وبعدها هنالك تأكيد على القراءة والعلم وارتباطهما بالقلم. وهذه الآيات التي هي أول ما نزلت على الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم تؤكد أهمية القراءة والقلم وارتباطهما بالعلم، ورفض الدين الجديد لأي خرافات وضلالات وأوهام.

ويعد لفظ " **الملح**" من الألفاظ التي استمدّها الكاتب من القرآن الكريم، حيث ورد في موضعين من القرآن الكريم في سورة الفرقان الآية الثالثة والخمسون، وفي سورة فاطر الآية الثانية عشر.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾.[١٣٥]أي: خلق الماءين : الحلو والملح ، فالحلو كالأنهار والعيون والآبار ، وهذا هو البحر الحلو الفرات العذب الزُّلال . وقوله: "وهذا ملح أجاج" أي: مالح مر زعاق لا يستساغ ، وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب.

وجعل منفعة كل واحد منهما مصلحة للعباد، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا أي: حاجزًا يحجز من اختلاط أحدهما بالآخر، فتذهب المنفعة المقصودة منها وَحِجْرًا مَحْجُورًا أي: حاجزًا حصينًا.

---

[١٣٣] القلم، الآية ١.

[١٣٤] العلق، الآية ٤.

[١٣٥] الفرقان. الآية ٥٣.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٣٦].

هذا إخبار عن قدرته وحكمته ورحمته، أنه جعل البحرين لمصالح العالم الأرضي كلهم، وأنه لم يسوِّ بينهما، لأن المصلحة تقتضي أن تكون الأنهار عذبة فراتًا، سائغًا شرابها، لينتفع بها الشاربون والغارسون والزارعون، وأن يكون البحر ملحًا أجاجًا، لئلا يفسد الهواء المحيط بالأرض بروائح ما يموت في البحر من الحيوانات، ولأنه ساكن لا يجري، فملوحته تمنعه من التغير، ولتكون حيواناته أحسن وألذ، ولهذا قال: وَمِنْ كُلٍ من البحر الملح والعذب تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا، وهو السمك المتيسر صيده في البحر، وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا من لؤلؤ ومرجان وغيرهما، مما يوجد في البحر، فهذه مصالح عظيمة للعباد.

ومن المصالح أيضًا والمنافع في البحر، أن سخره الله تعالى، يحمل الفلك من السفن والمراكب، فتراها تمخر البحر وتشقه، فتسلك من إقليم إلى إقليم آخر، ومن محل إلى محل، فتحمل السائرين وأثقالهم وتجاراتهم، فيحصل بذلك من فضل الله وإحسانه شيء كثير، ولهذا قال: ﴿... وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ...﴾[١٣٧].

كما سيقف الباحث على جانب المعنى الذي استمده الكاتب في هذه المقامة (السونية) من القرآن الكريم، ومن بين تلك المعاني القرآنية التي تأثر بها الكاتب في مقامته: رفض الفقير ولا رفض الكنيف، والقلم والأعلام، الحلل والحلائل، الخوف والخلائل، الراحة والراح .

وسيقف الباحث على هذه المعاني وربطها بموضعها في الآيات القرآنية، وبيان أوجه الربط بين معانيها في المقامة ومعانيها في الكتاب العزيز.

"**رفض الفقير ولا رفض الكنيف**" يقصد بها الكاتب الغنى الواسع والتنعم في صورتين: الأولى صورة توجيهية، يطرح فيها قاعدة إلهية ثابتة، وقائمة إلى آخر الحياة الدنيا، وهي أن (المنح أي الغنى الموسع) أو المنع من هذا الغنى الموسع (أو حتى الفقر) ليس دليلًا على شيء عند الله تعالى. فالأول لا يعني قبولًا من الله أو قُربًا في درجة الناعم المتنعم، والثاني – أي الفقير

---

[١٣٦] فاطر، الآية ١٢.

[١٣٧] فاطر، الآية ١٢.

وحاله – ليس دليلًا على رفض الله أو ابتعاد العبد في درجته عن الله، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ* وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[١٣٨]، ويقصد بها فأما الإنسان إذا ما اختبره ربه بالنعمة، وبسط له رزقه، وجعله في أطيب عيش، فيظن أن ذلك لكرامته عند ربه، فيقول: ربي أكرمن، وأما إذا ما اختبره، فضيّق عليه رزقه، فيظن أن ذلك لهوانه على الله، فيقول: ربي أهانن.

من المعاني التي استمدها الكاتب من القرآن الكريم الربط بين القلم والعلم في عبارة" **والقلم والأعلام**"، وقد ورد ذلك في سورة القلم، وهي من السور المكية التي نزلت بعد سورة العلق. كما أنها من أوائل سور القرآن التي نزلت، ومنها سورة العلق، وفيها إشارة إلى أهمية القراءة وارتباط ذلك بالقلم، فلولا القلم لما استطاع الإنسان أن يتعلم، قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١٣٩]، في هذه الآيات الكريمة يأمر الله تعالى رسوله اقرأ باسم الله وقدرته، الذي أحكم الخلق، وهو بديع السماوات والأرض، خلق الإنسان من دم متجمّد، يعلق بجدار الرحم، فسواه من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام، فكسا العظام لحمًا ثم أنشأه خلقًا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين. اقرأ وربك الأكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم، ينعم على عباده بالنعم، ويحلم عليهم فلا يعاجلهم بالعقوبة. ومن الله يستمد الإنسان كل ما علم وكل ما يعلم، والله هو الذي خلق، وهو الذي علّم، فمنه البدء والنشأة، ومنه التعليم والمعرفة..

ومن المعاني القرآنية التي اشتملت عليها المقامة" **الحلل والحلائل**"، وفي هذا إشارة إلى أول المبادئ الإسلامية في ذلك، وهو أن الأصل فيما خلق الله من الأشياء والمنافع الحل والإباحة، فلا حرام إلا ما ورد نص صريح بتحريمه في القرآن أو السنة، فإذا لم يكن النص صريحًا في الدَّلالة على الحرمة أو لم يكن صحيحًا كبعض الأحاديث الضعيفة، بقي الأمر على الإباحة. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ

---

[١٣٨] الفجر، الآية ١٥-١٦.

[١٣٩] العلق، الآيات ١-٥.

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾١٤٠، وقوله تعالى:﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾١٤١، فما كان الله ليخلق هذه المخلوقات ثم يسخرها للإنسان؛ ثم يحرمه منها دون علة أو سبب يقدّره الله ويعلمه.

وقد حرم الله أشياء مما خلق، أو أباحها بشروط خاصة لسبب أو حكمة قد نعرفها أو نجهلها: ولكنّ جهل سبب التحريم لا يعني عدم قبول بما حرّمه الله، لأن سلطة التحريم والتحليل لا يملكها إلا الله سبحانه وتعالى.

ومن المعاني القرآنية التي جاءت بها المقامة" **الراحة والراح**" فيقصد بها الكاتب طلب الراحة والأمان والاطمئنان، وقد استمدها الكاتب من قوله تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾١٤٢ أي: من رحمته بكم ولطفه أن جعل الليل لكم بمنزلة اللباس الذي يغشاكم، حتى تستقروا فيه وتهدؤوا بالنوم، وتسبت حركاتكم، أي: تنقطع عند النوم، فلولا الليل لما سكن العباد ولا استمروا في تصرفهم فضرّهم ذلك غاية الضّرر، ولو استمر أيضًا الظلام لتعطّلت عليهم معايشهم ومصالحهم، ولكنه جعل النهار نشورًا ينتشرون فيه لتجاراتهم وأسفارهم وأعمالهم؛ فيقوم بذلك ما يقوم من المصالح.. وقال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾١٤٣

قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ المقربين فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾١٤٤، والرَّوح: بمعنى الراحة والأمان والاطمئنان، والريحان شجر طيب الرائحة.

أي : فأما إن كان صاحب هذه النفس التي فارقت الدنيا من المقرّبين لدينا السابقين بالخيرات ... فله عندنا راحة لا تقاربها راحة، وله رحمة واسعة، وله طيب رائحة عند قبض روحه، وعند نزوله في قبره، وعند وقوفه بين أيدينا للحساب يوم الدين، وله جنات ينعم فيها بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

---

١٤٠ البقرة، الآية ٢٩.

١٤١ الجاثية، الآية ١٣.

١٤٢ الفرقان الآية ٤٧.

١٤٣ النبأ، الآية ٩.

١٤٤ الواقعة، الآية ٨٩.

ومن المعاني القرآنية التي نجد لها تأثيرًا في الكاتب " **الأسرة** " وقد جاء في كتاب الله ذِكْر الأزواج والبنين والحفدة، بمعنى الأسرة. قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[١٤٥] حيث يخبر تعالى عن منَّته العظيمة على عباده، حيث جعل لهم أزواجًا ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم أولادًا تقرُّ بهم أعينهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة، ورزقهم من الطيبات من جميع المآكل والمشارب، والنعم الظاهرة التي لا يقدر العباد أن يحصوها.

أيؤمنون بالباطل الذي لم يكن شيئًا مذكورًا ثم أوجده الله، وليس له من وجوده سوى العدم فلا تخلق ولا ترزق ولا تدبر من الأمر شيئًا، وهذا عام لكل ما عبد من دون الله، فإنها باطلة، فكيف يتخذها المشركون من دون الله؟"وبنعمة الله يكفرون ويجحدون، ويستعينون بها على معاصي الله والكفر به، هل هذا إلا من أظلم الظلم وأفجر الفجور وأسفه السفه؟"

ومن المعاني القرآنية التي جاءت في المقامة أيضًا" **ذهب الوفاء**" حيث جاء الوفاء في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة ومختلفة، ومن بينها:

الوفاء بالكفارات، قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٤٦]

إنه لا يؤاخذكم الله – أيها المؤمنون – بما جرى على ألسنتكم من لغو اليمين، الذي لم تقصدوا فيه الكذب، أو لم تتعمد قلوبكم العزم على الحلف به، ولكن يؤاخذكم بما وثقّتموه من الأيمان، فكفارة هذا النوع من الأيمان أن تطعموا عشرة مساكين من الطعام الوسط الذي تطعمون منه أهليكم، أو تكسوهم بكسوة وسط، أو تعتقوا عبدًا مملوكًا أو أمة لوجه الله، فإذا لم يقدر الشخص على الإطعام أو الكسوة أو الإعتاق، فليصم ثلاثة أيام متتابعة، ذلك كفارة أيمانكم أيها المؤمنون، فاحفظوا أيمانكم عن الابتذال وأَقِلُّوا من الحلف لغير الضرورة.

---

[١٤٥] النحل، الآية ٧٢.

[١٤٦] المائدة، الآية ٨٩.

وكذلك من معاني الوفاء: **الوفاء بالأمانات،** وهي من أعظم مجالات الوفاء، ومعناها واسع يدخل فيه الكثير من أمور الدين والدنيا، وهي من أعظم ما يجب على المسلم الوفاء به.

ولقد دلّت الكثير من النصوص الشرعية على أهمية الوفاء بالأمانات استجابة لأمر الله تعالى، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[١٤٧]في هذه الآية أمر الله المؤمنين بأداء الأمانات في جميع الأمور، سواء كانت تلك الأمور من باب المذاهب والديانات، أو من باب الدنيا والمعاملات.

وجاء التحذير من خيانة الأمانة في كثير من المواضع منها، قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١٤٨]وجميع الآيات التي تأمر بالوفاء بعهد الله يدخل فيها الوفاء بالأمانات على تعدّد أنواعها ومجالاتها.

ومن المعاني القرآنية التي جاء بها الكاتب في هذه المقامة معاني **"الذل"**، فقد ورد بمعانٍ متعددة، من بينها على سبيل الأمثلة لا الحصر: **الذُّل مع الله،** وهو من أشرف أنواع الذُّل المحمود هذا الذي يكون مع الخالق عزَّ وجلّ، وهذا الذل عنوان العزّ والشرف والنصر في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١٤٩]، إن الحكمة من خلق الإنسان هي: عبادة الله وحده لا شريك له ، والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل، والخضوع للمعبود عز وجل . فتحقيق الذل إذًا يكون بتحقيق العبودية لله تعالى وحده.

وكذلك من معاني الذل، **الذل مع الوالدين،** قال الله تعالى:﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[١٥٠]، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[١٥١]، وذكر الله برّ الوالدين مقرونًا بتوحيده، وإخلاص العبادة له، وهذا ما يدل على شدّة تأكيد وجوب برّ الوالدين والإحسان إليهما إحسانًا تامًا في المعاملة.

---

[١٤٧] النساء، الآية ٥٨.

[١٤٨] الأنفال، الآية ٢٧.

[١٤٩] الذاريات. الآية ٥٦.

[١٥٠] النساء، الآية ٣٦.

[١٥١] البقرة، الآية ٨٣.

وللذُّل معانٍ مذمومة، فمن ذلك **الذّلّ مع ما يعبد من دون الله**. ما يعبد من دون الله أشياء كثيرة، منها الهوى، قال الله تعالى:﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾[١٥٢]، أفرأيت من اتّخذ دينه هواه، فلا يهوى شيئًا إلا سيطر عليه، لأنه لا يؤمن بالله، ولا يحرم ما حرم، ولا يحلّل ما حلل، إنما دينه ما هوته نفسه يعمل به، فأصبح هواه إلهًا يعبد من دونه عز وجل. ولكل عبد بداية ونهاية، فمن كانت بدايته اتباع الهوى كانت نهايته الذل والصغار والحرمان والبلاء المتبوع بحسب ما اتبع من هواه، بل يصير له ذلك في نهايته عذابًا يعذّب به.

ومما يعبد من دون الله كذلك **الآلهة التي تعبد من دون الله**، قال الله تعالى:﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾[١٥٣]، في هذه الآية تقريع للمشركين بعبادتهم ما دون الله، وتنبيه لهم على موضع خطأ فعلهم؛ ببيان أن آلهتهم التي يعبدونها لا تخلق شيئًا، بل هي مخلوقة، ومع ذلك فهي لا تملك دفع ضر عن نفسها ولا جلب منفعة إليها، ولا تملك إماتة ولا إحياءً ولا بعثًا، والعجيب أنك تراهم يتذلّلون لهذه الآلهة حتى تجلب لهم النفع.

ومن المعاني القرآنية الواردة في المقامة التي استمدها الكاتب من الكتاب الحكيم" **الصراع بين الحق والباطل**" القائم من الأزل والمستمر إلى يوم القيامة؛ بالرغم من انتصار الحق دائمًا على الباطل، قال تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾[١٥٤]وهذا أيضًا من الحكم؛ ذلك أن الله يمحّص بذلك المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم، يدلّ ذلك على أن الشهادة والقتال في سبيل الله يكفّر الذنوب، ويزيل العيوب، وليمحص الله أيضًا المؤمنين من غيرهم من المنافقين، فيتخلّصون منهم، ويعرفون المؤمن من المنافق، ومن الحكم أيضًا أنه يقدر ذلك، ليمحق الكافرين، أي: ليكون سببًا لمحقهم واستئصالهم بالعقوبة، فإنهم إذا انتصروا، بغوا، وازدادوا طغيانًا إلى طغيانهم، يستحقّون به المعاجلة بالعقوبة، رحمة بعباده المؤمنين؛ إذن هو وعد منه سبحانه بأن يمحق الباطل، فيذهب بركته، وينقص منه ومن أهله.

---

[١٥٢] الجاثية، الآية ٢٣.

[١٥٣] الفرقان، الآية ٣.

[١٥٤] آل عمران، الآية ١٤١.

ومن الأمثلة التي استحضرها القرآن الكريم للتمييز بين الحق والباطل: الماء والزبد، حيث شبّه الله تعالى الحق أو الإيمان أو القرآن بالماء الذي ينزل من السماء، يثبت في الأرض فينفع الزرع والضرع والخلق، وشبّه الباطل بالزّبد والرَّغوة، التي طالما صعدت برهة على السطح، ثم سرعان ما تقذف إلى الشاطئ، فلا تنفع شيئًا، بل تكون عبئًا يتمنى الفرد الخلاص منه في أسرع وقت. قال الله تعالى:﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[١٥٥]

فعلينا التيقُّن بموعود الله لنا بالظفر والنصر على المبطلين، فهم كالزبد الذي سرعان ما يظهر أنه انتفاشٌ خادع ليس إلّا، ثم لا يلبث أن يزول ولا يمكث ويطرد.

في نفس الآية الكريمة، نستشف مثالًا آخر ضربه الله تعالى للحق والباطل، ألا وهو صناعة الحلي ليتزيّن الناس بها، حيث شبّه الله تعالى الذهب والفضة وغيرهما من المعادن بالحق الذي يثبت ويزداد قوة كلما عرض على النار، أما الشوائب فلا تمكث أمام النار؛ فسرعان ما تزول، ولا يبقى أثرها، كما هو الباطل.

يرى الباحث أن الكاتب الشيخ سعيد بن راشد بن بشير الخروصي وظّف الألفاظ القرآنية ومعانيها بأسلوب منمّق مزخرف مسجّع، ودمج الأمثال بمعاني القرآن الكريم، والإكثار من أساليب الجناس والسجع والطباق والمقابلة، واستخدام عددًا من المترادفات اللغوية جملًا ومفردات، مما يشير إلى لغة الكاتب القوية، وبراعته في التنوع بين الأساليب الإنشائية والخبرية مما يساعده في إثارة المتلقي، وإقناعه بالفكرة التي أراد توصيلها لهم.

[١٥٥] الرعد، الآية ١٧.

المبحث الخامس: الشيخ خميس بن سعيد الشقصي[١٥٦]

لقد بدا تأثّر الشيخ خميس بن سعيد الشقصي بالقرآن الكريم واضحًا في كتاباته، فقد انعكست ثقافته الدينية على كتاباته، فظهر هذا باستخدامه ألفاظ القرآن تارة، وباستخدامه معانيه تارة أخرى، وسيقف الباحث على هذا الأثر من جهتين: جهة اللفظ، وجهة المعنى. من خلال مقاطع من نص علمي فلسفي بعنوان "في المشيئة والإرادة"، ومقاطع من نصيحة الشيخ الشقصي إلى الإمام ناصر بن مرشد بشأن الهدف الجهادي، مقاطع من أقواله في جمع القرآن الكريم.

مقطع من نصيحة الشيخ الشقصي إلى الإمام بشأن الهدف الجهادي:

فبعد أن بدأها بالحمد والثناء على الله عز وجل ذكره ذكر أن "الأولاد والأموال هبة من الله وعارية من عواريه المسترجعة"، ثم قدم له التعزية في وفاة ابنه بقوله:"فلك سيدي حسن العزاء في الولد السعيد الذي اختار الله له السلامتين والغنم بالراحتين، فهنيئاً له ما صار إليه من رحمة الله تعالى وجواره وجنته وقراره ، فليكن سرورك له بالفوز بهذه الفضيلة، أكثر من تأسّفك على حلول مصيبته العضيلة، ففي ذلك سيدي شغل شاغل عن الجزع، والأسف على فقيد أكرمه الله بالرحمة ورقا به مسالك النعمة وكفاه مؤنة الاكتساب، ونجاه من محنة التكلف والحساب، والعقاب، فهنيئاً له ما صار إليه وحسن مآب، وليكن اهتمامك سيدي على ما كلفته من القيام بالمعترضات، وأداء الأمانات وحسن الرعاية لما استرعاك الله من الرعايات، ففي ذلك

---

[١٥٦] هو الفقيه العلامة الشيخ خميس بن سعيد بن علي بن مسعود بن عبد الله بن زياد الشقصي الرستاقي، أحد أقطاب العلم والسياسة في النصف الثاني من القرن العاشر والنصف الأول من القرن الحادي عشر. ولد بنزوى ثم انتقل إلى الرستاق ونشأ فيها، وتزوج من أم الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (مؤسس دولة اليعاربة) بعد وفاة زوجها، فتربى الإمام ناصر في حجره وتحت رعايته. عقدت الإمامة للإمام ناصر على يديه فكان عضيده الأيمن، صحبه إلى نزوى ورافقه في غزواته وأصبح قاضيًا للمسلمين، وقاد جيش الإمام لفتح مسقط. سار قاصدًا بوشر، فأرسل إليه البرتغاليون يطلبون منه الصلح فأجابهم إليه وتصالح معهم وكف القتال، ولذا فهو يعد من مؤسسي دولة اليعاربة. له مؤلفات جليلة أشهرها: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، وهو يعد موسوعة علمية؛ إذ تقع في عشرين جزءًا، وله كتاب الإمامة العظمى.
توفي الشيخ الشقصي أيام دولة الإمام سلطان بن سيف الأول؛ أي ما بين ١٠٥٩ و ١٠٩٠هـ.

شغل لك، ويجب عليك به الاهتمام، فإنه سبب لك يسليك عن الاهتمام بفقد القريب والبعيد والصغير والكبير".

ففي هذه الرسالة التي يواسي فيها الشقصي الإمام بالجهاد والصبر على المصيبة التي أصابته، وفي هذا الخطاب " يتّضح الدور الدّعوي للعلامة الشقصي في حث الإمام ناصر بن مرشد؛ إلى عدم الالتفات إلى تلك الحوادث المتمثلة في وفاة الأبناء والأهل والأقارب، على الرغم من عدم وجود ولد ذكر يخلف الإمام بعد وفاة ابنه حسين، إضافة إلى مقتل أخيه الشيخ جاعد بن مرشد في إحدى المعارك بمنطقة الظاهرة، وهذه أحداث كان لها تأثير على نفسية الإمام، وهو ما استشعره الشيخ الشقصي باعتباره قريب الصلة بالإمام المذكور، كما أن الخطاب يشير بوضوح إلى البعد المكاني بين الشيخ والإمام أثناء وفاة الابن، وهو ما دفعه إلى كتابة الخطاب المذكور"[١٥٧]

ومن الألفاظ التي اشتقها الشقصي من القرآن الكريم، والتي سيقف الباحث على تتبعها في الكتاب العزيز تبيان المعاني الواردة فيها وربطها بالنص المذكور: (**الجنة، الفوز، الرحمة، النعمة**).

أورد الله –تعالى– لفظ (**الجنّة**) في القرآن الكريم مائة وتسعاً وثلاثين مرة؛ ما بين صيغ المفرد والتثنية والجمع، ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الجنة: قوله –سبحانه وتعالى–: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ).[١٥٨] يخاطب الله سبحانه وتعالى سيدنا آدم، يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، وتمتعا بما فيها من النعيم والثِمار، وما إلى ذلك تمتعًا هنيئًا رغدًا واسعًا، والرغد هو الذي لا مشقة فيه، ولا عناء، ولا كُلفة مع ما فيه من أنواع الملاذ والنعيم حَيْثُ شِئْتُمَا، وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ وهي شجرة مُعينة، الله أعلم بها، فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ المتجاوزين لحدود الله.

---

[١٥٧] دور علماء عمان في مواجهة البرتغاليين في سواحل عمان والمحيط الهندي (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م– ١١١٠هـ/١٦٩٨م). **مجلة كلية التربية**، جامعة الأزهر. العدد: ١٦٢، (٢٠١٥م)، ص٧٤٧.

[١٥٨] البقرة، الآية ٣٥.

وقوله –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١٥٩] وفي هذه الآية حكم الله الثابتُ للذين صدَّقوا بالله ورسله تصديقًا خالصًا، وعملوا الأعمال المتّفقة مع شريعة الله التي أوحاها إلى رسله، هؤلاء يلازمون الجنة في الآخرة ملازمةً دائمةً لا تنقطع.

قوله –سبحانه وتعالى–:﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[١٦٠] ولا تتزوجوا – أيها المؤمنون – المشركات بالله حتى يؤمنّ بالله وحده، ويدخلن في دين الإسلام، وإنَّ امرأة مملوكة مؤمنة بالله ورسوله خير من امرأة حرة تعبد الأوثان، ولو أعجبتكم بجمالها ومالها، ولا تزوّجوا المسلمات رجالاً مشركين، ولعبد مملوك مؤمن بالله ورسوله خير من حرٍّ مشرك، ولو أعجبكم، أولئك المتصفون بالشرك – رجالاً ونساءً – يدعون بأقوالهم وأفعالهم إلى ما يقود إلى دخول النار، والله يدعو إلى الأعمال الصالحة التي تقود إلى دخول الجنة والمغفرة من الذنوب بإذنه وفضله، ويبيّن آياته للناس لعلهم يعتبرون بما دلت عليه؛ فيعملون بها.

وقوله –سبحانه وتعالى–:﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[١٦١],وتعني ومن يعمل من الأعمال الصالحة من ذكر أو أنثى، وهو مؤمن بالله تعالى وبما أنزل من الحق، فأولئك يدخلهم الله الجنة دار النعيم المقيم، ولا يُنْقَصون من ثواب أعمالهم شيئًا، ولو كان مقدار النقرة في ظهر النواة.

فلفظ الجنة بمدلولاته الواسعة التي ساقها لنا الكاتب في نصيحته للإمام والتي استوحاها من القرآن الكريم.

---

[١٥٩] البقرة، الآية ٨٢.

[١٦٠] البقرة، الآية ٢٢١.

[١٦١] النساء، الآية ١٢٤.

ورد لفظ "**الفوز**" في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعًا، حيث يشير هذا اللفظ في القرآن الكريم إلى النعيم المقيم وحياة الجنة في زمان نسي الناس فيه الآخرة وأحبوا الدنيا، نسوا الحساب وأحبوا الخراب.

ومن الآيات القرآنية التي ورد بها لفظ الفوز، قوله تعالى:﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١٦٢]تلك الأحكام الإلهية التي شرعها الله في اليتامى والنساء والمواريث، شرائعه الدالة على أنها مِن عند الله العليم الحكيم. ومَن يطع الله ورسوله فيما شرع لعباده من هذه الأحكام وغيرها، يدخله جنات كثيرة الأشجار والقصور، تجري من تحتها الأنهار بمياهها العذبة، وهم باقون في هذا النعيم، لا يخرجون منه، وذلك الثواب هو الفلاح العظيم.

وورد ذكر لفظ "**الرحمة**" في القرآن الكريم مائتين وثمانية وستين مرة، وقد ورد في أكثر مواضعه بصيغة الاسم، نحو قوله سبحانه: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١٦٣]، وورد في أربعة عشر موضعًا بصيغة الفعل، نحو قوله سبحانه: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١٦٤]. ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الرحمة قوله تعالى:" ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[١٦٥]، أي ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم، وعمّت الجميع المؤمن والكافر، وأمّا الرحيم فخاصّ للمؤمنين. ومنه قوله تعالى:﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١٦٦]، قالت امرأة العزيز: وما أزكي نفسي ولا أبرئها، إن النفس لكثيرة الأمر لصاحبها بعمل المعاصي طلبا لملذّاتها، إلا مَن عصمه الله؛ إن الله غفور لذنوب مَن تاب مِن عباده، رحيم بهم.

---

[١٦٢] النساء، الآية ١٣.

[١٦٣] البقرة، الآية ٣٧.

[١٦٤] الأعراف، الآية ١٤٩.

[١٦٥] الفاتحة، الآية ١-٢.

[١٦٦] يوسف، الآية ٥٣.

ورد لفظ " **النعمة**" في القرآن الكريم في مائة وثمانية وثلاثين موضعًا (١٣٨)، جاءت في ثمانية عشر موضعاً (١٨) بصيغة الفعل، من ذلك قوله عز وجل: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[١٦٧]طريق الذين أنعمت عليهم من عبادك بهدايتهم؛ كالنبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا، غير طريق المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه كاليهود، وغير طريق الضالين عن الحق الذين لم يهتدوا إليه لتفريطهم في طلب الحق والاهتداء إليه كالنصارى

وجاءت في مائة وعشرين موضعًا بصيغة الاسم، من ذلك قوله عز وجل :﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١٦٨]وإن تحاولوا حَصْرَ نِعَم الله عليكم لا تَفُوا بحَصْرها؛ لكثرتها وتنوّعها. إن الله لَغفور لكم رحيم بكم؛ إذ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعم، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة.

مقاطع من نص علمي فلسفي بعنوان "في المشيئة والإرادة":

ومن صفات الله تعالى أنه يفعل ما يشاء وما يريد، وليس لأحد أن يفعل ما يشاء وما يريد غيره، ففي هذا بيان إثبات مشيئة الله تعالى، وإرادته وإبطال قول من يقول: إن العباد يفعلون ما يشاؤون، ويريدون، والمشيئة، والإرادة، والقدرة لله تعالى مشيئة إرادة لا مشيئة محبة.

.... إن الله تعالى خلق الطاعة، والمعصية، وقدرهما وقضاهما مع الفعل، لا قبل، ولا بعد، وليس لله شريك فيما قضى وقدر، ولم يؤت العبد من قبل خلق الله، وقدره، وقضائه، ولكن: أوتي من قبل اكتسابه للمعصية، ومخالفته للأمر، وإيجاد الحجة عليه. ولم يزل الله مريدًا لذلك، فالطاعة إرادة رضا ومحبة، وعلم، ومشيئة، والمعصية إرادة علم، ومشيئة؛ لا إرادة أمر، ولا رضا، ولا محبة...قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[١٦٩]".[١٧٠]

ومن الألفاظ القرآنية التي تبين تأثر الكاتب بالقرآن الكريم (**المشيئة، والإرادة، والطاعة**).

---

[١٦٧] الفاتحة، الآية ٧.

[١٦٨] النحل، الآية ١٨.

[١٦٩] الصافات، الآية ٩٦.

[١٧٠] البوسعيدي، **الجامع في الأدب العماني**، ج٢، ص١٢٢-١٢٣.

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ **"المشيئة"** قَولُه تَعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[١٧١]

لله ملك السماوات وملك الأرض، يخلق ما يشاء من ذكر أو أنثى أو غير ذلك، يعطي لمن يشاء إناثًا ويحرمه الذكور، ويعطي لمن يشاء الذكور ويحرمه الإناث، أو يجعل لمن يشاء الذكور والإناث معًا، ويجعل من يشاء عقيمًا لا ولد له، إنه عليم بما هو كائن وبما سيكون في المستقبل، وهذا من تمام علمه وكمال حكمته، لا يخفى عليه شيء، ولا يعجزه شيء.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٧٢]، قل – أيها الرسول – مُثْنيًا على ربك ومعظّمًا له: اللَّهُمَّ أنت مالك الملك كله في الدنيا والآخرة، تؤتي الملك من تشاء من خلقك، وتنزعه ممن تشاء، وتُعز من تشاء منهم، وتذل من تشاء، وكل ذلك بحكمتك وعدلك، وبيدك وحدك الخير كله، وأنت على كل شيء قدير..وهذا ما أراده الكاتب من تناصّه لهذا اللفظ القرآني، بأن المشيئة دائمًا وأبدًا بيد الله الواحد القهار.

ورد لفظ (**الإرادة**) الذي اشتقه الكاتب في الكثير من الآيات القرآنية من بينها، قوله تعالى:" ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[١٧٣]، بمعنى يا أيها الذين آمنوا أتموا كل العهود الموثقة بينكم وبين خالقكم وبينكم وبين خلقه، وقد أحل الله لكم – رحمة بكم – بهيمة الأنعام : (الإبل، والبقر، والغنم) إلا ما يُقْرَأ عليكم تحريمه، وإلا ما حَرَّمَ عليكم من الصيد البرّي في حال الإحرام بحج أو عمرة، إن الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم وفق حكمته، فلا مُكْرِهَ له، ولا معترض على حكمه.

وقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا

---

[١٧١] الشورى، الآية، ٤٩–٥٠.

[١٧٢] آل عمران، الآية ٢٦.

[١٧٣] المائدة، الآية ١.

يُؤْمِنُونَ﴾[١٧٤]، فمن يرد الله أن يوفقه إلى طريق الهداية يفسح صدره ويهيئه لقبول الإسلام، ومن يرد أن يخذله ولا يوفّقه للهداية يجعل صدره شديد الضيق عن قبول الحق، بحيث يمتنع دخول الحقّ إلى قلبه كامتناع ارتقائه إلى السماء وعجزه عن ذلك بذاته، وكما جعل الله حال الضّالّ بهذه الحال من الضيق الشديد، يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به.

ورد لفظ **"الطاعة"** في القرآن الكريم ثلاثة وسبعين مرة، وجاءت الطاعة في الاستعمال القرآني بمعني الانقياد، لكن أكثر ما يقال في الائتمار فيما أمر، ومن قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾[١٧٥]، أي إن طاعة الله عز وجل طاعة مطلقة، فكل أوامر الله عز وجل يجب تنفيذها بقدر الاستطاعة، بدون قيد أو شرط أو تردّد؛ لأنها أهمّ أنواع الطاعات، وأصل كل الطاعات، أمر الله بها عباده، ورتّب على هذا الأمر الثواب العظيم لمن أطاع، والعقاب الأليم لمن عصى، وجعل الطاعة سمة من سمات المؤمنين لا تنفك عنهم كما مر بنا آنفًا.

وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك طاعة مطلقة؛ لأنه مبلغ عن الله، وطاعته طاعة لله عز وجل.

وكذلك قوله تعالى: " ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[١٧٦]

في هذه الآية أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله، وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما، وأمر بطاعة أولي الأمر، وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ثم أمر بردّ كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله وإلى الرسول أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما

---

[١٧٤] الأنعام، الآية ١٢٥.

[١٧٥] النساء، الآية ٦٩.

[١٧٦] النساء، الآية ٥٩.

بصريحهما أو عمومهما؛ أو إيماءً، أو تنبيهًا، أو مفهومًا، أو عموم معنىً يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما.

استقى الكاتب الكثير من المعاني القرآنية في النصوص السابقة، مما يعطي الفكرة قوة ورسوخًا وقناعة لدى القارئ والباحث، وتجعل النصوص أكثر فهمًا وتطبيقًا عند الباحثين.

ومن بين المعاني التي اشتملت عليها النصوص السابقة: **(وجوب طاعة الله سبحانه وتعالى)**، حيث جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[١٧٧]، أي: لا ينبغي ولا يليق، ممن اتصف بالإيمان، إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخطهما، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا من الأمور، وحتَّماه وألزما به، أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ أي: الخيار، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة، أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابًا بينه وبين أمر الله ورسوله.

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا، أي: بَيِّنًا، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصل لكرامة الله، إلى غيرها من الطرق الموصلة للعذاب الأليم، فذكر أولاً السبب الموجب لعدم معارضته أمر الله ورسوله، وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك، وهو التخويف بالضلال، الدال على العقوبة والنَّكال.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١٧٨]،ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكّموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، وكونهم يحكّمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي ذلك حتى يسلّموا لحكمه تسليمًا بانشراح صدر، وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر والباطن. فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان.فمَن

---

[١٧٧] الأحزاب، الآية ٣٦.

[١٧٨] النساء، الآية ٦٥.

استكمل هذه المراتب وكمّلها، فقد استكمل مراتب الدين كلها، ومَن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومَن تركه مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين.

وردت "**النعمة**" في النصوص السابقة والتي استقى معناها الكاتب من القرآن الكريم بمعانٍ عديدة، ومن هذه المعاني: "**النعمة بالمعنى العام**"، وهي ما أنعم الله به على الإنسان، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ﴾[١٧٩]، أي: عمّكم وغمركم بنعمه الظاهرة والباطنة التي نعلمها، والتي تخفى علينا؛ نعم الدنيا ونعم الدين، وحصول المنافع، ودفع المضار. وبحسب هذا المعنى قوله عز وجل: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١٨٠]، أي: وإن تعدّوا أيها الناس نِعَمَ الله التي أنعمها عليكم لا تطيقوا إحصاء عددها، والقيام بشكرها إلا بعون الله لكم عليها. وعلى هذا أيضًا قوله سبحانه:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٨١]، أي: أن الله إذا أنعم على قوم نعمة، فإنه بلطفه ورحمته لا يبدأ بتغيّرها حتى يجيء ذلك منهم، بأن يغيّروا حالهم التي ترد وتحسن منهم، فإذا فعلوا ذلك وتلبّسوا بالمعاصي، أو الكفر الذي يوجب عقابهم، غيَّر الله نعمته عليهم بنقمته منهم. والآيات وَفْق هذا المعنى كثيرة.

ومن معاني النعمة في القرآن الكريم أيضًا " **سعة العيش ورغده**"، من ذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾[١٨٢]، أي: فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى فأكرمه بالمال، وأفضل عليه، ونعَّمه بما أوسع عليه من فضله، فيفرح بذلك ويُسرُّ به" فيقول ربي أكرمن"، بما أعطاني. ونحو قوله تبارك وتعالى :﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾[١٨٣]، أي: وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ بصحة، أو رزق، أو غيرهما أَعْرَضَ عن ربه وعن شكره وَنَأَى وترفَّع بِجَانِبِهِ؛ عجبًا وتكبرًا.

---

[١٧٩] لقمان، الآية ٢٠.

[١٨٠] النحل، الآية ١٨.

[١٨١] الأنفال، الآية ٥٣.

[١٨٢] الفجر، الآية ١٥.

[١٨٣] فصلت، الآية ٥١.

وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ أي: المرض، أو الفقر، أو غيرهما؛ فنجده في دُعَاءٍ عَرِيضٍ أي: كثير جدًا، لعدم صبره، فلا صبر في الضراء، ولا شكر في الرخاء، إلا من هداه الله ومنَّ عليه.

والنعمة بمعنى سائر ما يتنعم به الإنسان، من ذلك قوله سبحانه في وصف حال أهل الجنة :﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[١٨٤]أي: إذا نظرت في الجنة التي أعدّها الله لعباده الصالحين رأيت سائر ما يتنعم به الإنسان، كما قال تعالى:﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١٨٥]، أي: الجنة مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ، وهذا لفظ جامع، يأتي على كل نعيم وفرح، وقرّة عين، وسرور قلب، فكل ما اشتهته النفوس، من مطاعم، ومشارب، وملابس، ومناكح، ولذته العيون، من مناظر حسنة، وأشجار محدقة، ونعم مونقة، ومبان مزخرفة، فإنه حاصل فيها، معدٌّ لأهلها، على أكمل الوجوه وأفضلها، كما قال تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴾[١٨٦]، وهذا هو تمام نعيم أهل الجنة، وهو الخلد الدائم فيها، الذي يتضمن دوام نعيمها وزيادته، وعدم انقطاعه. وحاصل ما تقدّم، أن لفظ (النعمة) أكثر ما جاء في القرآن الكريم بمعنى مطلق النعم.

وقد وردت معانٍ قريبة من لفظ" **الفوز**" في القرآن الكريم في مواضع مختلفة قريبة المعاني، والتي استقى الكاتب منها هذا اللفظ، ومن ذلك لفظ "**الربح**" الذي يستعمل في الكسب المالي عن طريق التجارة، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[١٨٧]، أي أولئك المنافقون الموصوفون بتلك الصفات هم الذين استبدلوا الكفر بالإيمان، فما ربحت تجارتهم؛ لخسارتهم الإيمان بالله، وما كانوا مهتدين إلى الحق.، بينما الفلاح هو التفوق في أداء واجب شاق مثل السباقات، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١٨٨]، أي قد فاز المؤمنون بالله العاملون بشرعه بالحصول على ما يطلبون، والنجاة مما يرهبون.

---

[١٨٤] الإنسان، الآية ٢٠.

[١٨٥] الزخرف الآية ٧١.

[١٨٦] يس، الآية ٥٧.

[١٨٧] البقرة، الآية ١٦.

[١٨٨] المؤمنون، الآية ١.

يقال: **أفلح** في السباق، ويقال: فاز بالجائزة، والفلاح في القرآن يكون الفوز بالدارين الدنيا والآخرة، فهو أعم من الفوز. والنصر يعني التفوق على الخصم بالقوة والإسناد، وكل منتصر له إسناد، وهناك إسناد إلهي لهم يتمثّل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾[١٨٩]، أي ولقد سبقت كلمتنا لرسلنا إنهم منصورون على أعدائهم بما منَّ الله عليهم به من الحجة والقوة، وإن الغلبة لجندنا الذين يقاتلون في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا.

بينما **الظفر**، وهو نصر موجع للخصم كما جاء في قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[١٩٠]، أي هو الذي منع أيدي المشركين عنكم حين جاء نحو ثمانين رجلًا منهم يريدون إصابتكم بسوء بالحديبية، وكففتم أيديكم عنهم فلم تقتلوهم ولم تؤذوهم، بل أطلقتم سَرَاحَهم بعد أن أَقْدَرَكم على أَسْرِهم، وكان الله بما تعملون بصيرًا، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء. والظفر؛ التمكن من المطلوب، وإخراجه إلى دائرة الطلب، والظفر أن تخرج عدوك من المعركة جولة واحدة نهائيًا

أما **القهر**، فهو الاستيلاء على إرادة العدو بالكامل بعد الظفر، كما جاء في قوله تعالى﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[١٩١]، أي قال السادة والكبراء من قوم فرعون لفرعون، محرّضين إيّاه على موسى ومن معه من المؤمنين: أتترك – يا فرعون – موسى وقومه لينشروا الفساد في الأرض، وليتركك أنت وآلهتك، ويدعو إلى عبادة الله وحده؟! قال فرعون: سَنُقَتِّلُ أبناء بني إسرائيل الذّكور، ونستبقي نساءهم للخدمة، وإنا مستعلون عليهم بالقهر والغلبة والسلطان.

والمسارعة وهو السباق في سرعة السير، والسبق يشير إلى التفوق الزمني، ويستعمل في سباق الآخرة كما يستعمل في التسابق على عمارة الدنيا، حيث أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك في قوله: ﴿﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

---

[١٨٩] الصافات، الآية ١٧٢.

[١٩٠] الفتح، الآية ٢٤.

[١٩١] الأعراف، الآية ١٢٧.

لِلْمُتَّقِينَ﴾[١٩٢]، وبادروا وسابقوا إلى فعل الخيرات، والتقرب إلى الله بأنواع الطاعات؛ لتنالوا مغفرة من الله عظيمة، وتدخلوا جنة عرضها السماوات والأرض، هَيَّأها الله للمتقين من عباده.

ولفظ (**الرحمة**) في القرآن ورد على عدة معان، نستعرض بعضًا منها على سبيل النمذجة لا الحصر : الرحمة التي هي (**صفة**) الله جلا وعلا، تثبت له على ما يليق بجلاله وعظمته، من ذلك قوله عز وجل: ﴿ ۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٩٣]، أي؛ اجعلنا ممن كتبتَ لهم الصالحات من الأعمال في الدنيا وفي الآخرة، إنا رجعنا تائبين إليك، أخبر الله موسى: أن عذابه يصيب به مَن يشاء مِن خلقه، كهؤلاء الذين أصيبوا من قومك، وأن رحمته وسعت خلقه أجمعين، وهذا للذين يخافون الله، ويخشون عقابه، فيؤدون فرائضه، ويجتنبون معاصيه، والذين هم بدلائل التوحيد وبراهينه يصدقون. ، وقوله سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾[١٩٤]، أي: وربك-أيها الرسول -الذي أمر الناس بعبادته، هو الغني وحده، وكل خلقه محتاجون إليه، وهو سبحانه ذو الرحمة الواسعة، لو أراد لأهلككم، وأوجد قومًا غيركم يخلفونكم من بعد فنائكم، ويعملون بطاعته تعالى، كما أوجدكم من نسل قوم آخرين كانوا قبلكم.

ومن المعاني القرآنية التي جاءت بها "**الرحمة**" في القرآن الكريم "**الجنة**" من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١٩٥]، إن الذين صَدَّقوا بالله ورسوله وعملوا بشرعه والذين تركوا ديارهم، وجاهدوا في سبيل الله، أولئك يطمعون في فضل الله

---

[١٩٢] آل عمران، الآية ١٣٣.

[١٩٣] الأعراف، الآية ١٥٦.

[١٩٤] الأنعام، الآية ١٣٣.

[١٩٥] البقرة، الآية ٢١٨.

وثوابه. والله غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم رحمة واسعة. الرحمة كذلك بمعنى (النبوة)، من ذلك قوله سبحانه: ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[١٩٦]، أي: ما يحب الكفار – أيًّا كانوا: أهل كتاب أو مشركين – أن يُنَزَّلَ عليكم أيّ خير من ربكم، قليلًا كان أو كثيرًا، والله يختص برحمته من النبوة والوحي والإيمان من يشاء من عباده، والله صاحب الفضل العظيم، فلا خيرَ ينالُ أحدًا من الخلق إلا منه، ومن فضله؛ بَعْثُ الرسول وإنزالُ الكتاب.

وقد وردت **الرحمة بمعنى (القرآن)**، من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[١٩٧]، أي: قل – أيها الرسول – للناس: ما جئتكم به من القرآن هو فضل من الله عليكم، ورحمة منه بكم، فبفضل الله عليكم ورحمته بكم، بإنزال هذا القرآن فافرحوا لا بسواهما، فما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم من ربه خير مما تجمعونه من حطام الدنيا الزائل.

كما وردت **الرحمة في الكتاب العزيز بمعنى (المطر)**، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١٩٨]، أي: الله سبحانه هو الذي يرسل الرياح مُبَشِّرات بالمطر، حتى إذا حملت الرياح السحاب المُثْقَل بالماء ساق الله السحاب إلى بلد مُجْدِب فأنزل بالبلد الماء، وأخرج بالماء جميع أنواع الثمار، ومثل إخراج الثمر على تلك الصورة يخرج الله الموتى من قبورهم أحياء، فلعلّكم– أيها الناس – تتذكرون قدرة الله وبديع صنعه، وأنه قادر على إحياء الموتى.

وهنا يرى الباحث بأنه ليس غريبًا على شيخ ذو قامة علمية، ومكانة مرموقة مثل الشيخ خميس الشقصي، هذا التأثر القرآني في كتاباته العلمية الرصينة من جانبي اللفظ والمعنى، مثلما اتّضح لنا ذلك فيما سبق؛ كما أنه من كبار علماء عمان في القرن الحادي عشر الهجري، وأحد

---

[١٩٦] البقرة، الآية ١٠٥.

[١٩٧] يونس، الآية ٥٨.

[١٩٨] الأعراف، الآية ٥٧.

الفقهاء الذين حفظوا التراث العماني، وكان قدوة العلماء في زمانه، وركنًا من أركان الدولة العمانية، ومن كبار قضاتها، فهو الشيخ القائم بالحجة، العالم بالمحجة.

الخاتمة والنتائج

جاءت الدراسة لإلقاء الضوء على مدى استلهام الأدباء في عصر اليعاربة المعاني القرآنية، وتوضيح أثر هذا الاستلهام في حيثيات الأدب في هذا العصر، وقدرة الأدب بقسميه الشعر والنثر على استيعاب هذه المعاني من القرآن الكريم، وتوظيفها في المكان المناسب لتؤدي المعاني المطلوب توصيلها، في أساليب مناسبة في أثر تعانق الأدب بالقرآن الكريم.

ومن نتائج هذه الدراسة ما يلي:

أولًا: تعدّد المصادر التي يستقي منها الأدب اليعاربي محتواه ويتأثر بها تأثرًا واضحًا، فالمصادر تتعدّد ما بين التراث التاريخي والتراث الديني والتراث الأدبي.

ثانيًا: مثّل التراث التاريخي للأدب العماني عصبًا مهمًا؛ من حيث إتاحته الفرصة للعلماء والأدباء عامة وللشعراء، خاصة فرصة رفد إنتاجهم بمعالم الحياة العمانية في نتاجاتهم الأدبية.

ثالثًا: لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، واللغة العربية هي لغة العمانيين، وبطبيعة الحال قد طال تأثير القرآن لغة الأدباء، فقد بدا من الواضح أن القرآن الكريم قد رفد اللغة العربية بألفاظ جديدة، وقد استخدم الشاعر العماني هذه الألفاظ الجديدة في نصوصه الشعرية، وقد تأثر بالمعاني القرآنية تأثرًا مباشرًا، فهو يقتبس من القرآن الكريم الألفاظ بشكل مباشر، أو يقتبس المعاني بشكل غير مباشر، عبر التناص.

رابعًا: التناص الديني في حد ذاته يكسب النص الشعري قوة، فهو يدلّل ويبرهن، ويعطي النص جلالة ويمتلك السلطة القوية، إذا أنه يفرض رؤيته من خلال رؤى دينية لها مدلولاتها.

خامسًا: الشعر يتأثر ببيئة الشاعر وثقافته بشتى أنواعها، سواءً الاجتماعية أو الدينية لليعاربة على نتاجهم الأدبي الشعري، وقد ظهر هذا الأثر واضحًا من خلال أثر القرآن الكريم في أشعارهم.

سادسًا: تأثر شعراء اليعاربة بالقرآن الكريم، وظهر ذلك واضحًا في أشعارهم؛ فقد انعكست ثقافتهم الدينية على أشعارهم، فظهر ذلك باستخدامهم ألفاظ القرآن الكريم تارة، واستخدامهم معانيه تارة أخرى.

حيث بسطت ألفاظ القرآن الكريم جناحها على نصوصهم الشعرية، كألفاظ: الحمد لله، القادر، الجنة، ... عند الشاعر الغشري. كما بسطت ألفاظ: صاحب السبت، فأقاما في غارهم ثاني اثنين، يوم الأخذ بالنواصي،... عند الحبسي.

وقد توافقت بعض المعني الشعرية لديهم مع القرآن الكريم، حيث ظهر ذلك واضحًا جليًا في نتاجهم الشعري، مثل: معنى التدبر والتفكر، ومعنى المشاورة وأهميتها والأخذ برأي الآخرين، ومعنى التسليم،... عند الشاعر المعولي.

ومعنى استحالة ردّ قضاء الله عزّ وجل، ومعنى نسب العطاء والمنع لغير الله، ومعنى التسليم والرضا بقضاء الله،... عند الشاعر الغشري.

سابعًا: تعانق ألفاظ القرآن ومعانيه مع أدباء عصر اليعاربة(النثار) حيث ظهر ذلك واضحًا لدى الإمام ناصر بن مرشد، والإمام سلطان بن سيف الأول في عهودهم ورسائلهم إلى الولاة، جاء ذلك في رسم السياسات والمنهج الذي يسير عليه هؤلاء في عملهم، متمثّلين في ذلك النهج القرآني، منتهجين استخدام الألفاظ القرآنية السياسية والمعاني التي تعينهم في سير عملهم على النهج الصحيح.

بينما استخدم الخراسيني في رسالته إلى الأئمة؛ أسلوب العالم الناصح لولي أمره المقوم لشؤونه، متبعًا في ذلك النهج القرآني. والخروصي من خلال مقامته المسومة بالسونية، بعباراته المتناسقة ليصل إلى الهدف الأساس في مقامته، وهو معالجة قضية اجتماعية في ذلك العصر. أما الشقصي في رسالته، ونصوصه العلمية، من خلال النهج السياسي الذي كان يسير عليه الأئمة في ذلك العصر.

حيث ساعدهم هذا التعانق في توصيل أفكارهم، وتحقيق أهدافهم على النحو الصحيح، وفي تقوية الحجج والبراهين، كما يعدّ هذا التعانق تجديدًا في حد ذاته.

التوصيات:

ومن خلال ما سبق عرضه من النتائج يوصي الباحث بالآتي:

١. دراسة أثر القرآن الكريم في كتب اللغة والمعاجم في عصر اليعاربة.

٢. دراسة أثر السنة النبوية في آدب اليعاربة.

٣. دراسة جماليات الصورة الفنية في شعر اليعاربة.

٤. التناص القرآني في الشعر العماني: عصر البوسعيد أنموذجًا.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن النظر العماني، أبي بكر أحمد. (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م). **الدعائم**. ط٢. سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

ابن رزيق، حميد بن محمد. (١٩٨٤). **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان**. د.ط. تحقيق: عبد المنعم عامر، سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

ابن رزيق، حميد بن محمد، (٢٠٠٩م). **الصحيفة القحطانية**. ط١. تحقيق: محمود بن مبارك السليمي، وحبيب صالح، وعلال الصديق. من عيون التراث العماني. وزارة الثقافة والتراث العماني.

ابن عبيدان، محمد بن عبدالله. (١٩٨٥م). **جواهر الآثار. سجل العرب**. القاهرة: الأزبكية.

ابن قيصر، عبد الله بن خلفان. (١٩٨٣م). **سيرة الإمام ناصر بن مرشد**. ط٢. تحقيق: عبد المجيد حسيب القيسي. مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة.

الإزكوي، سرحان بن سعيد. (٢٠٠٥). **تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة**. ط٤. تحقيق: عبد المجيد حسيب القيسي، المطابع الذهبية، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان.

الإزكوي، محمد بن جعفر. (٢٠١٨م). **الجامع**. ط٣. سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة.

البادي، حصة. (٢٠٠٩م). **التناص في الشعر الحديث**. ط١. سلطنة عمان: كنوز المعرفة.

بحر الدين، أوريل. (د.ت). **دراسة تاريخية عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية**، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية، ملانق.

البراشدي، موسي بن سالم بن حمد. (٢٠١٢). **الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة**. ط١. دمشق: دار الفرقد.

البطاشي، سيف بن حمود بن حامد. (١٩٩٥م). **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**. ط١. د.م: د.ن.

البطاشي، سيف بن حمود بن حامد. (٢٠١٦). **إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان**. ط٤. مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. (١٩٩٦م). **جمل من أنساب الآشراف**. تحقيق: سهيل زكار، ورياض زركلي، بيروت: دار الفكر.

البوسعيدي، السيد حمد بن سيف بن محمد. (١٩٩٣م). **قلائد الجمان في أسماء بعض شعراء عمان**، (د.ط). مسقط، سلطنة عمان.

البوسعيدي، سالم بن سعيد. (٢٠١٥م). **الجامع في الأدب العماني**. ط١. بيروت: دار القاري.

البوسعيدي، سالم بن عبدالله بن راشد. (د.ت). **الأخبار والآثار**. سلطنة عمان: دار جريدة عمان للصحافة والنشر، روي.

البوسعيدي، سالم. (د.ت). **الرائع في التاريخ العماني**. سلطنة عمان، مسقط: مكتبة الأنفال.

التوبي، أحمد بن حميد بن الذيب. (٢٠١٧م). **المقاومة العمانية للوجود البرتغالي في الخليج والمحيط الهندي من ١٥٠٧– ١٦٩٨م**. ط١. سلطنة عمان: مؤسسة بيت الغشام للصحافة والنشر.

الجاحظ. (د.ت). **البيان والتبين**. تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: مصر.

الجرجاني، علي بن محمد. (١٤٠٥هـ). **التعريفات**. ط١. تحقيق: إبراهيم الأنباري، بيروت: دار الكتاب العربي.

الحبسي، راشد بن خميس بن جمعة بن أحمد. (١٩٨٢م). **ديوان الحبسي**. تحقيق: عبد العليم عيسى. سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

حسين عبيد غباش. (١٩٩٧م). **عمان الديمقراطية الإسلامية**. ط١. ترجمة: انطوان حمصي، بيروت: دار الجديد.

الحمسعيدي، سالم بن عبد الله بن راشد. (د.ت). **مخطوطة خلاصة الأثار، في الفقة وأصول الدين**. الناسخ: سليمان بن عامر بن راشد بن عمر بن أبي الخفير، سنة النسخ ١١١٠هـ، رقم ٢٣٢٦.

الخراسيني، عبد الله بن محمد بن عامر. (١٩٩٥م). **فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم**. ط١. تحقيق: محمد بن صالح بن ناصر، مهنى السواجيني، د.م: د.ن.

الخراسيني، عبدالله بن محمد بن غسان. (د.ت). **مخطوط: خزانة الأخيار في بيع الخيار، الناسخ: زاهر بن عبدالله بن موسى الكندي**. سلطنة عمان: مكتبة بدية، بدية.

الخروصي، سعيد بن محمد بن راشد بن بشير الخليلي. (د.ت). **ديوان الغشري**. د.ط. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

الخصوصي، بدر الدين عباس. (١٩٨٤م). **دراسات في تاريخ الخليج العربي**. ط٢. الكويت: ذات السلاسل.

الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز. (١٩٩٤م). **سموط الجمان في أسماء شعراء عمان**. ط٣. سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة.

الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز. (٢٠١٦م). **الزمرد الفائق في الأدب الرائق**. ط٢. د.م: د.ن.

خير الناس، نور الدين بن أحمد، (٢٠٠٦م). **أئمة اليعاربة حياة من أجل الدعوة**. ط١. دبوز: نهضة الجزائر.

الدرجيني. (د.ت). **طبقات المشايخ بالمغرب**. د.ط. تحقيق: إبراهيم خلاي، د.م: الزهراء للإعلام العربي.

درويش، أحمد. (١٩٩٢م). **مدخل إلى دراسة الأدب في عمان**. د.ط. المصادر-المناهج-المراحل-النماذج، دار الأسرة للطباعة والنشر والتوزيع.

دون مؤلف. (١٩٨٠م). **تاريخ أهل عمان**. د.ط. تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

الرقيشي، خلف بن أحمد بن عبدالله. (د.ت). **مخطوطة مصباح الظلام في شرح دعائم الإسلام**. في الفقه وأصول الدين، الناسخ: سالم بن طالب بن سالم بن راشد الكهيلي النخلي، سنة النسخ ١٢١٠هـ، رقم ١٥٥٩.

رميض، غانم محمد. (٢٠١٦م). **الصراع البحري العماني البرتغالي في البحار الشرقية ١٦٥٠م- ١٧٢٠م أسطول الإمام يطارد البرتغاليين في الهند وعلى طول الساحل الإفريقي**. دار المنظومة.

الرواحي، سالم بن محمد بن سالم. (٢٠٠٣م). **الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة**. ط١. مطبعة الألوان الحديثة.

الزركاني، خليل حسن. (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م). **دراسات في تاريخ عمان والحضارة الإسلامية**. ط١. العين: دار الكتاب الجامعي.

السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد. (١٩٩٣م). **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**. ط٢. مسقط: المطابع الذهبية.

السعدون، خالد. (٢٠١٢م). **مختصر التاريخ السياسي للخليج العربي منذ أقدم حضاراته حتى سنة ١٩٧١**. ط١. بيروت: جداول للنشر والتوزيع.

سعيد بن محمد. (د.ت). **ديوان الغشري**. د.ط. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

السليماني، عيسى بن محمد. (٢٠١٧م) **شعر الحرب في القصيدة العمانية قراءة في القصيدة العمانية أيام دولة اليعاربة**. ط١. نزوى، سلطنة عمان: مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية جامعة نزوى.

السيابي، أحمد بن سعود. (د.ت). **الوجيز في التاريخ العماني**. مسقط: الرؤيا.

السيابي، سالم بن حمود بن شامس. (٢٠٠١م). **عمان عبر التاريخ**. سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة.

السيار، عائشة. (١٩٧٥م). **دولة اليعاربة في عمان وشرقي إفريقيا في الفترة من ١٦٢٤م – ١٧٤٩م**. ط١. لبنان: دار القدس.

الشقصي، خميس بن سعيد بن مسعود. (١٩٩٣م). **منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، تحقيق: سالم بن خمد الحارثي**. ط٢. عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

شوقي عبد القوي عثمان. (١٩٩٠م). **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية**. الكويت: د.ن.

الصارمي، محمد بن مسعود بن سعيد. (٢٠١٦م). **منظومة الصارمي في الصرف وشرحها، د. ت: محبوب بن محمد بن علي الرحيلي**. ط١. مسقط: ذاكرة عمان.

الصقلاوي، سعيد. (١٩٩٢م). **شعراء عمانيون**. مسقط: مطابع النهضة.

الطائي، عبد الله بن محمد. (٢٠٠٨م). **تاريخ عمان السياسي**. ط١. الكويت: الربيعان، الصفاة.

العبري، سالم بن خميس بن عمر. (١٩٨٢). **فواكه البستان**. د.ط. عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

العبيداني، حميد بم محمد بن رزيق. (١٤١٥هـ/١٩٩٥م). **الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين**. ط١. سلطنة عمان: المطابع العالمية، روي.

عزام، محمد. (٢٠٠١م). **النص الغائب**. د.ط. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

عطية، شبيب. (د.ت). مخطوط. **سيرة شبيب بن عطية، الناسخ: مسعود بن صالح بن مسعود بن رمضان**. سلطنة عمان: خزانة الشيخ محمد بن سالم بن زاهر الرقيشي، ولآية إزكي.

العقري، عامر بن عبد الله بن غريب. (١٢٧٩هـ). **مخطوطة مكارم الأخلاق وجواهر الأعلاق، في الأدب وعلوم المخطوطات الناسخ: محمد بن علي بن بويسر الغداني**. رقم النسخ، ١٣٨٠.

علي بن محمد بن علي بن محمد. (د.ت). **مخطوط سيرة أبي الحسن علي بن محمد البسياني حجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان**، الناسخ مجهول، سلطنة عمان: خزانة وقف بني سيف، ولآية نزوى.

العوتبي، سلم بن مسلم الصحاري. (د.ت). **مخطوط أنساب العرب، نسخة بدائرة المخطوطات والوثائق العمانية**. مسقط. وزارة التراث والثقافة.

عيد، أيمن محمد. (٢٠١٦م). **اليعاربة أمجاد وبطولات**. الإسكندرية: دار الكتب والدراسات العربية، الأزاريطة.

الغافري، مداد بن محمد بن راشد. (١١٢١هـ). **مخطوطة مجموع في الأشعار الرائقة والأخبار الفائقة**. في الأدب وعلوم المخطوطات، ٢٠ صفر، رقم ١٣٨٧.

غباش، حسين عبيد غانم. (٢٠٠٦م). **عمان تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث (١٥٠٠-١٩٧٠م)**. ط٤. بيروت: دار الفاربي.

الغساني، خميس بن غسان بن محمد. (د.ت). **مخطوطة أيضًاح البيان وسلو الأحزان، في الفقه وأصول الدين**. الناسخ: صالح بن حمد بن محمد البطراني، سنة النسخ ١١٨٣، رقم ٢١٣٦.

الفاخوري، حنا. (١٩٨٦م). **الجامع في تاريخ الأدب العربي " الأدب القديم**. بيروت: دار الجيل.

فارس، وليد فكري؛ الزهيمي، صالح بن سليمان؛ الشيباني، سلطان بن مبارك. (٢٠١٧م). **الرسالة الحضارية للأدب العماني**. مسقط: مركز ذاكرة عمان.

فروخ، عمر. (١٩٨١م). **تاريخ الأدب العربي**. ط٤. بيروت: دار الملايين.

الفزاري، بشير بن عامر بن عبد الله. (٢٠٠٧م). **ديوان الفزاري**. ط١. تحقيق: مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي، د.م: مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية.

فوزي، فاروق عمر. (٢٠٠٠م). **دراسات في تاريخ عمان**. د.ط. منشورات جامعة آل البيت.

قاسم، جمال زكريا. **تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر**، المجلد الأول، د.ط. مدينة نصر: دار الفكر العربي.

مبارك، زكي. (٢٠١٢م). **النثر الفني في القرن الرابع**. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

المحروقي، درويش بن جمعة بن عمر. (د.ت). **الدلائل في اللوازم والوسائل**. د.ط. تحقيق: عبد المنعم عامر ومحمد الهادي هارون، عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

المحروقي، درويش بن جمعة بن عمر. (د.ت). **مخطوطة التبيان الجامع في الأحكام**. رقم ٢١٨٤.

المحروقي، درويش بن جمعة. (د.ت). **مخطوطة الفكر والاعتبار، في التاريخ والفلسفة والعلوم الاجتماعية**، اسم الناسخ: سيف بن خلفان بن سيف، سنة١٣٧٢هـ، رقم المخطوط: ٣٠٠٢

المعولي، أبو سليمان محمد بن عامر بن راشد. (٢٠١٤م). **قصص وأخبار جرت في عمان**. ط٢. تحقيق: سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي، عمان: وزارة التراث العماني والثقافة.

المعولي، محمد بن عامر بن راشد. (١٩٨٨م). **المهذب وعين الأدب**. تحقيق: محمد علي الصليبي، سلطنة عمان: العالمية، روي.

المعولي، محمد بن عامر بن راشد. (١٩٨٨م). **المهذب وعين الأدب**. تحقيق: محمد علي الصليبي. سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

المعولي، محمد بن عبد الله بن سالم. (١٩٨٤م). **ديوان المعولي**. د.ط. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي.

المعولي؛ محمد بن عامر بن راشد. (٢٠١٧م). **التهذيب في الفصاحة والألفاظ**. ط١. الباب الرابع (في علوم القرآن)، دراسة وتحقيق: عبد الله بن سعيد بن ناصر القنوبي، سلطنة عمان: خزائن الآثار، بركاء.

الموسوعة العمانية. (٢٠١٣م). المجلد ٥، وزارة التراث والثقافة.

الهاشمي، سعيد بن محمد بن سعيد. (٢٠١٧م). **مصادر التاريخ العماني الحديث والمعاصر. دراسة مسحية وصفية**. ط١. دمشق: دار الفرقد.

وزارة التراث القومي والثقافة. (١٩٨٠م). **عمان في أمجادها البحرية، سلطنة عمان**. سلسلة تراثنا، العدد الثامن.

الدوريات:

جمال زكريا قاسم. (١٩٦٥م). الاصول التاريخية لقضية عمان، **المجلة التاريخية المصرية.**

دور علماء عمان في مواجهة البرتغاليين في سواحل عمان والمحيط الهندي (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م-١١١٠هـ/١٦٩٨م). (٢٠١٥م). **مجلة كلية التربية**، جامعة الأزهر. العدد: ١٦٢.

السابعي، ناصر بن سليمان بن سعيد. (٢٠٠٣م). **قراءات في فكر " الشقصي"**. المنتدى الأدبي. ط١.

السديس، عبد الرحمن بن علي. (١٤٢٠هـ). الحملات الفارسية على عمان وسقوط دولة اليعاربة، **مجلة العلوم الاجتماعية**، عدد٢٨، شوال.

السليماني، عيسى بن محمد. (٢٠١٥م). **النص وأبعاده الدلالية في شعر التحرير عند اليعاربة**. ندوة الحركة العلمية في عصر اليعاربة. مسقط (الخوير،١٠/١١/٢٠١٥م)، مسرح كلية العلوم الشرعية.

الصباري، خميس بن ماجد. (١٠نوفمبر٢٠١٥م). **البنية الفنية للخطب والمقامات في عصر اليعاربة**، ندوة الحركة العلمية في عصر اليعاربة، مسقط (الخوير، ١٠/١١/٢٠١٥م)، مسرح كلية العلوم الشرعية.

فوزي، فاروق. (٢٠١٧). القوى الدينية والسياسية في عمان في عهد اليعاربة، **المجلة الأردنية للتاريخ والأثار**، العدد٣، المجلد١١.

المؤرخ العربي. (١٩٩٣م). **مجلة اتحاد المؤرخين العرب**، العدد ٤٧، السنة التاسعة عشرة، ص١٣.

الرسائل العلمية:

إرحيم، أمل يونس. (٢٠١٩م). **شعرية السرد في روايات أيمن العتوم**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة: فلسطين.

دينا محمد الادهمي. (٢٠٠٢م). **الأوضاع السياسية في الخليج العربي في ظل التسلط البرتغالي ١٥١٥-١٦٥٠**، رسالة ماجستير، كليةالآداب – بغداد، ص١٠١.

زهية، الوناس. (٢٠١٦-٢٠١٧م). **أثر القرآن الكريم في الأدب العربي- دراسة بعض الأساليب- محمود درويش انموذجا**، مذكرة لنيل شهادة ليسانس، الجزائر: البويرة، جامعة أكلي محند أو لحاج.

السلامين، طارق محمد. (٢٠١٠م). **أثر القرآن الكريم في النثر الأندلسي في القرن الخامس الهجري**، رسالة ماجستير، جامعة مؤته، الأردن.

المجالي، حسن مطلب. (٢٠٠٩م). **أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث**، (رسالة دكتوراة)، الجامعة الأردنية، الأردن.

مشيش، حسين. (٢٠٠٨م). **أثر القرآن الكريم في النثر الجزائري الحديث (١٩٢٥-١٩٦٢م)**، رسالة دكتوارة، ٢٠٠٧/٢٠٠٨م، جامعة باتنه، الجزائر.

النوافعة، جمال فلاح. (٢٠٠٨م). **أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث**، رسالة دكتوارة، جامعة مؤته، الأردن.

الشبكة العنكبوتية:

. http://alyarobi.blogspot.com/2011/04/blog-post_2629.html

أرسلان، الأمير شكيب، تأثير الأدب في رقي الأمم، تاريخ النشر:٢٠١٧/٣/٢٩م، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٢/٧/٢٨م، مجلة إسلام ويب، موقع إلكتروني/https://www.islamweb.net/ar/atticle/215992

الإسماعيل، حسين، التاريخ يستنطق الأدب، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢١/٧/٣١م موقع إلكتروني https://qafilah.com

بن يحيى، سامية، الأدب مرآة الشعوب ورمز الحضارة، تاريخ النشر: ٢٠٢٠/٢/٢٣م، تاريخ الاطلاع ٢٠٢٢/٧/٣٠م، موقع إلكتروني https://ae.linkedin.com

حياة عمان الأدبية، مجلة نزوى، موقع إلكتروني، https://nzwa.com

الكعبي، عبد الحكيم، الأدب والتاريخ مقاربة منهجية، تاريخ النشر: ٢٠٢٢/٣/١٢م، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢٢/٧/٣١م/ موقع إلكترونيhttp:// www.alqabas.com

النابلسية، دعاء، دور الأدب في تعميق الثقافة، تاريخ النشر٢٠١٩/١١/٢٥م/ تاريخ الاطلاع: ٢٨ /٢٠٢٢/٧م، مجلة محتوى، موقع إلكترونيhttp://mhtwat.com

المراجع الأجنبية:

Bathurst, R. D. *The Ya'rubi Dynasty of Oman*. Ph.D., Thesis, exford.1967.

Ijouber.la.poesif. P.8 يوميات جمبورن

باثيرست. (١٩٦٧). **تاريخ اليعاربة في عُمان**. مترجم، رسالة دكتوارة، جامعة أكسفورد، بريطانيا.

بادجر، جورج بيرس. (٢٠١٢م). **مقدمة كتاب تاريخ وسادة أئمة عمان**. ط٢. ترجمة: محمد علي الداود، د.م: د.ن.

جوف، فانسون. (٢٠١٢م). **شعرية الرواية**. ط١. ترجمة: لحسن حمامة، دمشق: دار التكوين.

سلوت، ب.ج. (١٩٩٣م). **عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية**. ط١. ترجمة: عايدة خوري، مراجعة: محمد مرسي عبد الله، مركز دراسات سيلام.

فيلبس، وندل. (٢٩٨٩م). **تاريخ عمان**. ط٢. ترجمة: محمد أمين عبد الله، سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

فيلبس، وندل. (٢٠١٢م). **عمان تاريخ له جذور، ترجمة: مركز المؤسسة**. ط١. الدار العربية للموسوعات.